العِبرةُ الشّافية والفكرةُ الوافية

(مئة جوهرة)

مقطوعاتٌ حِكميةٌ مُسَجَّعةٌ ومُقفَّاةٌ

تأليف

أحمد بن عبد الرضا

المعروف بمُهذِّب الدين البصري

المتُوفَّى في نهاية القرن الحادي عشر الهجري

تحقيق

الدكتور حامد ناصر الظالمي

كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة البصرة

الفيحاء

للطباعة والنشر والتوزيع

العِبرةُ الشّافية والفكرةُ الوافية

(مئة جوهره)

مقطوعاتٌ حِكميةٌ مُسَجَّعةٌ ومُقفّاةٌ

المؤلف: أحمد بن عبد الرضا

تحقيق: الدكتور حامد ناصر الظالمي

طُبع في لبنان، 2017

First Edition، Lebanon، 2017

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أونقله، بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من أصحاب الحقوق

All rights reserved، is not entitled to any person or institution or entity reissue of this book، or part thereof، or transmitted in any form or mode of modes of transmission of information، whether electronic or mechanical، including photocopying، recording، or storage and retrieval، without written permission from the rights holders

الفيحاء
للطباعة والنشر والتوزيع

Mob.:.0964 780 1312072

00964 770 2724801

e - mail: daralfaiha@yahoo.com

تنويه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 1 - 77322 - 144 -1

العِبرةُ الشّافية والفكرةُ الوافية

(مئة جوهره)

مقطوعاتٌ حِكميةٌ مُسَجَّعةٌ ومُقفَّاةٌ

تأليف

أحمد بن عبد الرضا

المعروف بمُهذِّب الدين البصري

المتُوفَّى في نهاية القرن الحادي عشر الهجري

تحقيق

الدكتور حامد ناصر الظالمي

دار الفتحاء للطباعة والنشر والتوزيع

المؤلف:

هو الشيخ أحمد بن عبد الرضا البصري، مُهذِّب الدين، قال عنه السيد أحمد الحسيني في كتابه المُفضَّل في تراجم العلماء ((ولِدَ في البصرة وبها نشأ وترعرع، رَجَّحَ بعضٌ في تأريخ ولادته أن يكون سنة ١٠٢٠ هـ، واستنتج بعضٌ آخر أن يكون سنة ١٠٥٠ هـ والصحيح أنه ولِدَ سنة ١٠٦٠ هـ، حيث أَلَّفَ بعضَ رسائله بالمشهد الرضوي في سنة ١٠٨٥ هـ، مع التصريح بأنه تناولَ خمساً وعشرين جانباً (سنة) من عمره))[1]، والمؤلف غالباً ما يؤكد على لقبه (مُهذِّب الدين) أو (المُهذِّب) ولاسيما في الجوهر السابع والثلاثين وفي نهايتها إذ يقول: ((إنَّ الذي أتاهُ، فَضلٌ ولا خِفاءُ، والفَضلُ عِند رَبيّ يؤتيه مَنْ يَشاءُ، فاعلم ما نالك واعمل بذلك، تَنَلْ ما هَنالك، إذا قِيلَ مَنْ أَحيا العلوم بأَسرها وَهَذَّبَ مِنها الأَمَرَ، والأَمرُ قد فَشا، فَقُلْ ذاك يُدعى بالمُهذِّب أحمدٍ، وذَلِكَ فَضلُ الله يؤتيه مَنْ يشاء)) وكذلك يذكر هذا اللقب في الجوهر الثالث والتسعين بقوله: ((واهاً لقلبي فَواهاً لَمْ يكن مَعبودُ قلبي دائماً إلّا هَواهُ، فانبُذّنهُ يا مُهذِّب، واتَخِذ قلباً سِواه)).

أما عن ولادته، فقد ذكر الأستاذ غلام حسين قيصرية عند تحقيقه لكتاب (فائق المقال) لمُهذِّب الدين البصري أنَّ ولادته كانت سنة ١٠٢٠ هـ[2]

وبهذا نكون أمام ثلاثة تواريخ لولادته الأول هو سنة ١٠٢٠ هـ والثاني هو ١٠٥٠ هـ والثالث هو ١٠٦٠ هـ والثالث هو ما ذَهَب إليه السيد أحمد الحسيني سابقاً.

---

(١) المُفصَّل في تراجم الأعلام، للسيد أحمد الحسيني، طبعة مجمع الذخائر الإسلامية، ط١، سنة ٢٠١٥، سنة ١٤٣٦هـ إيران، ١/ ١٣٧.

(٢) يُنظر: مقدمة المحقق، ص٧.

ولكننا نجد مُهذِّب الدين البصري في الجوهر الرابع عشر يذكر أن عمره قد بلغ الثمانين، إذ يقول: ((يا خطيرَ السَّهو ويا مطيرَ اللَّهو ويا نديمَ المحو ويا عَديمَ الصحو، ويا أَعفرَ الفُودينِ، ويا أَصفر الخَدَّين ويا أَبتر الجَدَّين ما عذرك بعد بياض العثانينِ، وما عُمرك بعد أنقراض الثمانين، فكم تُقيم وهَواكَ مع الراكب اليمانيين وكم يصيح بِكَ نذيرُ الموتِ...)) فإذا ما عرفنا أن عمره كان ثمانين سنة وعرفنا أنه في نهاية كتابه (العبرة الشافية والفكرة الوافية) قد رَدَّ على قصيدةٍ لأحد أَصدقائه عندما انتهى من تأليف هذا الكتاب وكانت القصيدة قد كُتبت بمناسبة الانتهاء من الكتاب سنة ١٠٩٨هـ، وانقصنا منها ثمانين سنة أي عمره عند تأليفه لهذا الكتاب ستكون ولادته سند ١٠١٨هـ أي ما ما يقترب من ١٠٢٠هـ.

وإذا ما رجعنا الى كتابه (المناهج المقنعةِ الأَنيسة والمُغنية النفيسة) نجده قد ذكر أَن تأَليفه له كان سنة ١٠٧٩هـ وهذا ما وَردَ في نهاية كتابه[١] سالف الذكر. فإذا قارنا ذلك مع ما ذكره السيد أحمد الحسيني أنه ولادته كانت ١٠٦٠هـ فسيكون عمره ١٩ سنة فقط، وهو أمرٌ غير مُقنع بأن يكون لشابٍّ بمثل هذا العمر يؤلف كتاباً في علم دراية الحديث وفيه تلك المعلومات الدقيقة ولا سيما عندما نعرف أنه ابتدأَ رحلته العلمية من البصرة في ((عام ١٠٦٨هـ قاصداً بلاد خراسان وتَنقَّلَ بَينَ مُدِنها ومنها أدكان وشاه أَنديز وخاور وهَراة، وفي هذه المُدن أَلفَّ مجموعة رسائل منذ عام ١٠٧٧هـ حتى عام ١٠٨٠هـ، وفيها إلتقى معاصرهُ العالم والمُحدِّث والفقيه الحُرّ العاملي الذي أَجازَ له الرواية عنه))[٢] وأَنه كان يحفظ آلاف الأَحاديث، فقد ذكر في كتابه (فائق المقال) أنه حفظ إثني عَشَرَ أَلفَ حديث غير مُسنَد وأَلفاً ومائتي حديث مع الإسناد، ويأَسف أنه لم يتَمكَّن من الإفادة من محفوظاته لكثرة أسفاره وابتلائه بالمشاكل[٣]. والسعي في طلب الرزق للعيال وارتكاب المسافرات البعيدة

---

(١) يُنظر: كتاب ((المناهج المُقنِعة الأنيسة والمُغنية النفيسة)) لمُهذَّب الدين أحمد بن عبدالرضا البصري، تحقيق: د. توفيق الحجاج ود. قاسم خلف السكيني، نشر مركز تراث البصرة التابع للعتبة العباسية المقدّسة سنة ٢٠١٥، السلسلة (٥)، ص١٠٩.

(٢) المصدر نفسه مقدمة المُحققين، ص١٥.

(٣) يُنظر: ((فائق المقال في الحديث والرجال))، تحقيق: غلام حسين قيصرية، دار الحديث، قم، سنة ١٤٢٢هـ ص٧.

وتوالي الأمراض والمصائب مَنعهُ من تحصيل الكمال كما هُوَ حقّهُ ولو بَقيَ في ديار العرب لكان رجُلاً كاملاً[1]. وهو ما يذكره في الجوهر التاسع عشر بقوله ((واللهُ يَبسُط الرِزقَ لمَنْ يشاء، فَجُلّ يا حَبيبي وَقُلْ يا لَبيبي إنْ كُنتَ مِمَّنْ صَحَّ إيمانه وإلتزمَ الكَونَ مع المُوقِنين، فلا تكُنْ مُضطرِباً جايراً، واللهُ دو فَضلٍ على المؤمنين، فاجمع ذلك واسمع، بَين عَبدٍ وخادمٍ ساء في الهِندِ خُلقنا، كُلُّ شَخصٍ وَرِزقَهُ إنَّ هذا لَرِزقُنا)) ولهذا فمن غير المعقول أنْ يؤلف عشرات الكتب ويحفظ هذا العدد الكبير من الأحاديث مع مشكلاته والسعي في طلب رزق عياله وسفره وهو بعمر ١٩ سنة. لذا نؤكّد على أن ولادته لم تكون سنة ١٠٦٠هـ بل كانت ١٠٢٠هـ.

كان مُهذِّب الدين البصري معاصراً لمجموعة كبيرة من العلماء في القرن الحادي عشر الهجري ولاسيما مَنْ كانت ولادته في البصرة (الجزائر) ومنهم نعمة الله الجزائري، ومما يجدر ذكره أن نجم الدين الجزائري وهو (نجم الدين بن محمد بن عبد الرضا) هو ابن أخ مهذَّب الدين قد تَتَلمذ على نعمة الله الجزائري، وقد أجازه نعمة الله الجزائري سنة ١٠٨٥هـ وأجازه كذلك سنة ١٠٨٦هـ،)هذا ما ذكره الشيخ آغا برزك الطهراني[2].

مؤلفاته:

من المؤكد أن مهذب الدين البصري كان عالماً موسوعياً وهو ما تدل عليه كثرة مؤلفاته، فقد كَتَبَ في علومٍ كالتفسير والكلام والفقه والحكمة والحديث والدراية واللغة والعروض والأدب والبيان والبلاغة والطب والرياضيات والأصول والتصوف والخط. وقد ذكر محققا كتابه ((المناهج المُقنِعة الأنيسة والمُغنية النفيسة)) ثمانيةً وعشرين كتاباً له، ولكن السيد أحمد الحسيني يذكر أنه اطّلعَ شخصياً على أَضعاف هذا العدد من المؤلفات، فقد وَصَلَتْ عنده الى أكثر من ثمانين رسالة وكتاباً[3].

---

(١) يُنظر: مرآة الكتب، علي موسى بن محمد الشفيع ثقة الإسلام التبريزي (ت ١٣٣٠هـ)، تحقيق: محمد علي، مكتبة المرعشي النجفي، سنة ١٤١٤هـ طبعة أولى، ص٢٧٤-٢٧٥.

(٢) يُنظر: طبقات أعلام الشيعة: ٥/ ٦١١.

(٣) يُنظر: المُفصَّل في تراجم الأعلام، ١/ ١٤٠-١٤٣.

أَما كتابه ((العبرة الشافية والفكرة الوافية)) فقد وَرَدَ خَطأً في هامش المُفهرِس للمخطوطة أنه (أحمد بن عبد الرضا الحلي) وهو خطأ لا نَعرفُ مصدَرهُ ولذلك اعتقد الشيخ علي موسى بن محمد شفيع التبريزي (منفرداً) أن مُهذِّب الدين هو حلي[1]. وإلاّ فهو بصري على وفق العديد من المصادر والمراجع. وهذا الكتاب (العِبرة الشافية والفِكرة الوافية) يَدلُ دلالةً قاطعة على تمكّنه وبراعته اللغوية والبلاغية بما فيها من سجعٍ جميل وجناسٍ ومقابلة وتضاد وتفريق وطِباق واستعارة وهو ((كلماتٌ حِكَمية وأَخلاقية طريفةٌ تـدلُّ على تَمكّنه من النثر العربي وقد صنعه على غرار أطباق الذهب وأَطـواق الذهب في مائةِ جوهره))[2] وهي قِطعٌ أدبيةٌ حِكمية توجيهية كتبها بلغةٍ جميلةٍ عددها مئة جوهرة ويَتبيَّن من خلال قراءتها أَنها آخر كتاب يؤلفه، فقد أَرَّخها هو بنفسه سنة ١٠٩٨ هـ في نهاية الكتاب بردِّه بمقطوعة شعرية على مقطوعةٍ شعرية كتبها أحد أَصدقائه، ولا نعتقد بما ذهب إليه السيد أحمد الحسيني عندما قال أن آخر كتاب أَلَّفهُ مُهذِّب الدين البصري هو (ريحانة روضة الآداب) كان سنة ١٠٩٠ هـ[3].

---

(١) ينظر: مرآة الكتب، ص٢٧٤.

(٢) المُفصَّل في تراجم الأعلام، ١/ ١٣٨. هذا ما ذكره السيد أحمد الحسيني. وقد راجعت فهارس المخطوطات فوجدت أن كتاب أطواق الذهب هو مئة مقالة قصيرة مُسجَّعة مقفّاة فيها أنواع المحسنات اللفظية وهي في المواعظ والآداب والأخلاق لجار الله محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨هـ وموجودة نسخة المخطوطة في المكتبة الوطنية في طهران برقم ٢٨٤م وفي قم: مكتبة المرعشي برقم ٩٠٢٠ م وبالرقم ٨٨٠ م وفي كلية الإلهيات في مشهد (الحرم الرضوي) بالرقم ٦٤٧هـ وبالرقم ٥٥٦ م وبالرقم ٦٧ م وفي مركز إحياء التراث في قم بالرقم ٣٤٤٢.
أما أطباق الذهب فهي كذلك مئة مقالة أدبية قصيرة في المواعظ والآداب ملتزم فيها السجع والمحسِّنات اللفظية والصنائع اللغوية وهي لشرف الدين عبد المؤمن بن هبة الله المغربي من القرن العاشر الهجري ونسخه المخطوطة موجودة في مشهد: كلية الإلٰهيات نسخة مخطوطة بالرقم ٦٨٠ م وبالرقم ٦٤٧ م وبالرقم ٢٣ وهي من القرن العاشر الهجري أي عصر المؤلف. وفي مركز إحياء التراث في قم بالرقم ٣٤٦٧ وفي مكتبة المرعشي في قم بالرقم ٩٩٩٦ وكذلك ٩٧٩٩ و٩٠٢٠ و٨٨٠ م ومكتبة ملك في طهران ٦٣٩٣ وبالرقم ٥٧٨ وفي المكتبة الوطنية (ملي) بالرقم ١٠٤٠ وبالرقم ٣٨٣ وكذلك في مكتبة مسجد كَوهرشاد في مشهد بالرقم ٤٤ م وفي كلية الإلهيات في مشهد بالرقم ٥٥٦.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه، ١/ ١٤٤.

ويَتبيَّن من كلام مُهذِّب الدين البصري أنه أَلفه بعد تفسيره (المغاني) ففي الجوهَر التاسع والستين يقول: ((أتظنُّ يا غُرَّةَ السَرف أَنَّ دُرَّةَ الشَرَف تُدرك في غرفة التَرفِ أو في منافسة المغاني أو في مجالسة الغواني)) وعند مراجعتنا تفسير (المغاني) تَبيَّن لنا أَنَّه يؤمن بالاتجاه الإخباري إذ لم يكن مؤمناً بفكرة التقليد والإجتهاد وهي ميزة القرن الحادي عشر أي انتشار الإتجاه الإخباري في الفكر الشيعي، ففي الجوهر الرابع والسبعين يقول: ((فاعلم يا أبا المِلالِ، إنَّ التقليد أُمُّ الضَّلال وتَوأَم الإضلال والعِلم أَمنعُ مِمّا في الرِقاع وأَرفَع)).

أما عن نسخة المخطوطة (العِبرة الشافية والفِكرة الوافية) وهي نسخةٌ من مخطوطة (كتابخانة مركزي ومركز اسناد دانشكَاه تهران) المُرقَّمة بـ(٣٦١٠) وقياسها هو (١٤سم × ٢٤ سم) وكُتبتْ بخط النَسخ الجميل وهي بخط يوسف النجفي الجيلاني سنة ١٣٤٦هـ.

مؤلفاته:

هذا سردٌ بمؤلفات مُهذِّب الدين البصري حَسب ما ذكرها السيد أحمد الحسيني في كتابه المُفصَّل في تراجم الأعلام وما ذكره العلامة آغا بُزرك الطهراني في كتابه طبقات أعلام الشيعة[1]:

١- آداب المناظرة، أَلَّفَهُ سنة ١٠٨١هـ في حيدر آباد دكن وسُمّي في بعض المصادر (البحثية).

٢- الإثنا عشرية دعوات(*).

٣- أجوبة مسائل شرعية إحدى وثلاثون مسألة (يُنظر الجوابات).

٤- الأحمدية (في المنطق)[2].

٥- الأخلاق لَعلَّه رسالته (العبرة الشافية).

---

(١) يُنظر: طبقات أعلام الشيعة، الشيخ آغا بُرزك الطهراني، مؤسسة مطبوعات إسماعيليان، قم - إيران، د.ت، ٥/ ٦٠٠-٦٠١.

(*) الأدق الإثنتا عشرية (دعوات) لأن دعوة مؤنث فالأدق القول إثنتا وليس إثنا.

(٢) فاسمه (أحمد بن عبدالرضا).

٦- الآرائية في وجوب المسح على الرجلين.

٧- أصول الدين.

٨- أصول الفقه.

٩- الإعتقادات ذكر بعض المترجمين أَنّه مُؤلَّف سنة ١٠٦٨ ويَطلِقُ عليه آغا بُزرك الإعتقادية وقال كتبها في قرية أدكان ويجب الدقة في ذلك[1].

١٠- الإكسيرية.

١١- الإنتفاعات (في العقود والإيقاعات).

١٢- أنوار الصلاة وأزهار النجاة.

١٣- الأَنيس في الإقتباس النفيس (جملة من شعره).

١٤- البيتية (شرح أبيات مغلقة).

١٥- تجويد القرآن الكريم أنظر (التنضيدية).

١٦- تحفة ذخائر كنوز الأخيار في بيان ما يحتاج الى التوضيح من الأَخبار مجلدان تم تأليفه سنة ١٠٨١ في حيدر آباد.

١٧- التحفة الصفوية في الأَنباء النبوية أَلَّفَهُ سنة ١٠٧٩ في قندهار.

١٨- التحفة العزيزية فَرغَ منه سنة ١٠٨٦ هـ.

١٩- التحفة العلوية في الأحاديث النبوية.

٢٠- التنضيدية (في التجويد).

٢١- الجُمل والعقود.

٢٢- الجوهرية النفسية (كلماتٌ حِكميةٌ قصيرة).

٢٣- الجوابات عن المسائل الشايعة الإحدى والثلاثين مسألة كتبها سنة ١٠٧٧هـ في قرية شاه أنديز من توابع مشهد وذكر ذلك آغا بُزرك الطهراني ولم يذكره الحسيني.

٢٤- حبيبة الأَحباب (في الآداب والأخلاق).

---

(١) هذا غير دقيق إذا اتفقنا مع السيد أحمد الحسيني بأن ولادته كانت ١٠٦٠هـ.

٢٥- حساب عقود الأنامل.

٢٦- الحسد وقبائحه رسالة ربما سُمِّيت في بعض المصادر (الحد).

٢٧- خطّاب اللامعة الوافية في التصوف.

٢٨- خلاصة الزُبدة.

٢٩- خَلقُ الكافر أَلَفَّهُ سنة ١٠٧٧هـ وهو آخر كتاب أَلَفَّه في مشهد إذ ارتحل بعد هذا التأريخ الى بلاد الهند كما يذكر آغا بُزرك الطهراني.

٣٠- الدُّرة النجفية في أصول الفقه وقَرَّضهُ الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي بتأريخ ١٠٧٥هـ.

٣١- الدعوات (في المناجاة والفضائل).

٣٢- الرِحلَة.

٣٣- الرسالة الفلكية، أَلَفَّه سنة ١٠٧٧هـ في قرية أدكان من قُرى خراسان.

٣٤- رسم الخط، أَلَفَّه سنة ١٠٧٧هـ في قرية خاور من قرى خراسان.

٣٥- ريحانة روضة الآداب، أَلَفَّه في النحو سنة ١٠٩٠هـ.

٣٦- الزاهرة الجامعة (في الفرائض).

٣٧- الزُبدة (في المعاني والبيان والبديع).

٣٨- الزكاة والخُمس.

٣٩- السؤالية الحبيبية منظوم ومنثور.

٤٠- شرح البَسمَلة[1].

٤١- شرح الصحيفة السجادية توضيح لمشكلات ألفاظه[2] (كذا).

٤٢- الشرذمة (في الفصاحة والبلاغة).

٤٣- صلاة الليل رسالة أَلَفَها سنة ١٠٨١هـ.

٤٤- الصيد والذبائح (في وصف الآلات والأدوات).

---

(١) هي رسالة صغيرة من أربع ورقات أطلعتُ عليها.

(٢) أَلفاظها.

٤٥- ضياء الأئمة (في الزيارات).
٤٦- ظريفة النحوي وأخيه كتبها سنة ١٠٨٥هـ.
٤٧- العافية الوافية (في آداب الطعام والشراب).
٤٨- العِبرة الشافية والفكرة الوافية (كلماتٌ حِكمية).
٤٩- العِبرة العامة والفكرة التامّة (كشكول).
٥٠- العبقرية الأنيسة المعطوفة على الجوهرية النفسية، كلماتٌ حِكمية في مائة (عبقر) أَلَّفَهُ سنة ١٠٨٥هـ في حيدر آباد.
٥١- علم أصول الحديث.
٥٢- علم الصرف.
٥٣- عمدة الإعتماد في كيفية الاجتهاد أَلَّفَه سنة ١٠٨٠هـ في كابل.
٥٤- غوث العالِم في حدوث العالَم وَرَد القائلين بالقِدَم.
٥٥- فائق المقال في علم الرجال فَرَغَ منه سنة ١٠٨٥هـ في حيدر آباد، طبع دار الحديث في قم سنة ١٤٢٢هـ بتحقيق غلام حسين قيصرية[1].
٥٦- القطعة في الأدب.
٥٧- القيافة في دلائل الأعضاء، كتبها في حيدر آباد في الهند سنة ١٠٨١هـ ذكر ذلك آغا بُزرك الطهراني.
٥٨- الكلمة في أخلاق أهل زمانه.
٥٩- كليات الطب، أَلَّفَه سنة ١٠٨١هـ في شاهجان آباد ـ الهند.
٦٠- الكوكبية الصوابية (في الحساب).
٦١- لآلي المنطق، منظومة في المنطق.
٦٢- المؤنثات السماعية.
٦٣- المجموعة النفيسة، فيها إثنان (كذا)(*) وثلاثون رسالة من تأليفه.
٦٤- مشكاة الفلاح في العبادات والمُستَحبات.
٦٥- مصباح الصلاح ومفتاح النجاح، أَلَّفَه سنة ١٠٨٦هـ في قرية أدكان.
٦٦- معارج الدين ومناهج اليقين.

---

(١) وله تحقيق آخر.
(*) إثنتان.

٦٧- المغاني (تفسير القرآن الكريم)[١].

٦٨- المفردة الطبية كتبه في شاهجان آباد سنة ١٠٨٠هـ في الهند كما يذكر آغا بُزرك الطهراني.

٦٩- المُقنعة الأَنيسة والمُغنية النَفيسة، أَلَّفَهُ في الدراية سنة ١٠٧٩هـ في هراة[٢].

٧٠- المقيمية، أَلَّف[٣] (كذا) بطلبِ ملا محمد مقيم بن ملا محمد علي.

٧١- مناسك الحج، ثلاثون جوهره.

٧٢- المنهج القويم في تفضيل الصراط المستقيم في تفضيل علي (عليه السلام) على الأنبياء ما عدا الرسول الأعظم (ص).

٧٣- الموتية (رسالة).

٧٤- المهماتية، في واجبات الصلاة والمهم من أحكامها.

٧٥- النافعة في أعمال شهر رمضان.

٧٦- النُبذة المُفتَرَضة (في أُصول الدين).

٧٧- نُزهة الأولياء في تنزيه الأَنبياء.

٧٨- النصوحية في آداب التوبة.

٧٩- النصوص على الأئمة الإثني عشر (ع).

٨٠- النصيحة (رسالة أخلاقية).

٨١- النقد الجامع (دائرة معارف).

٨٢- الوجيزة الحقيقة[*] (كذا) في حرمة الغناء ومفاسده.

٨٣- الوضوء، رسالة.

وكان عملنا في تحقيق هذه المخطوطة الوحيدة هو مراجعة النص وتدقيقه

---

(١) ليس هذا هو التفسير الوحيد بل له تفسير المباني كذلك لم يذكره السيد أحمد الحسيني في المُفصَّل.

(٢) تم تحقيقه وقد ورد فيما سبق.

(٣) أَلَّفه

(*) الأدق الحقيقية.

وتصحيحه والرجوع الى المعاجم اللغوية لمعرفة المعنى، وشرح الكلمات الغريبة ما استطعنا، وتخريج الآيات القرآنية والترجمة لمجموعة من الأعلام الواردة، ولم نذكر كثيراً من الكلمات التي وردت خطأً في المخطوطة فقمنا بتصحيحها واكتفينا بقسمٍ منها.

والنسخة المعتمدة في التحقيق هي نسخة مكتبة جامعة طهران والمرقّمة ٣٦١٠ وهي بخط النسخ وهي النسخة الوحيدة والفريدة حسب بحثنا في فهارس المخطوطات وعدد صفحاتها ٣١٠ صفحة ذات أحدَ عشرَ سطراً وفي كل سطر عشر كلمات تقريباً.

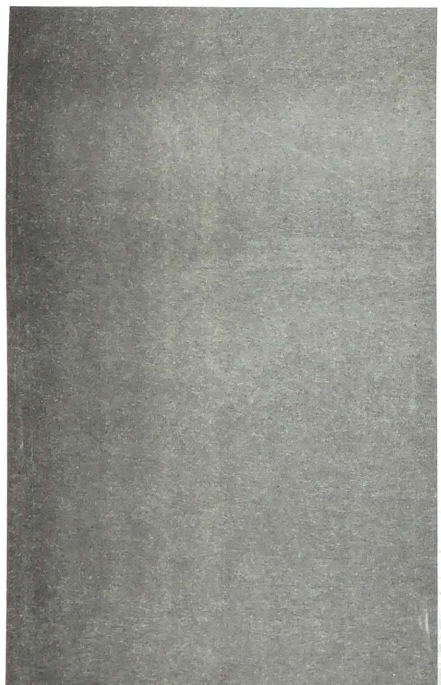

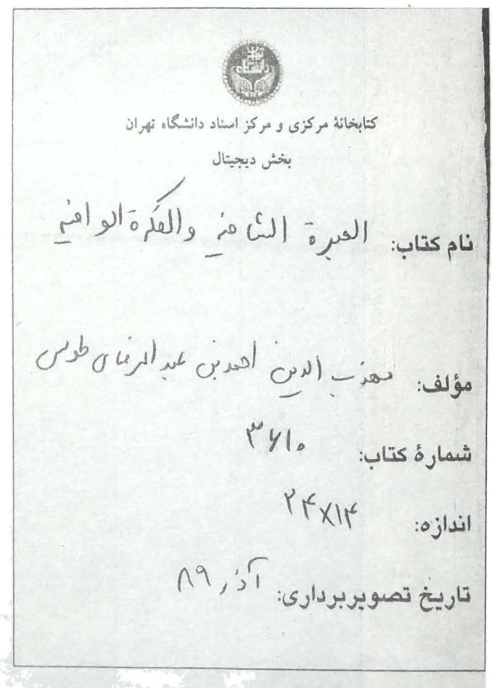

کتابخانهٔ مرکزی و مرکز اسناد دانشگاه تهران

بخش دیجیتال

نام کتاب: الجوهرة الثمينة والفكرة الواضحة

مؤلف: مهذب الدين احمد بن عبد الرحمان طوس

شمارهٔ کتاب: ۳۶۱۰

اندازه: ۲۴×۱۴

تاریخ تصویربرداری: آذر ۸۹

صفحة العنوان الفهرسة

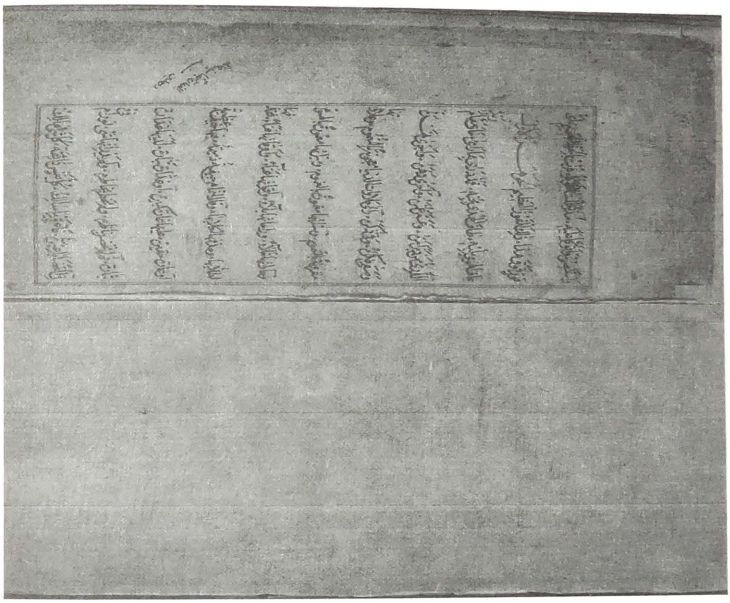

الصفحة الأولى

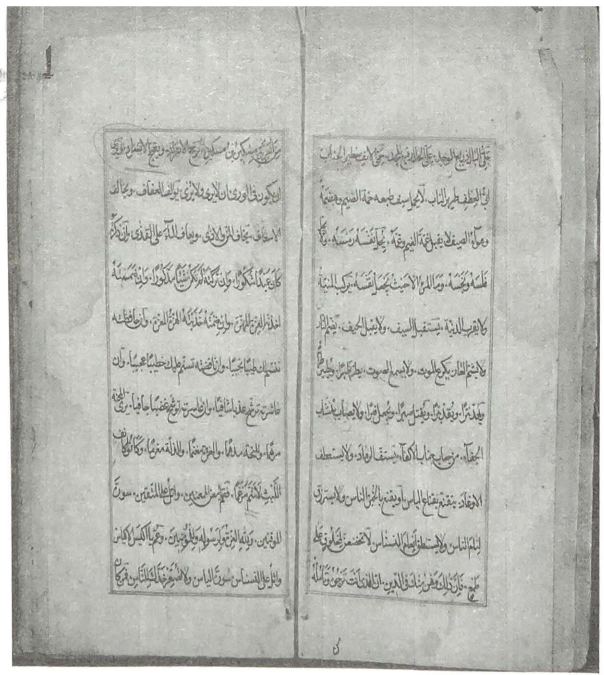

الصفحة الثانية
وأربعة

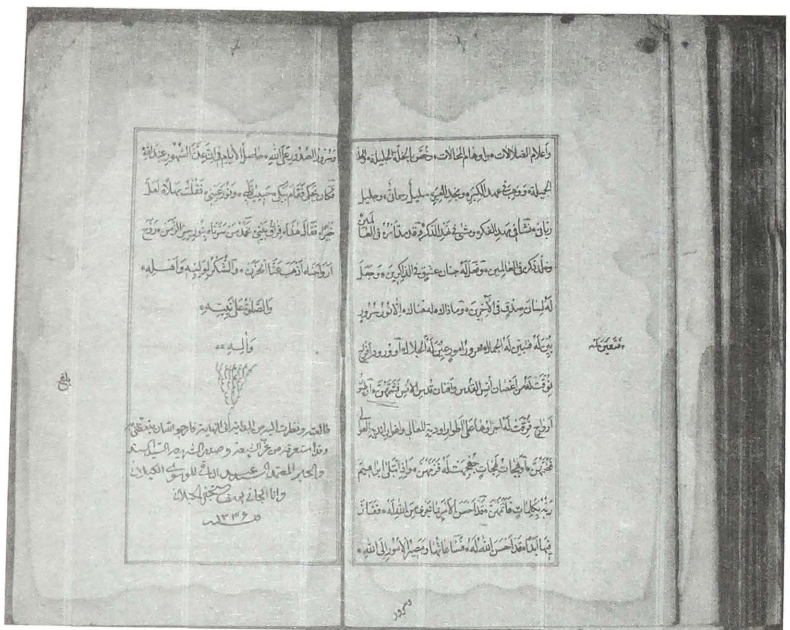

الصفحة ما قبل الأخيرة

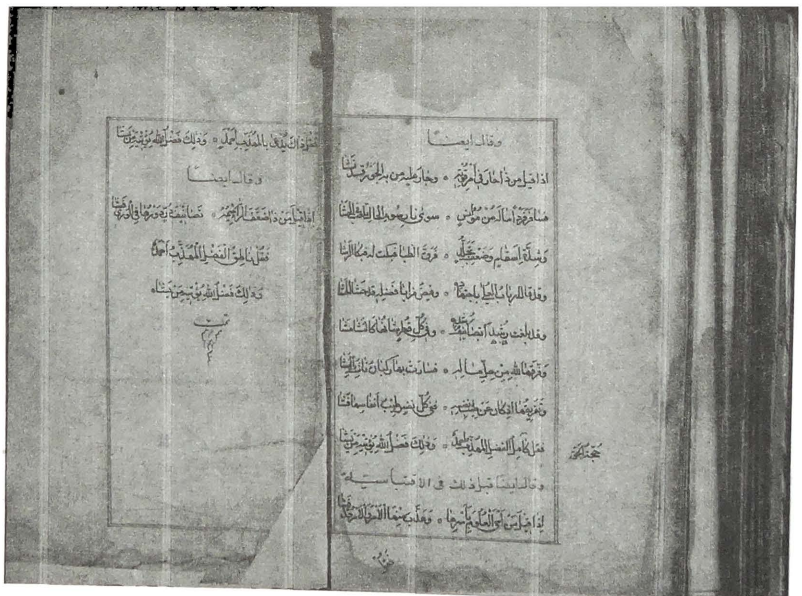

وقال ايضا

اذا قيل من ذا خار في أم رقيه ... وجار عليه من بلى الدهر قد نسا
فما رقيه أما لدى من مؤنس ... سوى زاد معروف لها سلف لنا
وشدة اسقام بضنى تجلت ... فرت الطبا منك له هابا رنا
وقلة اللهيا ما الحيا بلا حتها ... وغير ما أفضيله قد مثلك
وقد بلغت يد أبنا بك ... وكل فعالها ما كانت شاشا
وقد مها الله من حلى اله ... فسارت بها كالبان مائلة غصنا
وغرتها الدنيا من التبر ... من كل نبر طرب أضاء سناها
فضل لها والنصر للمدة طيبة ... وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

وقال ايضا قبل ذلك في الاقتباس له

اذا جئت باب العلم يأتيه راغبا ... فقد بعته الاوراد كل

وقال ايضا

اذا ما بدا في المنبر أحمد ... وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

وقال ايضا

أتاني بأن ذا المقام الرفيعه ... نصابية قد رمها في الدهر شا
فقل لملوك النصر للملة أحمد
وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

كتاب العِبرة الشافية والفكرة الوافية

بسم الله الرحمن الرحيم

واستنصرهُ وأَتوَكل عليه، مُذ تَكلَّلَتُ التَوكُلَ، فُزتُ بالحَظ الجسيم، أَيُّ فَوزٍ فَوقَ هذا، ذَلكَ الفوزُ العظيم.

الجوهر الأول

عَافَ الهوى بلبّهِ، طَافَ الهُدى بحبّهِ، فَمُذ دَرى بما رَأَى، خَافَ مَقامَ ربِّهِ. الدَّرِي[1] مَنْ دَبَّرَ أمرَه، وعَمَّر عُمرَهُ، وأَخرى دَهَرهُ، وأجرى نَهره، وصَفَّى فكرَهُ، وفَنى ذكرَهُ، رَأَى حلاوات الدُنيا مَعجُونةً بالسُّموم، وعَلاواتِها مَقرونةً بالسَّموم[2]، ومَسرَّاتها مغمورةً بالغموم، ومَبرَّاتها مَعمورةً بالهموم وحاراتها خلاءً، وراحاتها بلاءً وأقواتها عَناءً، وأَوقاتها فناءً فَقَذفَها لِطُلَّابِّها وحَدَفَها[3] لكِلابها، وقال إنَّما هي جِيفةٌ ذَميمةٌ، فيها خِيفة عَظيمة، أَو عارة[4] حقيرة، عليها غارة كبيرة، أو غدّارة تَبَّارة[5]، لَدَيها غدّارة بتَّارة[6]، ثم لم تَحضُر بناظره، ولم تَخطُر بخاطره، ولَم يَدرِ أنها شيءٌ نورٌ أم فَيء. في

(١) الدَّرِي ((الدَرُّ اللّبنُ، وفرسٌ دَريرٌ أي سريع، والدُرَّة: اللؤلؤة، ودَرَّ الضَرعُ باللبن يَدرُّ دروراً)) الصحاح، ١/ ٣٩٧ مادة (درر).

(٢) السَّموم ((السَموم: الريح الحارّة تؤنث، قال أبو عبيدة: السَمومُ بالنهار وقد تكون بالليل والحَرورُ بالليل وقد تكون بالنهار)) الصحاح، ١/ ٦١٣ مادة (سَمَّ).

(٣) حَدَفها: أي ألقاها.

(٤) عارة ((العَرّ بالفتح الجَرَب تقول عَرَّت الإبل تَعِرُّ فهي عارَّةٌ والمَعرَّة الإثم ويُقال استعرَّهم الجربُ أي نَشأ فيهم)) الصحاح، ٢/ ٩٦، مادة (عرر).

(٥) تَبّارة ((التَبارُ: الهلاكُ وتَبرَّه تتبيراً أي كسَّره وأهلكه)) الصحاح ١/ ١٣٥ مادة (تبر).

(٦) بتّار ((بتر: بترتُ الشيء تبراً قَطَّعته قبل الإتمام)) الصحاح ١/ ٦٩ مادة (بتر).

القضايا عِبرةٌ، فاعقِر يا سالِك، كُلَّ نَفسٍ ذائِقةٌ، كُلُ شَيءٍ هالِك، جَليُّ البال ذريع[1] الوجد عَليُّ الحال رفيعُ المَجد، حَمِي الأنفِ خطيرُ الجَناب أَبيُّ العِطفِ طرير[2] الناب لا يحمل سيف طبعه حَمّةَ[3] الضيم وهضَمهُ، وهواءُ الصيف لا يقبل غَمّةَ الغَيم وغَمَّهُ يُحِل نَفسَهُ رمسَه، ولا يحل فَلسَهُ وبَخسَهُ، وما المرءُ إلّا حيثُ يَجعلُ نفسَه، يركب المنية ولا يَقرب الدَنيّة، يستقبلُ السيفَ، ولا يقبلُ الحيفَ، يَضمُ النارَ ولا يَشتمُ العارَ، يكرعُ الموتَ ولا يَسمعُ الصوتَ يطرّ[4] طبراً، ويُطير[5] طُرّاً، ويُهدّ نَتراً[6]، ويُقدّ تبراً[7]، ويُقتَلُ صبراً، ويُجعَلُ قبراً، ولا يُصاب بنشابِ الجَفاءِ، من جِعاب جناب الأكفّاء[8]، يَستفّ[9] الرمادَ، ولا يَستَعطِفُ الأوغادَ، يَتَقنَّع بقناع اليأس، أو يقنع بالخُبز الناس، ولا يَسترزِقُ لِئامَ الناس، ولا يَستَنطِقُ أَنعامَ الناس[10]، لا تَخضَعَنَّ لمَخلوقٍ على طَمعٍ، فإنَّ ذلكَ وَهنٌ مِنكَ في الدّينِ، إنَّ الذي أَنتَ تَرجوه وتَأمُله من البَريَّةِ مسكينٌ

---

(١) ذريع ((فرسٌ ذَريعٌ واسع الخطوِ بَيِّنُ الذَراعة وقتلٌ ذريعٌ أي سريعٌ)) الصحاح ١/ ٤٣٩ مادة (ذرع).

(٢) طرير ((طَرَرتُ السِنانَ حَدَّدته، فهو مطرورٌ وطريرٌ وقد يكون الطَرُّ الشَقُّ والقطع ومنه الطَرّارُ، والطريرُ: ذو الرواء والمنظر قال العباس بن مرداس:

ويُعجِبك الطريرُ فَتبتليه ... فيُخلِفُ ظنَّك الرجلُ الطَريرُ

الصحاح مادة طَرَّ.

(٣) حمَّه ((الحَمُّ ما يبقى من الألية بعد الذَوب الواحدة حَمَّةٌ والحَمُّ ما أُذيب منها. والحَمَّةُ: العين الحارّة يستشفي بها الأعُلّاء والمرض وحممت حَمَّكَ أي قصدت قصدك... وحُمَّ بمعنى قُدِّرَ وحُمَّ الرجل من الحُمَّى والحُمَّة بالضم السواد وحُمَّة الحَرَّ مُعظمه وحُمَّةُ الفِراق ما قُدِّرَ وقُضيَ)) الصحاح ١/ ٢٠٣مادة حمم.

(٤) يطرُّ ((الطَرُّ الشَقُّ والقطع ومنه الطَرّار، وطَرَّت يده مثل تَرَّتْ أي سقطت يُقال: ضربه فأَطرَّ يَده أي قطعها وأَندَرَها)) الصحاح ٢/ ٣٤ مادة (طرر).

(٥) طُرّاً ((الطُرَّةُ: كفَّة الثوب وهي جانبه الذي لا هُدبَ له، والطُرَّة من السحاب وقولهم: جاءوا طُرّاً أي جميعاً)). الصحاح طَرَّ.

(٦) نتراً ((النَترُ حذب في جفوة والطعنُ النَترُ مثل الخلسِ والنَتْرُ بالتحريك الفساد والضياع)) الصحاح ٢/ ٥٣٩ مادة (نتر)، ويُهدّ ((هَدَّ كسر وأَوهن والتهديد التخويف وكذلك التَهدُّدُ)) الصحاح ٢/ ٦٣٣ مادة (هدد).

(٧) تبراً ((التِبرُ ما كان من الذهب غير مضروب)) الصحاح ١/ ١٣٥ مادة تبر.

(٨) الأكفّاء ((أكفاءٌ أي كرام)) أساس البلاغة ٢/ ٣١٢ مادة كفأ.

(٩) يَستفّ ((أَسفَّ وَجهه أي ذَرَّ عليه، وأَسفَّتِ السحابةُ إذا دَنت من الأرض وفي الحديث: كأنما أُسِفَّ وجههُ أي تغيَّر وجهه فكأنه ذُرَّ عليه شيءٌ)) الصحاح ١/ ٥٩٢ مادة سفف.

(١٠) النساس ((النَسيسة: الإيكال بين الناس والنساس النَمائِمُ)) الصحاح ٢/ ٥٦٢ مادة نسس.

بنُ مسكين، يُرجِّح الانفراد ويُقبّح (كلمة غير معروفة)[1] ويرى أن يكون في الورى أن لا يَرى ولا يُرى يوالف العفاف، ويخالف الأسعاف[2]، يخاف المَنْ والأذى، ويعاف الماءَ على القذى، إن ذكَرتهُ كان عَبَداً شكوراً وإن تركته لم يكن[3] شيئاً مذكوراً، وإن ضَممتَهُ أخذته العِزّةُ المُهزَّة[4]، وإن ضمّته خذبته الهَّزة المُعزّة، وإن حافظته تَنسَّم لك طيباً نجيباً، وإن ناقضتهُ تَسَنَّم[5] عليك خطيباً عجيباً، وإنْ عاشرته تَرشَّحَ عذباً شافياً، وإنْ عاسرتَهُ تَوشَّحَ[6] غضباً جافياً، يرى المِحنة مَرهماً[7]، والمنحة مدهَماً[8]، والعِزة مغنماً، والذِلَّة مغرماً[9]، وكانوا كأنف الليث لا تَشم مَرغماً، فَقُم بامعن الممعنين، واتْلُ على المُتقَين، سورةَ المُوقِنين، ولله العِزة ولِرسوله وللمؤمنين، وعُم يا أكيس الأكياس واتلُ على النسناس سورة الياس[10]، ولا تُصعِّر خدَّك للناس، فمَنْ كان دَرِي[11] البال،

---

(١) كلمة غير واضحة.

(٢) الأسعاف ((الأَسعفُ من الخيل الأشيب الناصية، فإذا ابيَضَّت كلها فهو الأَصبغ وأسعفتُ الرجلَ بحاجته إذا قضَّيتها له والمُساعفة: المواتاة والمساعدة)) الصحاح ١/ ٥٨٩ مادة سعف.

(٣) في الأصل لم تكن.

(٤) المُهزَّة ((هَززتُ الشيء هَزّاً فاهتزَّ أي حرَّكته فَتحرَّكَ. يُقال: هَزَّ الحادي الإبل هَزّاً فاهتزَّت هي إذا تحرَّكت في سيرها لحُداثه، والهِزَّةُ بالكسر النشاط والارتياح وصوت غليان القِدر وهزز الريح دويَّها عند هَزِّها الشجر)) الصحاح ٢/ ٦٤٠ مادة هزز.

(٥) تَسَنَّمَ ((السَنامُ واحد أسنَمةِ الإبل، وسَنامُ الأرضِ نحرها ووسطها ونبتٌ سُنِمٌ أي مرتفع وتَسنّمه أي علاه وتسنيمُ القبرِ خلاف تسطيحه)) الصحاح ١/ ٦١٩ مادة سنم.

(٦) توشَّحَ ((الوُشاحُ الوِشاح شَيءٌ يُنسَجُ من أديم عريضاً ويُرصَّع بالجواهر وربما قالوا توشَّحَ الرجلُ بثوبهِ وبسيفه والوَشحاء من العنز المُوشَّحة ببياضٍ)) الصحاح ٢/ ٦٩٠ مادة وَشَحَ.

(٧) مَرهماً ((المَرهَمُ كمقعَد طلاءٌ ليِّنٌ يُطلى به الجُرحُ مُشتقٌ من الرِهَمة للينهِ، ورجل رهوم ضعيف الطلَب)) القاموس المحيط ٤/ ١٢٥ مادة الرِهَمةُ.

(٨) مَدهما ((الدَهمُ العدد الكثير والجمع دهوم والدُهمَةُ السواد ومنه فرسٌ أدهم والدَهماء سحنةُ الرجلِ ودَهماءُ الناس جماعتهم)) الصحاح ١/ ٤٢٠ مادة دهم.

(٩) مغرماً ((رجلٌ مُغرَمٌ بالحب حبِّ النساء ومنه قولهم رجلٌ مُغرَمٌ من الغُرمِ والدّين)) الصحاح ٢/ ١٩٦ مادة غرم.

(١٠) أي سورة يس.

(١١) دَري ((ناقةٌ دَرورٌ أي كثيرة اللبن وفَرسٌ دَريرٌ أي سريعٌ، والكوكب الدُرِّيُ: الثاقب المُضيء، ويُقال: هما على دَرِرٍ واحد بالفتح أي على قصدٍ واحدٍ ونحن على دَرَرِ الطريق أي على قَصدهِ ودَرَرُ الريح أيضاً مَهبُّها)) الصحاح ١/ ٣٩٦ مادة درر.

كان دُرِيَّ الإقبال، ومَنْ كان رَدِيّ[1] الحال كان رَدِيّ المآل، وَمَنْ كان من المُعتَبرين، كان من المُختَبَرين، ولم يكن من المتجبِّرين، أَليسَ في جهنم مثوىً للمتكبِّرين، كَيفَ والكُلُّ يوافيها، ويُقال لهم اخسَئوا(*) (كذا) فيها، فَقُلْ لُمصعِّر الخد، ومُصَعِّر الجَدِّ، خَلِ عنك الكِبرَ واعلم أنه شر، الشرور، لا يَحبّ اللهُ رَبي، كُلَّ مختالٍ فخور.

(١) رَدِيُّ ((وشيءٌ رَدٌّ أي رديء وفي لسانه رَدّ أي حُبسَةٌ وفي رَدَّةٌ أي قبحٌ مع شيء من الجمال والرَدِيُّ الفاسد من رَدُؤَ الشيءُ يَرْدُؤ رداءةَ)) الصحاح ١/ ٤٧٤ مادة ردد.

(*) الأدق اخسأوا.

الجوهر الثاني

قد أُكمِلت أُمورهُ، من رَبَّه بجُبّه[1]، لِحُبّه من لُبّهِ، يرجو لقاءَ ربه الكامل حق الكامل العالم العامل الخاشي من رَبّه، الماشي بلبه الى حُبّه، قد اتخذ الطاعةَ صناعةً، والاستطاعة بضاعةً، والصلاحَ رَوِّيةً، والفلاح طوية، والصبر طبيعةً، والشكر ذريعة، إنْ أثرى جَعَلَ يساره مَعدوماً، وإنْ أقوى رأى فقاره مأدوماً، يَذرُ ما يغذيه طاوياً، وما يرويه صادياً، يدع ما يربنَّه الى ما يزينه، وما يُرديه الى ما يُدريه، وما يعييه الى ما يعنيه، وما يبعده الى ما يسعده، وما يدفعه الى ما يرفعه، وما يذله الى ما يُجلّه، وما يلقيه، الى ما يُرقيه، يطلق كفَّهُ وينفق أَلفهُ يدفع فلسه ليرفع نفسه، ويجود بدرهمه ليعود بمرهمه، وينفي دينارهم ليطفي ناره، ويَجوز عن أمواله، ليفوز بآماله، بذلاً أموالي جمالي إنما مالي كمالي، لا يعرف إلاّ مَنْ خَلقَه وصَورَّه، ورَزَقَه وأَقدره، ما لكم من دونه فاعبدوه وحده، وابتغوا من فضله كل شيءٍ عنده، متوكلٌ عليه، متوصِّل إليه، جاعل وساده رُغاماً[2]، قائلٌ أنَّ عذابها كان غراماً، قد بالغ القوم في خَوفهِم، حتى استقاموا فلم يَنحَنوا، فلما إنتهى الخوف ناداهم، أن لا تخافوا ولا تَحزنوا، خال من مطارف تكلف الناس، عالٍ عن زخارف تعسّف النسناس فاضل فاضل، باسلٌ ناسل[3]، شاهد ساهد، ماجدٌ جاهد، راهبٌ هارب، ساغبٌ[4] لاغب[5]، جوفٌ خالٍ وثوبٌ بالٍ، وعقلٌ

---

(١) بجُبّه: ((الجُب: البئر التي لم تُطوَ وجمعها جبابٌ وجَبيّة)) الصحاح ١/ ١٦٨ مادة: جبب.

(٢) رُغاماً: ((الرغام: بالفتح التراب والمُراغم: المَذهب والمهرب، قال تعالى: ((يجد في الأرض مُراغماً كثيراً)) وقال الفرَّاء: المراغم المضطرب والمذهب في الأرض)) الصحاح ١/ ٤٩٢ مادة: رغم.

(٣) ناسل: ((النَسيل: العسل إذا ذاب وفارق الشمع والنَسيل والنُسال بالضم ما سقط من ريش الطائر وَوبَر البعير وغيره ونَسَل الثوبُ عن الرَجُل سقط ونَسَلَ في العدو يَنسِل نسلاً ونسلاناً أي أسرع وقال تعالى: ((الى ربهم يَنسِلون)) الصحاح ٢/ ٥٦٤ مادة: نسل.

(٤) ساغب: ((سَغِبَ بالكسر يَسغَبُ سَغباً أي جاع فهو ساغِبٌ وسَغبانٌ وإمرأة سَغبى ويتيم ذو مَسغَبة أي ذو مجاعة)) الصحاح ١/ ٥٩٠ مادة: سغب.

(٥) لاغب: ((رجلٌ لغبٌ بالتسكين أي ضعيفٌ بَيِّنُ اللغابة فلانٌ لغوبٌ أي أحمق)) الصحاح ٢/ ٤٤٧ مادة: لغب.

والٍ، ومجد عالٍ، وعقب مشقوق، وذيل مفتوق، وفتىً معشوق، وتَقيّ مغيوق، وَوجَهُ مصفرٌّ، عليه فرٌّ وثوبٌ أسمال لديه جمال، ومنظرٌ حقيرٌ له مخبرٌ خطير:

لله تَحتَ قباب العـــزّ طائفـــةٌ أخفاهم في رداء الفَقرِ إجـــلالا
هَم السلاطينَ في أطمار مَسكنة استعبدوا من ملوك الأرض أقيالا
غبرٌ ملابسهـــم شُمٌّ معاطسهُم[1] جَرّوا على قلل الخضراء أذيـــالا
هذي المناقب لا ثَوبان منَ عَـذَل خِيطا قميصاً فعُدا بَعـــدُ أسمالا
هذه المكارم لا قَعبان من لبـــنٍ شِيبا بماءٍ فعادوا بَعـــدُ أبـوالا

هم الذين تَرَفرَفَتْ بالمَحبَّةِ أنوارهُم، وتَهفهفَتْ[2] بالمَودَّةِ أنوارهُم، هم الذين طبعوا على الحرية السرية، والفطرة الدرّية، أولئك همُ خيرُ البريّةِ، هم الذين جُبلوا. بُعداء عن التَعسّف، سَعداء عن التكفف، وبُراءَ من التكلّف، يَحسَبهم الجاهل أغنياءَ من التعفف، أولئك على هدىً من حُبهم وأولئك هم المُصلِحون، أولئكَ على هدىً من ربهم وأولئك هم المُفلِحون، فاعرفه وحدَه وكُنْ عَبدَه، فَكلُّ شيءٍ عنده، إنّ مَنْ سنخُ[3] الغِنى منه يُغني عَبدَه، فاقصدنَه أنه، كُلُّ شيءٍ عنده.

---

(١) معاطِسهُم: ((المَعطِس مثال المَجلِس الأَنفُ وربما جاء بفتح الطاء)) الصحاح ٢/ ١٢٨ مادة: عَطَسَ.

(٢) تهفهف: ((إمرأةٌ مهُفهفةٌ أي ظامرةُ البطن ومُهفَّفةٌ أيضاً والهفو الجوع ورجلٌ هافٍ أي جائعٌ والهَفاة المطرة. والريح الهَفّافة الساكنة الطيبة وقميصٌ هفاف وهفهافٌ أي رقيقٌ شفاف وريش هَفافٌ، والهفيف سرعةُ السير واليهفوفُ الجَبانُ)) الصحاح ٢/ ٦٤٣ مادة: هفهف.

(٣) سَنُخُ: ((السِنخ: الأصل وأسناخ الأسنان: أصولها وسنخ في العلم سنوخاً، رَسَخَ فيه وسَنِخَ الدهن بالكسر لغة في زَنِخَ إذا فَسَدَ وتَغيَّرت ريحُه)) الصحاح ١/ ٦١٧ مادة: سنخ.

طُوبى له قد صَحَّ إيمانُه، وصَحَّحَ الكونَ مع الموقِنين فكيف لا طُوبى وطُوبى له، والله ذو فضلٍ على المؤمنين، المؤمن جَلّيُ الخيرِ خَلّيُ الضَّيرِ، جليلُ البركة، جميلُ الحركة، وثّابٌ الى المساجد، تَوّابٌ الى المَشاهِد، أوّاب الى الثواب، أوّاه من العقاب، قَصيٌّ مرامي النظر، عَليٌّ مرامي الخطر، رَفيعٌ المصاعد، مَنيعُ المقاعد، نَزّه طرفيه ومَزّقَ صَفّيه، وبَسَطَ كفّيه، وأنفقَ أَلفيه، وفارقَ إلفَيه، وغَسَلَ من الدنيا يديه، ولم يُصعِّر خديه، وأبقى المال لربه، وأتى المال على حُبه، وتَخلّى للعبادة، وتَجلّى بالسعادة، فهذا قد قَرَعَ قُبّةَ التقوى وعَلّاها، وسما رتبة الطاعة الى أعلاها وعُلاها، فطوبى لسُبّاقٍ يعرجون الى بقاع أَمَرَ اللهُ أن يفرع، ويَعرجونَ على بيوتٍ أَذنَ اللهُ أن تُرفَع، يطيرون بأفراح ويتَوجّدون وهم يَتَهجّدون، يصلون ويُصلَون[1]، ويسجدون وهم الأعلون، ويكثرون الذكرَ ويعددون، وينثرون الدُرَّ ويعددون ويُغنون بدوي الزجل، ويفرقون لنَعيّ الأجل، ويَشرقون بريق الخَجل، ويغرقون في طريق الوَجَل، ولهم أزيزٌ كأزيز المَرجَل، إذا نام ليل الهَوجَل[2]، ذَكّرتني عهوداً، يا زَيد زِد وغَني، والله يا حبيبي أَنّي ظننت أني، فيا قوتي قومي فَقَوَمي تَقوّموا، هم القوم كل القوم يا أُمَّ عامرٍ، أما والذي جَعلَكِ حُرّةً، وكان سعيكم مشكوراً، قد جاوروا بالمنايا رباً قديراً. ياليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً.

---

(١) يصلون: ((وصل بمعنى اتصل أي دعا دعوى الجاهلية وهو أن يقول يالفلان، وقال تعالى: ((إلّا الذين يَصلون الى قوم)) اي يَتّصلون والوَصل ضد الهجران وتوَصّل إليه أي تلَطّف في الوصول إليه وواصَله مواصلةً ووصلاً ومنه المواصلة في الصوم وغيره)) الصحاح ٢/ ٦٩٣ مادة: وصل.

(٢) الهوجل: ((الهَوجلُ من الإبل: السريعة مثل الهوجاء، والهوجل الرجل الأهوج والهوجل الفلاة لا أعلام بها، وقال الأصمعي: الهوجل الأرض تأخذ مرةً هكذا ومرةً هكذا)) الصحاح ٢/ ٦٣١ مادة: هجل.

سُحقاً له من جاهلٍ، تَبَّتْ يدا أبي لَهب، أصـلاً كأن لم يأتهِ، كل إمرءٍ بما كَسَبْ، فأُيها النافر لقاعد، والساهرُ لراقدٍ، والجامعُ لراصدٍ، والـزارع لحاصدٍ، والـحـاوي لـبـاذلٍ، والـطـاوي لآكـلٍ، والصانع لجالسٍ والقاطع للابسٍ، والتاركُ لباركٍ، والذاهبُ مذاهب الذهب، والطالبُ مطالبَ الطلب، والخارصُ[1] خرصَ الكفان، والحارصُ حرص الفانِ، والمفارق للمفروض، وقد ظَعَنَ زمانك، والمقارف للمرفوض، وقد وَهَنَ جثمانُك، قُلْ لي الى متى الاتصاف بنحو هذه الخصال الرَديّة، والإنعطاف على مثل هذه الأفعال الردية، ترفع المآل الى المال، وتدفع الأعمال بالآمال، تستطيب وَقْدَ النار، [كلمات مخرومة]، ونَقَلَ الرماد، وأَكَلَ السماد، للأولاد، وتَبذُلَ (مخرومة) بالكفر، وتحولَ الجبال بالظفر للزنابير الصفر، وتُصادَم الأُسود، وتقاومَ الحسود للدراهم السّود، ونسفَ الجبال، نتفَ السبال، لدلال المبال، تأبى التوكل طبيعةً، وترى التذلّل شريعةً، فإنْ رُزِقَتَ لعيقةً[2] رأيتها صنيعةً، أو قرصةً انتهزتها فرصة، أو كرشاً، تحبسه قرشاً، أو درهماً تراه مرهماً، أو براً تراه دُرّاً، أو بلاءً تخاله علاءً، أو حريقاً تَظنُّه رحيقاً، تلازم السلطان، وتنادم الشيطان، تُصاحب الفُسّاق وتُراقِبُ العُشّاق[3]، ترتكبُ العظايم، تحتقبُ المظالم، تخطف رياش الغير، وتنتف ريشَ الطير، فلا هَمَّك إلّا ضبط الدِرهَم، ولا ربط الأدهم، تَجوعُ يوماً لتخدعَ قوماً، وتَسهَرُ ليلاً، لتقهر نبلاً، قَدُّكَ كالنخل الباسق

---

(١) الخارص: ((الخرصُ: حَرزُ ما على النخل من الرطب تمراً، وقد خَرصتُ النَخَلَ، والخرَّاص الكذّاب، وخَرِص الرجل بالكسر فهو خِرصٌ أي جائع مقرور، والخُرصُ والخِرصُ بالضم والكسر الحَلقة من الذهب والفضّة والخُرصُ والخَرصُ والخِرصُ ما علا الجُبّة من السنان والخُرصُ والخِرصُ الجريدُ من النخل)) الصحاح ١/ ٣٣٨ مادة خرص.

(٢) لعيقةً: ((لَعِقَ أصابعه ولِعقَ العسل بالمعلقة والملاعق)) أساس البلاغة ٢/ ٣٤٤ مادة: لعق.

(٣) العُشّاق (العارفين).

وقلبك كالليل الغاسق، عينك نديةُ المَدامع، ونَفسكُ دنيةُ المطامع، تتكفف عن كشرٍ[1]، وتَتكلَّف وأنتَ مُثرٍ، فَتركَبُ مطيةَ الخطر، وتَسحَبُ بَليَّة الوطر، فَتشحَذُ أبناءَ غطفان، وتبكي بكاءَ اللهفان، وتجعل ماءَ الأجفان ثَمنَ الرغفان، وماءَ الوجنتينِ ثمن الجفنتينِ، وماء الوَردَتين ثمنَ البُردَتين وماءَ الجبنتين ثمنَ الوَهنَين[2]، فتجد الله لهجاناً، وإنْ لم تبكِ مجّاناً، بل تأخذ تِبرًا وهجاناً[3]، وتنثر دُرّاً ومرجاناً، فإذا سألتَ فبكاء وتزعزعاً، وإذا أخذت فمكاء[4] وترعرعاً[5]، فلست إلّا كالكلب الجريّ، العاضَ على اللَّحم الطريّ، بالناب الفري[6]، يُقرَعُ بالعصا، ويُتبع بالحصا، ليلفيه من نابه ومخلبه، لمَنْ هو في طلبه، فلا يلقيه إلّا في كوره مِعدته، وسورَة فورته، فمَثلك لا يقبله التراب، فكيف تَقبَّله الأتراب، ولا يُقبر في النواوييس، فكيف يُحشر في الفراديس، فليت شعري لِمَ تحبّ هذه الدَنيَّة، وتَخِبُّ[7] لهذه المنية، السِرور فاستمرَّ، أو لسريرٍ فاستقرَّ، أو لعيشٍ فعاش، أو لعريشٍ فناش، أو لجمالٍ فاقام، أو لمجالٍ فاستقام، أو لزمانٍ وفا فما غدر، أو لأوانٍ صفا فما كدر، أو لصديقٍ صادق فصدقت صداقتُه، أو لرفيق رافق فرفقت رفاقته، أو لقلبٍ فَرِحٍ فلم يَتقرَّح بأقسام الآلام، أو لجسمٍ صَحَّ فلم يَتجرَّع بالآم الأسقام، أو لصوابٍ فَثُوب، أو لثوابٍ فَصوِّب، أو لذخرٍ فَعمَّ، أو لأجرٍ فَتمّ، فهل أصبحتَ فَرِحاً، ألآ أُمسيت ترحاً، هل

---

(١) كشر: ((كَشَرَ البعيرُ عن نابه أي كشف عنها قال ابن السكيت الكَشْر التبسُّم)) الصحاح ٢/ ٣٩٥ مادة كشر.

(٢) الوَهنين: ((الوهنُ الضَعف، والوَهنُ من الإبل الكثيف والوَهنُ نحو من نصف الليل والمَوهِنُ مثله قال الأصمعي هو حين يُدبر الليل، والواهِنة القُصيرى وهي أسفل الأضلاع وإمرأةٌ وهنانةٌ فيها فتور وأناة)) الصحاح ٢/ ٧١٧ مادة وهن.

(٣) هجان: ((الهِجان من الإبل: البيضُ قال عمرو بن كلثوم. (هجان اللون لم تقرأ جَنيناً). وأرضٌ هِجانٌ طيّبة التَرب وإمرأةٌ هِجانٌ كريمةٌ)) الصحاح ٢/ ٦٣١ مادة: هجن.

(٤) مكاءٌ: ((المُكَّاءُ طائرٌ، وقد مَكا يمكو مَكواً ومكاءً صفر)) الصحاح ٢/ ٥٠٨ مادة مكا.

(٥) ترعرعا: ((تَرعرَعَ الصبِّ أي تحرَّك ورعرعه اللهُ أي أنبَتَه، وشابٌ رعرعٌ ورعراعٌ أي حسنُ الاعتدال في القوام)) الصحاح ١/ ٤٩٠ مادة رعرع.

(٦) الفري: ((افترَّ فلانٌ ضاحكاً أي أبدى أسنانه)) الصحاح ٢/ ٣١ مادة فرر.

(٧) تَخِبُّ: ((الخَبُّ والخِبُّ الرجل الخدَّاع، الجربز والخَبَبُ ضربٌ من العَدو)) الصحاح ١/ ٣٢٦ مادة خبب و((خبَّ فسدَ وخبَّ الفرسُ خبيباً، وأصابهم الخَبَّ إذا إلتوت عليهم الرياح واضطربت الأمواج طال وارتفع)) أساس البلاغة ١/ ٢١٢ مادة خبَّ.

أمسيتَ مبتهجاً، ألآ أصبحت منزعجاً، وهل أصبحتَ آمراً، ألآ أَمسَيتَ مأموراً، وهل بتَّ غامراً، ألآ ضَللَّت مخموراً، فكم مَنْ بات أميراً، فأصبح فقيراً، وبات موسِراً، فأصبح مُعسِراً، وبات مستقيماً فأصبح سقيماً، وباتَ مالكاً فأصبح هالكاً، فما لذتك في دار عُسرها ظماء، ويُسرها عَناء، وفاقِدُها خميص[1]، وواجدُها حريص، وطالبُها مُخفِق، وصاحبُها مُشفِق، وآملُها ساغب[2]، وحامِلُها لاغب[3]، ما الدُنيا إلّا متاعٌ قليل، وصُداعٌ طويل، دارُ غرور، وجسرُ ممرور، وقنطرة مسلوكة، لا منظرة مملوكة، حانوت لا يُقطن إلّا للتجارة، ومبيت لا يُسكن إلّا بالإجارة، غدّارةٌ جَلحاء[4]، غرّارةٌ قبحاء، بالِعةُ الأخيار، قاطعةُ الآثار، مسرّاتُها مقرونةٌ بالغَمّ، وحلاواتها معجونةٌ بالسمّ، فاترك هذه الدَنيَّة، وافرك هذه البلية، فإلى متى تَتكلَّف زخارفها الرديَّة، وقد صار الظهر حنيّةً بالية، والى كم تَتَعسَّف مطارفها الرديّة، وقد غار الأمر أمنيةً خاليةً، فاخبرني إذا أنفق المرضُ، وتحقق الحَرض[5]، ودَقَّت الداقّة، وحَقَّت الحاقّة، ووقعت الواقعةُ وقرعتْ القارعةُ، وصعقت الصاعقة، ونعقت الناعِقة، وحَلَّ الأجل، وجَلَّ الوَجلُ، وحان الرحيل، وخان الخليل، واختلف الطبيبُ والعليل، وأَتلفَ الغسّال[6] والغسيل. والعائد يسدد عينيه، والوارد يُمِّددُ يديه، والطبيب يُقلِّب كفيّه، وتَطلَّب خُفيه، والحبيب ساهٍ، عن أمرِكَ ولاهٍ، حتى إذا اغبرَّ لونُكَ، واصفرَّ كونُك، وانقطع

---

(١) خميص: ((رَجلٌ خميصٌ أي ضامرُ البطن والجمع خِماصٌ)) الصحاح ١/ ٣٧٣ مادة: خمص.

(٢) ساغب: ((سَغِبَ بالكسر يَسغبُ سغباً أي جاع فهو ساغبٌ وسغبانُ، وإمرأةٌ سغبى ويتيمٌ ذو مَسغبةٍ، أي ذو مجاعة)) الصحاح ١/ ٥٩٠ ماة: سَغَبَ.

(٣) لاغب: ((رجلٌ لغبٌ بالتسكين أي ضعيفٌ بيِّنُ اللغابة، فلانٌ لغوبٌ أي أحمق)) الصحاح ٢/ ٤٤٧ مادة لغب.

(٤) جلحاء: ((الجَلَحُ فوقَ النزع وهو انحسار الشعر عن جانبي الرأس أَولهُ النزعُ ثم الجلح ثم الصَلع والأجلح من الهوادج الذي ليس له رأسٌ مرتفعٌ وبقرٌ جلّحٌ أي لا قرونَ لها، والمُجلِّح الرجل الكثير الأكل والمُجلَّحُ المأكول والمُجالحة: المكاشَفة بالعداوة والمُجالح المُكابِر)) الصحاح ١/ ١٩٨ مادة جلح.

(٥) الحرض: ((رجلٌ حرضٌ أي فاسدٌ مريضٌ يُحدِثُ في ثيابه واحده وجمعه سواءٌ، وقال أبو عمرو الحَرَضُ الذي أذابه الحزنُ أو العشق، وأحرَضه الحبُّ أي أفسده وأنشد للعرجيّ:

إنـي امـرؤٌ لـجَّ بـي حُـبٌّ فأحرَضني ... حتّى بُليتُ وحتى شَفَّني السَّقَمُ))

الصحاح ١/ ٢٥٣ مادة: حَرَضَ.

(٦) الغسّال: مُغسِّل الأموات، والغسيل الميت.

نَفَسُك، وارتفع حَرسُك، وفَسَدَ حسُّك، وبرد مسُّك، وكرّت مَنيتُك، وفَرَّت أُمنيتُك، وفاضَ رُوحَك وغاض رَوحك، ونفذ أمرك، وخمد جمرك، وانطوى زمانك، وخوى جثمانُك، وتبقى في منزلك الذي رَوَّقته، ومعزلك الذي زَوَّقته، ومالك الذي لفَّقته، ومنالك الذي نَوَّقته، كضيفٍ يُملُ فَيُذَل، فيُجفى كروباً، ويخرج وجوباً، أَينفعُكَ حينئذٍ منزلٌ ابتنَيتهُ، أم مالٌ اقتنيته، أيسعفك يَومئذٍ حلالٌ أَصبتَه، أم حَرامٌ غَصبتَه، أم مشتبه كسبته، أم مجهول كبسته، أم نَشَبٌ حَصَّنتَه، أم عَقبٌ حضنته، أم ربعٌ أسسته أم نبعٌ غرسته، أم فلكٌ صَنعتَه، أم مُلكٌ وسَّعتَه، أم درهمٌ ضبطته، أم أدهمٌ ربطتَه، أم حطامٌ جمعته، أم نظامٌ وضعته، أم قفرٌ حرثته، أم وفرٌ ورثته، كلا لا ينفعك أمرٌ منها صَحبَته، ولا ظهرٌ منها رَكبتَه، ثم كلا لا يسعفك فَيءٌ غَنمتَه، ولا شيءٌ عدمتَهُ، كَثُرَ أم قَلْ، حَقُرَ أم جَلّ، لا يُنجِيكَ ممّا يُعيبك، إلّا خيرٌ أدركتَه، أو خيرٌ تركتَهُ، أو حقٌّ أمضيته، أو ذو حقٍ أرضيته، فَقُم يا نايم، واستقم يا هايم، وتَبدَّل يا حاير، وتَعدّل يا جاير، ويحَكَ يا أسير الدَنيّة، وكسير البليّة لقد تَعدَّيت من الحضور، الى بادية هاوية النفور، فلا يبلغك كلامي ولا ندائي، وتَردَّيت من السرور الى هاويةٍ بادية الغرور، فلا يبلغك كلامي ولا ندائي، أينك أينك، فافتح عَينك، واخرج من فظيعة الفضيحة، واعرج الى صنيعة النصيحة، واتقِ اللهَ، ولا تعصي اللهَ، في أولادٍ سوءٍ وشرٍ، لا ضوءٍ وبِرّ، إذا بَدَرَ المرض غابوا، وإذا حَضَرَ الموتُ ذابوا، ثم ثابوا، لما استطابوا، فلم يحزنوا لِما أصيبوا، بل يفرحوا بما أصابوا، وإنْ تدعوهم لا يسمعوا دُعاءَكم، ولو سَمِعوا استجابوا، فالفانِيات الطالحات ضَيرٌ، والباقيات الصالحات خيرٌ، فاجمع ذلك واسمع، أعمالُكم خيرٌ لكم، لا يَشغلنَكم وُلدكُم، لا تُلهِكُم أَموالُكم، فيا هذا أين مفهوم هذا، قُلت يا مالي، ويا وُلدي متى نَفعُكم، بل فيكم خاب[1] الظنون، قال كُلٌّ لك مِنّا نَفعُنا، يَومَ لا ينفع مالٌ ولا بنون.

(١) الأدق خابت

كم وكم قُلنا اعملوا، واعملوا يا قَومنا، فاستغاثوا بالنَسَب، ربَّنا افتح بيننا، فيا نجيبَ العرب، ويا عجيبَ الطرب، لا تَفخَر بالنسب، على أهل الحَسَب، فإن شرف أبيك، لا يَتعلَّق بأخيك، إنما شَرفُه كرزقهِ، فلا يتَعلَّق إلاّ بزقِّه، فلا تَعلُق لرزقِ الأمس برزقِ اليوم، ولا لحق الهمس بحق الرَّوم، فالشرف الوجيه، لدى التوجيه، نباهة النبيه، والمحبوب عند التنبيه، يَفتخُر بذكر أبيه، واعلم أن الكِرام، قد تَلِدُ اللِئامَ، والأعلامُ قد تلد الأَنعامَ، والأمجادُ قد تَلِدُ الأوغاد، والنارُ تَعقبُ الرمادَ، والأرضُ كما تُنبِت الحبَّات، تُولِدُ الحيَّاتِ، والقِفار كما يدور النضار، يكوّن المضارّ، والبِحارُ كما تُبرز المُغذي، تُفرِزُ المُوذي، فلا تَفخَر بالأصول، على أهل العقولِ، ولا بالفصيلة، على أهل الفضيلة، ولا بالعشيرة، على أهل السيرة، ولا بالرِمّة البالية، على أهل الهِمَّة العالية، فإنّ المرءَ بعقلهِ، لا بأصله، وبفضيلته، لا بفصيلته وبسيرته لا بعشيرته، وبهمته، لا برمته، أيها الفاخِرُ جهلاً بالنسب، إنّما الناس لأمٍّ ولأب، هل تراهم خُلِقوا من فضةٍ، أم حديدٍ أم نُحاسٍ أم ذَهب، إنّما الفَخرُ بعقلٍ ثابتٍ، وحياءٍ وعفاف وأدب، فمواتُ زلازلَ الفلواتِ، أنجَعُ من فضائل الأمواتِ، فالنجيبُ لا يجني الرُشدَ من شجرة الآباء، والمِسكُ لا يرث الطِيب من خاصرة الظباء، فياهذا إذا أنفَقَ ذكرُ مَنْ سبق فأمسِك، وكُن ابن يومكَ لا ابن أمسكَ، وإيّاك وغُلَقَ الاكتفاء، في الاجتباء، بعلو الآباء، فإنّه لو نجى بارتفاع النسب غير النبيه، لنُجّي ابن آدم بأبيه، ولو رُحِمَ بامتناعه ذو رُوحٍ لعُصِمَ ابن نوحٍ بنوحٍ، فأكرمُ الناسِ حَملاً وفصالاً، أقومهم فعلاً وخصالاً، وأجودهم طيناً، أحمدهم ديناً، وأقدسهم ذاتاً، أنفسهم صفاتاً، وأوفرهم فلاحاً، أكثرهم صَلاحاً، وأجملهم بضاعةً، أكملهم طاعةً، وأخصَّهم سعادةً، أخلصهم عِبادةً، فاعرف الشَرفَ، واصرف الترفَ، فإنَّكَ ماءٌ مهينٌ، وكلُّ إمرؤٌ بما كَسَبَ رهين، وقُمْ الى قومِكَ وهُمْ بالنَسَبِ

يتفاضلون، واتلُ عليهم ونُفِخَ في الصّور فلا أَنسابَ بينهم يَومئذٍ، ولا يتساءَلونَ، وقُلْ لهم يا قوم ما أشقاكم، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، فاستعينوا بِلبِّكم، فاستقيموا بُحبِكم، يا أَحبّاء مُهجتَي، استجيبوا لربكم.

قال في الحِلم نِعمةٌ، قال صِينَتْ عن التلف، قال أخشى فَما ترى، قال خُذها ولا تَخَف، الحِلمُ رأسُ الطاعة وأُسُّ الاستطاعة، وعينُ المروّةِ، وزينُ الفتوةِ، إلاّ أن الحلمَ أفضل الفضايل، والسَّفه أرذل الرذايل، إلاّ أن الغضب رجفةٌ والحلم عمادها، والجزع سَعفةٌ والصبرُ ضمادها، والناسُ عند التنبيه حليمٌ وسفيه، فأكثرهم عِلماً، أوقرهُم حِلماً، وأَطيبُهم طينةً، أطنبهم طمأنينةً، وأبعدهم هلاكاً، أجودهم مِلاكاً، وأربطهم انتساكاً أضبطهم استمساكاً، وأَمرَّهم عيشاً أشرَّهم طيشاً، وأَحرَّهم قيظاً أَضرَّهم غيظاً، وأَقربهم عَطباً، أعجبهم غَضباً، فاسقِ مجدبةَ السَفَه بسارية العِلم، واستدفع زلزلةَ الغضبِ براسية الحِلم، وكُنْ كالطود لا تخطفه الخواطفُ، ولا تَنسِفه النواسفُ، ولا تَعصِفُه العواصفُ، فَوقَ ما يصف الواصف، ولا تكن كما لِقدر المُزبّد بجيش ولا كالسهم الغاير يطيش، واتقِ زَفرةَ الشِرار، وطَفرَةَ الشَرار، وتأجيج الأجج في الحليج[1]، والحريق في البهيج[2]، إيّاك وأن تكون كلباً كالعضوض، أو نَزِقاً كالبعوض، أو ثقيلاً كاللِبنة، أو خفيفاً كالتِبنةِ، أو فاتراً كالمخانيث أو طامراً كالبراغيث أو رَطِباً كالعصير، أو صُلباً كالحديد، أو مُفرِّطاً كالمُبذِّر، أو مُفرِطاً كالمُقتّر، أعيذك بالله أن تكون كاليهود عُتّواً، أو كالنصارى غُلوّاً، بل لا سكون نبوانٍ، ولا ركون بهوانٍ، ولا تحالم يُنسب الى غباوةٍ ولا تغافل يُضرَب الى رخاوة، ولا جَموح كجموح الشرير، ولا أَغضَّا كإغضاء الضرير، ولا غَضِب يُخال أنَّك جاهلٌ، ولا كَظم يُقال أنك ذاهل، لا غيظ تُقتل به، ولا حلم تُوكَل به، بل غَضبٌ في حلم، وحَربٌ في

---

(١) الحليج: ((حَلَجَ القُطن يَحلجُه ويَحلجهُ فهو حلاّج والقطنُ حَليجٌ ومحلوج)) الصحاح ١/ ٢٨٨ مادة: حلج.

(٢) بهيج: ((نباتٌ بَهيجٌ وروضةٌ ذاتُ بهجة وهي الحُسنُ والنضَّارةُ، وأَبهجت الأَرضُ بَهُجُ نباتُها)) أساس البلاغة ١/ ٦٩ مادة: بهج.

سلم، ونَتْرٌ في كظم، ونَثْرٌ في ظم، وغيظٌ في احتمال، وقَيظٌ في اعتدال، سهولةٌ في مرونةٍ، وبُرودةٌ في سخونةٍ، ولدونةٌ في خشونة، سَخطٌ معه عفوٌ، وكَدرٌ بعده صَفوٌ، وحرقٌ يعقبه رَفو، ودجى يرقبه صحو، ومُرٌّ يخلفه حلو، وجَرحٍ يألفه سَو، وحَرٌّ معه برد، وشوك معه وَرد، سيلٌ بعده بهار، وليلٌ بعده نهار، كلام ولا حربَ حسام، ولا ضربَ خطاب ولا زَجر، وعتابٌ ولا هَجر، توعيد ولا جدال، وتهديد ولا نزال، غَضُّ لا يعمى، وغض لا يُدمى، ورمي لا يُصمى، غبار لا يصير قَتاماً، وقتامٌ لا يَثيرُ غَماماً، وتدافع لا يدفع أحلاماً، وتقاطع لا يَقطعُ سلاماً، ولا يَمنعُ كلاماً، ولا يجمع أياماً، فكيف أعواماً، وكان بينَ ذلك قَوماً، فيا هذا الوهين أنت ماءٌ مَهينٌ، وكُلُّ امرءٍ بما كسب رَهينٌ، فإذا جاشَ قلبك، وطاشَ لبَّك، وطغى مَدُّك، وبغى شدّك، فاعرف حَدَّك، واصرف حَدّك، وإلحظ جِدَّكَ، واحفظ جَدَّك، وتَصوَّر منيتك، وتَذكَّر بليَتك، وإذا استَنسَرتَ ساعةً، فلا تُوحِش الكِرام بلفتات قولك، وإذا استأسَدتَ لحظةً، فلا تَخمِش الأرام بنهضاتِ صولك، فتَعرَّا من هَوّنك وهولك، وتبرأ من قوتِك وحولِك، فلو كُنتَ فظاً غليظَ القَلب لانفضّوا من حَولِك، فَتخَلَّق بأخلاق الله، وقُلْ إنّا لله ولا حَولَ ولا قوة إلّا بالله، يا رَبنا ذُنُوبنا قد مُليَتْ ذَنوبنا[1]، تُبنا إليك ربنا، فاغفر لنا ذُنُوبَنا، فاعفوا واصلحوا واصفحوا وافلِحوا، يا قومَ سامحوهم، وفَوّضُوا الى الله فَمَنْ عفى وأَصلَح، فأجرُه على الله.

(١) الذَنوب: ((الدلوُ العظيمة ولا يُقال لها ذَنوبٌ إلّا وفيها ماء وكانوا يَستقرونَ فيكون لكل واحدٍ مِنهم ذَنوبٌ فَجُعِلَ الذَّنُوبِ في مكان النصيب)) التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم: ص٣٠٢.

قُمْ وَخَلِّ اللَّهو واسلك، أَنتَ شيءٌ سالك، كُلُّ نفسٍ ذائقةٌ، كُلُّ شيءٍ هالِك، واهاً لك، ما بالَكَ، حالَ حالُكَ، ومالَكَ، مالَ مالُكَ، وما شأنُك، تَهوى ما شانك، ومارانك ترى ما زَانك، تهوى هواكَ، وقد دَهاكَ، عن هُداك، فما أهواك، لِما أغواك، وما أسلاك، عَمَّا أعلاك، فَقُمْ يا ضَجعة، واستقم يا قَبعة، واستعصم فإنّ الهوى صُرَعة، وتَرصَّد فِلِكُلِّ طالعٍ أفول، وتجوَّد فلكلِ غايب قفول، وشَمِّر ذَيلَك للإسراء، وضَمِّر خَيَلك للجرآء، أَمرٌ ذو تَبعاتٍ، وقفرٌ ذو تَلعاتٍ[1]، وغارٌ ذو مخافات، ودارٌ ذو آفات، ونَشوةٌ تعقبها سكرات، وشهوةٌ تَرقبُها حسرات، حلاوةٌ ترفعها مرارات، وعلاوةٌ تتبعها حرارات، مَرضٌ وصَرَعٌ، وحرضٌ ونَزَعٌ، موتٌ وعناء، وفَوتٌ وفناء، قَبرٌ وعزاء، وحَشرٌ وجزاء، فِرقةٌ وبلاء، وحِرقةٌ وجلاء، هَمٌ وحنين، وغَمٌ ولين، ونَعشٌ ودفن، وهَبشٌ وزفن، يا مُغرَماً بوصال عيشٍ ناعمٍ، سَتُصَدُّ عنه طايعاً أو كارهاً، إنَّ الحوادث تُزعِج الأحرارَ عن أوطانهم، والطير عن أوكارِها، ضَعفٌ وهولُ المَطلع، وخَوفٌ وضيق المَضجَع[2]، سؤالٌ وجواب، وَوبَال وعَذاب، وزرٌ ثقيلٌ، والنفسُ عاجزةٌ، وعَرضٌ طويل، والأرضُ بارزة، ونفخةٌ حاصدة، والناسُ نِيامٌ، وصَيحةٌ واحدة فإذا هم قيام، مرارةٌ مُنطِرة، والسماءُ مُنفَطرة، ووجوهٌ مُغبرَّة، والنجوم مُنكَدِرة، سمومٌ وزمهرير، ويومٌ قمطرير، تأَسُّفٌ وحَسرات، وتَلَهفٌ وزَفرات، والصراطُ طريقان، والناسُ فريقان، سعيدٌ وما أدراك، لِما دهاك، وشقيٌّ وعساك لما أنساك، فللسعيد ثوابٌ دايم (دائم) ونعيمٌ، يسبح في لذته ويعيم، وللشقي عَذابٌ مقيمٌ وحميمٌ، لا

---

(١) تلعات: ((تلع: أتلعُ بيِّن التَلَعَ أي طويلُ العُنق وجيدٌ تليعٌ أي طويلٌ والتليع من الرجال الطويلُ والتَلعةُ ما ارتفع من الأرض وما انبسط منها وهي من الأضداد والتِلاع مجاري أعلى الأرض الى بطون الأودية واحدتُها تلعةٌ)) الصحاح ١/ ١٤٣ مادة تلع.

(٢) المضجع: القبر.

ينفذ منه صديقٌ ولا حميم، لعَمرك ما يُغني المغاني، ولا الغِنى، إذا سَكن المُثرى[1] الثرى[2]، وثَوى به فَجِدْ في مراضي الله بالمال راضياً، بما تغتني من أجره وثوابِه، هيهات لا يُغني الأغسال بالذَنوبِ، من الإنغماس في الذُنوبِ، فَقُم وعانق هُداك، وفارق هواكَ، وطوّل صومَكَ وطواك، للذي نشرك وطَواك، وهُبِلتَ اللَّهو حُبلتَ، بعدتَ اللَّغو جُعِلتَ، فيا فتنة المفتون، وغبنة المغبون، أَتَردُّ بيد الظنون، كيد المنون، أم تنفذ بهذا الفكرِ المُضَرَّسِ والذكرِ المُعَرَّسِ والوهمِ المُهَوَّسِ في هذا السقف المُقوَّس، فَشمِّر وتَعنَّى، هل للإنسان ما تَمنّى، أَحَسِبَ الناسُ أن يتركوا أن يقولوا آمنا، كلا ثمَّ كلا، كيف والحق تَجلَّى فعليك بعوالي العلياء، ولا تَنسَ نصيبك من الدُنيا، وكُنْ ممَّن سعى ووعى، ودعى ورعى، قُلتُ هل تسعى وترجو فَضلَه، قال لا أسعى، وقلبي قد وعى، قلتُ ذا قولٌ ينافي في قوله ليس للإنسان إلاّ ما سَعى.

(١) المُثرى: الميت.
(٢) الثرى: التراب.

الجَوهرُ الثامِن

لو بَذلتم كُلَّ أموالكم، لن تَصيبوا الخَيرَ حتى تَتَقّوا، أو تقاصَيتُم الى أقصى التُقى، لَن تنالوا البِرَّ حتى تُنفِقوا، فيا أرباب المُروّة، اسمعوا بأذن الفتوة، عَرضَ ضعيف القوة، حليفِ الأبوّة، ويا أصحاب الطاقة، انظروا بعين الإفاقة، الى عظيم الفاقة، سقيم الناقة، ويا أمراء السخاء، ويا وزراء الرخاء، رِفقاً بأهل الصفاء، فلا تركضوا خيل الجفاء، على أهل الوفاء، ويا حَفظَةَ الدينار، ويا حَمَلةَ الأوزار، لا تَجرّوا ذيل الأفخار، على أهلِ الافتقار، وذيلَ الاغترار على أهل الاعتبار، فقلوبهم أجلى من قلوبِكم، ومطلوبهم أعلى من مطلوبكم، ونفوسهم أقدس من نفوسكم، وعروسهم أنفس من عروسكم، شَغلكم غَولُ الأموالِ عن الأعمالِ وطُولُ الآمالِ عن الآجال، وأَلهاكم شوقُ الخَلق عن الخَلّاق، وعشقُ الرزق عن الرَزّاق، فيا شُرّاب الشراب، ويا سُرّاب السراب، ويا عَبدَةَ الدنانير، ويا عُقدة الزنابير، أَمرناكُم بأوضاعٍ كأوضاعِ الذين راضوا، فَفرَّطتم وأفرطتم، وخُضتُم كالذّي خاضوا، فاعبروا هذه القرية الرَديّة، ولا تُعمِّروا هذه الخِربة الرَديّة، وجَوّزوا هذه الدَنيَّة، ولا تَجوّزوا هذه البَليّة، ولا تتخذوها سوقاً، ومتاعها معشوقاً، إنّ الباطل كان زَهوقاً، فلا تغتروا بغرور الشر، وشرور الغرور، إنَّ الدُنيا متاع الغَرور، لا تُلهِكم أموالكم، ما عِندكم يَنفَد وما خَلّوا غُروراً غَركَم.

الجوهر التاسع

يا أيها الإنسانُ إنَّ الفتى على الفضائل انطوى، وجَلَّ عن أضدادها جَنابُه فذلكَ بحر أَيُّ بحرٍ، عَذبٌ فراتٌ سايغٌ شَرابه، عبدٌ من خلقه فَسوَّاه وَرَزقَه فَقوَّاه، مَنْ لم يعرف ربّاً سواه، ولم يَتَخِذ إلههُ هَواه، لا رَبَّ سِوى الباري، لا كون سِوى كونه، لا نَعبدُ إلّا هو، لَن ندعو من دُونِه، تَوصَّل إليه بطاعته، وتَوكَّل عليه في بضاعته، تَخلَّى عن غيره فَتَحلَّى، وتَحلّى بخيره فَتَجلَّى، قذف الدَنيَّة بخساستها لطُلابَّها، وحَدَفَ الجِيفةَ بنجاستها لكلابها، فانفصل عن الخَلقِ، واتصل بالحَقِ، وجههُ وَضيٌّ، وفعلهُ مَرضيٌّ، قلبهُ فَيضيٌّ، وجسمهُ أَرضيٌّ خفيٌّ دريٌّ، حَفيٌّ دُريٌّ، تَقيٌّ سَريٌّ، نَقيٌّ سِرّيٌّ، موجودٌ بسيرتِه، مفقودٌ بسريرتِه، هَشّاشٌ بشوقِه، بشاشٌ بذوقِه، صحوٌّ في عبادته، محوٌّ في سعادته، استغرقتْ أمورهُ، في أمره لحُبِّه، طوبى لَهُ فإنّه يرجو[1] لقاءَ ربَه، لا يغشى في العشق نَومةَ نايمٍ، ولا يخشى في الصدق لومةَ لايم، إنْ قَطعنَ فعتباه لمَنْ خَلقَهُ، وإنْ طعن فولاؤه لمَنْ أعتقَهُ، فمثله يكون شيئاً مذكوراً، فطوبى له إنَّه كان عبداً شكوراً، فيُقال لمثله أنه عن الهوى وثّاب، الى الهدى ثَوابٌ، نِعمَ العَبد إنّهُ أوابٌ، فَقُلْ يا عَليَّ الهُدى، لجِلي الرّدى، هُدى الله خيرٌ[2] فخلُّو الهَدى، وتُوبوا الى الله يَغفِر لكم، وتقواه كهفٌ لرضوانِه، فآووا الى الكَهفِ يَنشرُ لكم، وقُلْ يا لطيفَ الحالِ، لحليفَ المُحال، مَنْ يَعرِف اللهَ يخشى. ومَنْ يخشى استقام فلم يَضطَرِب، ومَنْ يَتقِ اللهَ يَجعل لَهُ، ويَرزقهُ من حيث لا يَحتَسبْ.

---

(١) في الأصل يرجوا

(٢) في الأصل خبير.

مَنْ له خلٌّ وَفيٌّ فاز بالحظ الخَطير، أَيُّ فوزٍ فوق هذا، ذلك الفوزُ الكبير، لقد فُزنا بإخوانٍ، فكلٌّ قد جلى قلبه، ولكِن هَمهَمَت فيهم، فَمِنهم مَنْ قضى نحبه، الصديقُ الخليق، والصِدِّيقُ الحقيق، مَنْ عَمَّكَ بخيره، وزَمَّكَ عن غيره، وَرَفَعَ حَملَك، وجَمَعَ شَملَك، فلا يُصادُقك عَبثاً، والطاهرُ الطهور ما لا يَحملُ خُبثاً، يُصادقُكَ عظيماً وذليلاً، ويلاصقك سليماً وعليلاً، يقصدك مالِكاً وتاركاً، ويرصدك سالكاً وباركاً، ويصحبك فقيراً وغنياً، ويأكلك نَضيجاً ونيّاً، لا يَدعُك راكباً وراجلاً، ولا يودِّعَك راحلاً ونازلاً، يعادلك وإنْ جَلستَ، يُعاملك وإنْ فَلستَ، يرافِقك وإنْ خرَنتَ، ويُساوقكَ وإنْ حَزَنَتَ، ويَصونَك إذا هَويتَ، ويمونّك إذا أَقويت، ويَنصحُكَ إذا عَلا أمرُكَ، ويَمنحُك غذا قلا دهرك، ويصحبك إذا خَمَدَ جمرك، ويشربك إذا حَمَضَ خَمرُكَ، يُصافيك في الأحوال على سرور الأحوال، ويوافيك في الأمورِ، على كرور الدهور وليس الصديق مَنْ تَمسَّكَ بعروة إِخاك في مدة رضائك، ليس أَخاً مَنْ جلَّ عند الرَّخاء، فذاكَ لا يَدخل في العِدَّة، قال الإمامُ عليه السلامُ. أخوك مَنْ واساك في الشدة، فيعتلي بدينارك، ويصطلي بنارك، يركب أدهمك ويَجذب درهمك، يأكلُ طعامَك، ويَحملُ كلامَك، ويرفعُ دعاءَك، ويلطع وعاءك، يُصَدِّقُ قولَك، ويفوق طولك، ويَطوف حولك، ويسوف بولك، ثم إذا زَلَّت قدمُك، وزالت نِعمُك، وهَزُلَتْ ناقَتُك، ونَزَلَتْ فاقتك، قابلَ نعيمك بالجحيم، وتَسنيمك بالحميم، ورأفتك بالطعن، ورحمتك باللَّعن، يدزك محشوراً فيرجمك، ويتركك مقهوراً فلا يرحمك، يشتمك لضرطةٍ بَدَرَتْ، ويَشمَتُ بك لورطةٍ نَدَرَتْ، يعيبك إذا ذُكِرتَ، ويغيبك إذا شُكِرتَ، يرضاك ما دارت رحاك، ويهواك ما هَمَّت صباك، فإذا تَغَمغَمَ رواك أو تغيَّم هواك، وتَحلَّل مالك وتَحوَّل حالك، تَبدَّلَ بدينه، وعَدَلَ عن يمينه، وخاض في أفضع الشناعة، وأشنع الفظاعة، فهؤلاء ليسوا من الصديق في شيءٍ، لا ظلٍّ ولا فَيء، بل

هم أخسُ الناسِ، وأخصُّ النسناس، يجولون في ميدان النِفاق وفاقاً لمطلوبهم، ويقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وأولئك الأصدقاء حقاً، والأحقّاءُ صِدقاً، فهم أخلص الخُلصاء، وأَنفسُ النفساءِ، وأَخصُ الجلساء، في الصباحِ والمساء، هم الموفونَ بعهدهم إذا عاهدوا والصابرون في البأساء، فاعرفهم بسيماهم، والمؤمنون قليلٌ ما هم. على أنهم ساروا بعد ما صاروا وَدَّعتهُم حين ساروا لكنني لم أدعهم، كيلا يُنادي فؤادي ياليتني كُنتُ معهم، أَهلُ التقى حَقّاً، كُلّا قد انفضُّوا، فَنَحنُ في قومٍ، إذا خلوا عَضوا[1].

(١) من العِضة.

قد أرادوا منك نُصحاً، والقضايا ناطقة، قُلْ كفى بالموت واتلُ، كُلُّ نفسٍ ذائقة فما تقولان خليليَّ، وما تجولان جليليَّ، خليليَّ لا والله لا تَنفعُ الشكوى، الى أحدٍ إلّا الى عالم النجوى، خليليَّ هنا طال ما قد رقدتما، ألاَ تَنشُدان الدَّهرَ ما قد فقدتما، أَينَ مَنْ كانوا فزانوا؟، أين مَنْ كانوا فدانوا؟، أين مَنْ كانوا فبانوا؟، أين مَنْ كانت تَعلُ قُدورُهم؟، ولا تُعلَّق دورُهم؟، أين مَنْ فاق قَسَّاً[1]، في فصاحته وحصافته؟ ونالَ حاتماً[2] في سماحته وحماسته، أَينَ أصحابُ الصقور السوابق؟، والقصور البواسق، أَينَ علماءٌ عاصرناهم وأصحابٌ؟، وأينَ حلماءٌ سامرناهم وأحباب؟، أينَ إخوانٌ عاشرناهم وخِلّان؟، وأين زيدٌ وعمروٌ وفُلانٌ وفلانٌ؟، وأين مَنْ بَقيَ نسيمُ أزهار ريّاهم في الرُّوس[3]؟، وقسيمُ آثار رؤياهم في النفوس؟، فهم مع فضلهم ومعدودهم، أصبحوا مع دودهم، فيا أيُّها الغافل إنتبه، لما أنتَ به، ولا تَغتَر بهذه الدَنية الخالية، والبَليَّة البالية، فليس فيها صافٍ ولا مَعين[4]، ولا مُصافٍ ولا مُعين، ولا خليلٍ مُخلّى، ولا جليل مُجلّى، ولا صديقٍ صادقٌ باليمين، ولا صديقٍ عاشق من أصحاب اليمين، فإنها إنْ أَقبَلتْ بَلتْ، وإنْ أدبرتْ بَرتْ، أو أَبهَجَتْ هَجَتْ، أو أَسعَفَتْ عَفَتْ، أو

---

(١) ((قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك من بني إياد، أحد حكماء العرب ومن كبار خطبائهم في الجاهلية، كان أسقف نجران ويُقال أنه أول عربي خطبَ متوكئاً على سيفٍ أو عصى وأول مَنْ قال في كلامه أما بَعدُ، وكان يفد على قيصر الروم زائراً فيكرمه وهو معدود في المعمّرينَ طالت حياته وأدركه النبي (ص) قبل النبوة وسُئِل عنه فقال يُحشر أمةً وحده توفي ٢٣ ق. هـ)) الأعلام للزركلي ٥/ ١٩٦.

(٢) حاتماً: حاتم الطائي.

(٣) الرُّوس: ((يريسُ ريَساً وريَساناً مشى متبختراً)) القاموس المحيط ٢/ ٢٢٨ مادة: راس.

(٤) مَعين: ((وماءٌ مَعينٌ أي جارٍ ويُقال هو مفعولٌ من عُنتُ الماء إذا استنبطته)) الصحاح ٢/ ٥٠٤ مادة معن.

أَركَبتْ كَبتْ، أو أَطَنبَتْ نَبتْ، أو أَينَعتْ نَعتْ، أو أكرمت رَمَتْ، أو عاونت وَنَتْ[1]، أو ما جَنَتْ جَنتْ، أو صالَحَتْ لَحَتْ، أو سامَحَتْ مَحَتْ، أو واصلت صَلَتْ، أو بالغَتْ لَغَتْ، أو بسطت سَطَتْ، أو نَفَعَتْ صَفَعَتْ، أو رفعت دَفَعَتْ، أو أَبدت نصفاً قَدَّت نصفاً، تمنيت أن تحيى حياةً هنيئةً، وأن لا ترى مدَّ الزَّمان بِلا بَلا[2]، رويدك هذي الدار سجنٌ وقَلّما، يَمرُّ على المَسجونِ، يومٌ بِلا بَلا، إلاّ أن مُنَحُها ليست راضيةً، بل مِحَنٌ ضاريةٌ، فلا تَركَبَ هواديها، تَبركُ في دواهيها ولا تَسرَبَ في دواعيها، ترسبُ في عواديها، إلاّ أن موتَ الأولاد والأحباب.

(١) وَنَتْ: ((الوَنى: الضَعف والفتور والكلال والإعياءُ وناقةٌ وانيةٌ وأَونيتُها أنا أَتعبتها وأَضعفتها وتواني في حاجته قَصَّر)) الصحاح ٢/ ٧١٦ مادة ونى.

(٢) بِلا: أي بلاء.

دمّروا أمر الشرف، ما تراهُم يُذعِنون، قد رأوا إشرافه، ما لهم لا يُؤمنون، الشرف في عِدَّةٍ عاليا، وفي جِدّة غاليا، فلا تنال رُتبةَ الشرف، بغُرفةِ التَرفِ، ولا مُورَّد الجدِّ بمجرَّد الوَجْد، فإنّ حصول السيادة، وحلول السعادة، أمرٌ لا يُدرك إلّا بعيشٍ يُترك، ونعيم يغرُّك، وطيبٍ يمرد، وَروَحٍ يُبعَد، ونَفسٍ تَصَفَّد، وقلبٍ يُبَرَّد، ونَومٍ يُطرَّد، وصَومٍ يُسرَّد، وتَرحٍ لازب، وفرحٍ عازب، وتعبٍ كثير، نَصبٍ كبير، وهَمٍّ دايم، وغَمٍّ قايم، وعَرضٍ مهجة، وخوضِ لجةٍ، ومَنْ عشق المعالي طَرَقَ الغَمَّ، ومَنْ طَلَبَ اللآلي ركبَ اليمَّ، ومَنْ اصطاد الغزلان قَصَدَ القَفْر، ومَنْ أراد الأمان صَعَدَ الفَقر، ومَنْ قَنَصَ الحيتان وَرَدَ النَهر، ومَنْ خَطَبَ الحِصان نَقَدَ المهر، ومَنْ قصد الإجابة أصاب، ومَنْ رصد الإصابة أجاب، كلا ثم كلا، خاب مَنْ تولّى، أينَ أنت من المعالي والغمِّ، واللآلي واليمّ، وأنتَ كسلانٌ غافلٌ ثملانُ، ذاهلٌ وسَنانٌ، والسحوق جبّار، نزعنا عن التَقلُّب في البلاد، والتَطلُّب للأسباب، وعَرَّفنا طريقةَ الدهرِ، وحقيقةَ الأمر، قُلتُ لمَّا ضَمَّ حُبّي، تُربُ البين فغابا، وا حبيبي وا حبيبي، ليتني كنتُ تُرابا، ألآ وإنَّ موت الحبايب، من أصعب المصايب، فإنّه عَذَّبنا تهذيباً وهَذَّبنا تعذيباً، قَدِّم لأُخراك وأعلم، إنّ المقام يسير، والمرءُ في كلِّ يوم الى حمام يسير، ألآ وأنّ المرء رابظٌ مُطرِقٌ، والموت واعظ مُفلِق، ينادي أقواماً تظنُّهم قياماً وهم قعود، ولا أنعاماً تحسبهم أيقاظاً وهم رقودٌ، وأجساماً تخالهم أَحياءً وهم خمود، أتكرهونَ الموت وإنّهُ وافيكم[1]، وتَفِّرون منه وإنَّه ساقيكم، فاتلوا قُلْ إنَّ الموت الذي تُفِّرونَ منه فإنّه مُلاقيكم، فَفِرّوا الى الله، وتَوكَّلوا على الله، وقولوا بعد هذا الأساس، ما سَنَحَ من الإقتباس، ما اعتبرنا لحظةً، فاعتبر يا سالك، كُلُّ

(١) في الأصل واقيكم.

نفسٍ ذائقة، كلُ شيءٍ هالك، في القضايا خُبرةٌ، يهتديها المُختبَر، كم بها من عِبرةٍ ما أَقلَّ المُعتَبِر.

وأنت واقدٌ، والفيلق جرار، وأنت واحدٌ، يَسطِعُ الصبحُ وتَهبُّ النعاجى، وأنت أخشم وتتغاجى، ومنادي العقل يناديك وأنت أصلخ، والعقل يدينك ويحول بينكما برزخ، قُم فتَشَرَّف، واستقم وتَعرَّف. لقد عبرت قوافلُ العُمرِ، وانكسرت عواملُ السُمرِ، وأَزِفَ الرحيلُ، فاستفد جهدك، وهَتَفَ النَيلُ، فضمِّر فَهدَك، وتَجرَّع مرارة المصايب، لحلاوةٍ موعودة، وحرارة النوايب، لعلاوةٍ محمودة، أخي إنما هي محنةٌ بايدة، تتلوها مِنحةٌ عايدة، وصدمةٌ نافدة، تعلوها نعمةٌ خالدة، فلا تكرهنَّ أوصاباً، يغسِل عنك أوصاباً، ولا يَهوَلنَّك محنةٌ، نالها عُصبة، إنما يريد الله ليُهذِّبهُم بها، ولا يَروقنَّك مِنحةٌ، غالها فِرقةٌ، إنما يُريد الله ليَعذِّبهم فكُنْ من الجاهدين الصاعدين، وفَضَّل الله المجاهدين على القاعِدين، ودَمُ على الطاعةِ، وقُمْ على الإستطاعة، واترك العوام، وافرك الأنعامَ، خلِّ أَقواماً تعاموا، إنهم في الأمرِ بَقٌّ، وآتِ بالطاعاتِ وأَعلم أَنَّ وعد الله حقٌّ.

يا ربَّنا أنَّى لنا، من مَسِّ دَركٍ أثر، فاغفر لنا مَنْ نحن مَنْ، إنْ نَحنُ إلّا بشر، فيا مَنْ بُنيَ من الصلصال، وابتُليَ بالحَمِل والفِصال واختُبِرَ بالإتصال والإنفصال، انتبه بلطايف الوِصال، ولا تَته بشرائف الخِصال، وطرايف الإتصال، وظرائف الإنفصال، فياذا الأحوال العديدة، والأقوال المديدة، إنّ الخصالَ الحميدة، والأعمالَ المجيدة، والأفعالَ السديدة، والأنفالَ السعيدة، إنّما هي من مواهب الذي خَلَقَكَ فسوّاك، ورزقك فقوّاك، فإنَّه مبدأ الفيض وهو بما يريد جديرٌ، بيده الخير وهو على كُلِّ شيء قدير، فما العاقلة إلاّ عطية من عطاياه، ولا المُدركة إلّا مطيةً من مطاياه، زِمامُها مزمومٌ بعلمه، وعنانها محكومٌ بحكمه، إنْ شاء زمَّها بزِمام الهدى، وإنْ شاء تركها سُدىً، فهل تستطيع لنفسك خفضاً أو رفعاً، أو لأَمسِكَ حفظاً أو دفعاً، قُلْ فمَنْ يملك لكم من الله شيئاً إن أرادَ بكم ضراً، أو أراد بكم نفعاً، فاستند إليه، واعتمد عليه، يصلح بالك، وينجح آمالك، فبما تهواه قلبك تحظى، ولسوف يُعطيكَ ربُّكَ فترضى، فإنّه سبحانه يَرفع مَنْ يهواه بالرفع المستقيم، ويَدفَعُ مَنْ ناواه بالدفع المُقيم، واهبٌ لمَنْ أهوى، كُلَّ ما تَمنَّاه، فاستمع لما يوحى، إنني أنا الله.

قد جِيتَ بوحي الله، إنْ تَنطِقُ إلّا عن، لكنَّك مَنْ تُسمِع، أن تُسمِع إلاّ مَنْ، فيا خطيرَ السَّهو، ويا مطيرَ اللَّهو، ويا نديمَ المَحو، ويا عديمَ الصحو، ويا أعفرَ الفُودين، ويا أصغرَ الخَدين، ويا أَبترَ الحَدين، ما عذرك بعد بياض العثانين، وما عمرك بعد انقراض الثمانين[1]، فكم تُقيم وهواك مع الركب اليمانيين، وكم يَصيحُ بك نذيرُ الموتِ، وأنت تَتصَامم عن الصوت، تَهتِفُ بك حمايمُ الصبح وتَغطُّ في المَهدِ، وتَخطفُ بك سوانحُ ظبى النُصح، وتنام كالفَهدِ، منادي شيبكم أضحى يُنادي في بواديكم، ألاّ تباً لكم توبوا، ولا تُلقوا بأيديكم، قَمْ قياماً قُم فإن الصُبحَ لاحَ، والثريا غَرَّبَت والديكُ صاح، وعَبرتْ قوافلُ الأملِ وانكسرت عواملُ العمل، من غرور الصبا تَلفَّق شيءٌ في قلوبٍ لنا وفيها تَمكَّن، فجذبناه بالكهولةِ منها، ودفعناه بالتي هي أحسن، فيا رضيع مقت الحُطام، أَلم يأن رفيع وقت الفطام، فالى متى، لَعلَّ وحتَّى، وقد انحَنَتْ قامتك، وَدَنَتْ قيامتك، واصَفرَّت شمسُكَ، واضطرت خَمسُكَ، فأنت على شرف الحمام، وطرف الثمام، فاذكر أمرَك، وانظر عمرَك، واترك حصرك، وادرك عصرك، فإنه لم يَبقَ منه إلّا الساعة الزمنية، وما بعد الشيبة إلّا المَنية، أهكذا كسلان كأنك ثملان، وأنتَ فانٍ، وإن لم تدرج في الأكفان، قيل مَنْ على الدولة، قيل مصطفى قلي سلطان[2]، قيل قد فنى قُلنا، كُلُّ مَنْ عليها فان، تَأمَّل عُمرَ النسر، وتَجهَّل أمر النشر، فيا هذا قد قَرَعَ الموتُ كوسه، وتَرَعَ كؤوسه، واقتحمت جنوده، وارتكمت أسوده، فتهيأ للعَرضِ يوم القيامة،

---

(١) عمره: أي عمر مهذب الدين البصري.

(٢) مصطفى قُلي سُلطان قد يكون ((مصطفى الأول (١٥٩١ ـ ١٦٣٩) سلطان تركيا، أخا أحمد الأول وخَلفهُ أَبعِدَ عن العرش لعجزه وعدم كفايته وخلفه ابن أخيه عثمان الثاني الذي تُوفيَ سنة ١٦٢٢ فعادَ مصطفى الى الحكم ولكن خلعه ابن أخ آخر هو مراد الرابع)) الموسوعة العربية الميسَّرة ص١٧٠٩، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بإشراف محمد شفيق غربال ط١٩٦٥.

وتَوضَأ للغرض قبل الإقامة، فلا تَطمَعَنَّ في صعودِ أمرك، وقد نَزَلتَ عن العِبر خلياً، ولا في نهود دهرك وقد غُرتَ في الغير جلياً، ولا في عَودِ عمرك، وقد بلغت من الكبر عتياً، ولا تَحسبنَّ الله مُخلِفَ وَعدهُ رسله، إنّه كان وعده مأتياً، فَقُم بأعوانك، وقل لإخوانك إعملوا فإنّ لكم في عملكم أملاً، وإنَّ اللهَ لا يضيع أَجرَ مَنْ أحسنَ عملاً، ما خلقكم إلّا لأن تعبدوا، فاختطفتْ زينتها إليكم، ما بالكم لم تسمعوا قوله، يا أيَّها الناس اعبدوا ربكم، يا أيها الناس توبوا، ثم اعبدوا اللهَ وَحدهُ، لا ريبَ فيما وعدتم، لن يُخلِفَ اللهُ وعده، اللهُ خيرٌ وأبقى، والكُلُّ في الكلِّ عِنده، لن يعجز الله شيء، لن يَخلفَ اللهُ وَعدَه.

شَرَّفَني لُبّي، عَرَّفني حُبّي، مَسرَّتي دُومي، إنَّ معي ربي، الشريف مَنْ تَركَ رَوحَه للعوالي، وفرك رُوحَه للغوالي، وتَحلَّى بالمعارف، وتَخلَّى من الزخارف، وليس الشريف مَنْ تطاولَ وتكاثر، بل مَنْ تطوَّل وأَثَّر، ولا مَنْ بنى وقنى، بل مَنْ أغنى وأقنى، ولا مَنْ روى القرآ وجَوَّده، بل مَنْ روى الظمآن وزَوَّده، ولا مَنْ أَمالَ الحُروفَ بالإمالة والإشباع، بل مَنْ أعان الملهوفَ بالإنالة والإشباع، ولا مَنْ صَنَّع مجال سجوده، بل مَنْ وَسَّعَ مجالِسَ جوده، ولا مَنْ هِمَّته أن تَعلو[1] دُورَهُ، بل مَنْ هَمَّه أن تغلو قُدورهُ، ولا تعلو دُورُه، فمالي أراك ساهياً؟، عن الخير لاهياً، فواهاً لكَ مالك؟، لمَنْ تدخر مالك؟، فَجِد بالصّلات، جِدَّكَ بالصَلاة، واضعن بما لديك، الى مَنْ أجرى نِعمَه عليك، وأحسِن كما أَحسَنَ اللهُ إليك، واغتنم الفَكَ، قبل ان يقسم خلقك، واطلق كفيك، وانفق الفيك، وفَرِّق مالك ومَزِّق آمالك، وحَصِّل أعمالك، وفَصِّل إجمالك، واغتنم الخَمس قبل الخُمس، فقد حان غروب الشمس، واعلم أنّ الناسَ سواسية، إلّا مَنْ له يدٌ مواسية، فأفضلهم أبذلهم، وأَسوَدَهم[2] أجودهم، وأَرفعهم أنفعهم، وأكملهم أخاءً، أجملهم سَخاءً، وأتمتُّهم فضلاً، أعتمهم بذلاً، وأقدسهم طبعاً، أغرسهم نفعاً، وأَعزَّهم وجوداً، أَغزرهم جُوداً، وأغناهم ملاحةً، أَسناهم سماحةً، وأجلاهم سَجيّة، أحلاهم عَطيّة، وأعدلهم حالاً، أَبذَلهُم مالاً، والكرمُ نوعان، أو قسمان، أَنفعهُما إعطاء الجوعان، أو إرواء الظمآن، بل على ضروبٍ أو صنوفٍ، أعلاها الإعانة المكروب أو إغاثة الملهوف، فأجِلُ في ميدان الاستعداد طرفك، وإجِلْ في طرائفه طرفك، ودَبِّر أمرك، وعَمِّر عُمرَكَ، فإنَّ الحازم مَنْ بادرَ الى ما وَعَدَ به إلهُنا، وناداه حنان الحِنان الى هنا، فأجاب وأجاد

(١) في الأصل تعلوا، والإشارة هنا الى القصور.
(٢) قد تكون من الأسد.

وقَدَّم الزاد لَعَقبةِ العُقبى، وآتى المالَ على حُبِهِ ذَوي القُربى، فَقُمْ يا مبرور الأَحوال، وقُلْ لمغرور الأموالِ، احذرْ يوم لا ينجعُ حالٌ ولا فَنون، يَومَ لا يَنفعُ مالٌ ولا بَنون، لا تُلهِكم أموالكُم، ما عِندكم يَنفَدُ وما إن تكفروا أَنتمُ ومَنْ.

يا أيُّها الإنسانُ ما أَخفَيتُ نفسي برَمسي، كي لا أرى قمطريراً، بل لا أرى في حياتي شمساً ولا زمهريراً، فما تَصنع بهذه النَباهة يا نبيه، ما تَجمَع بهذه الوجاهة يا وجيه، والنَباهة فتنة، والوجاهة مِحنة، والاشتهار بَليَّة، والابتهار مَنيَّة، واللسانُ سنانٌ، والبيانُ ثعبانٌ، وتبيانُ الفضيلةِ عنوانُ الرذيلةِ، مَعرِفةُ الناسِ مغرفةُ البأسِ، فلا تكُ مغروراً بمَنْ قد شَهَّدتَهُم، فما الناسُ بالناسِ الذين عهدتُهم، فطوبى للتقي الخامل، النقي من اشارة الأنامل، وتَعساً لمَنْ عَكَفَ على الصوامع ليُعرف بالأصابع[1]، خزاين العلماءِ مستورة، ودفاينُ الأمناءِ مطمورةٌ، وكنوزُ الأولياءِ مختومةٌ، ورموزُ الأصفياء مكتومةٌ، والكاملُ كامِنٌ يتَنسَّك، والجاهل فاتنٌ يَهتَّك، والعاقلُ قبعةٌ، والغافل طلعة، أَدبَّني لُبّي، هَذَّبني حُبّي، مَسرَّتي دُومِي، إنَّ معي رَبيَّ، فكُن في علو القدر، كليلة القدر، وفي سمّو النجابة، كساعة الإجابة، فاكمِنْ في الظلمات كماءِ الحياة، وصُن كنزك في التراب، وكُن كنزاً مستوراً، وسيفك في القِراب، ولا تكن سيفاً مشهوراً، فإنَّ الظالم حقيقٌ أن يُقبَر ولا يُنشَر، والغاشمُ خليقٌ أن يُطوى ولا ينشر، فيا خَليفَ الفُجّار، هذا الجذل لو تَيقَّنَ صولةَ النجّار، حُمَلة الطَبّار، لَما تَطاوَلَ شِبراً، ولو ظَنَّ كظَّة المكسار، وعَظَّة المِنشار، لما تَحاملَ كِبراً، وسيقول البُلبلُ ياليتني كُنتُ غُراباً، ويقول الكافِر ياليتني كُنتُ تراباً، فاهجرهم ولا تَعذَرهُم، قُلْ الله ثُمَّ ذَرهُم، وتَنعَّم بما جالوا وجُلنا، وتَنعَّم بما قالوا وقُلنا، قالوا اختلاطُ الناسِ أزرى بنا، بَلْ نحن قتلى هذه المعركة، قُلنا اتقوا ثُمّ اتركوها ولا تُلقُوا بأيديكم الى التَهلُكةِ.

(1) قد تكون من الأحبار (الحِبر).

جَهلُ الورى لقد جرى، في الكُلِّ من أوصاله، فَمِن هنا تَرى الهَوى يَخرُج من خِلاله، فيا مَنْ يَتَقلَّب في المنافي، تَقلُّبَ الريشة في الفيافي، ويا مَنْ يتَطلَّب للمحال، تَطلُّب الظمآن للزُلال، ويا مَنْ يتَوقَّع النعيم من الجحيم، والتسنيم من الحَميم، والماء من النار، والوفاء من الدينار، دَعْ نحو هذه الحالات وَودِّعْ مِثل هذه المُحالات، واترك هذه الغفلات، وافرك هذه الفِعلات، واستقبل قدومَ الأجل، بقَدَم العَجَل، فإن الدُنيا سِجِّينٌ[1]، وطعامها سرجين، فلا يَغرُّنكَ منها جديدها ومطارفها، وتليدها وطارفها، فإنّما هي ضوء الحَباحِب[2]، وطيف الحبايب، فَقَصِّر عنها يديك، ولا تُصعِّر لها خدَّيكَ، ولا تُصغِّر بها جدّيك، واستعد للموت قَبلَ هجومه، فَلعلَّ هذا إيّان نجومه، تُقوِّتُك قُرصةٌ، وتفوتك فُرصة، إن أدركتها فالنَيل، وإن فاتتك فالوَيل، والدهرُ وإن يحولُ حالاً، ليجزي اللهُ كُلَّ نفسٍ.

---

(١) سجِّين وادٍ في جهنم وقال ابن الجوزي في تذكرة الأريب ص ٤٤٣ (سجيّن الأرض السابعة).

(٢) الحباحب: ((حَبحَبَ: الحُباحِبُ اسم رجلٍ بخيلٍ كان لا يوقد إلّا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان، فضربوا به المثل حتى قالوا نار الحُباحبِ لما تقدمه الخيلُ بحوافرها وربما قالوا نارٌ أبي حُباحِبٍ وهو ذبابٌ يطيرُ بالليل كأنه النار)) الصحاح ١/ ٢٢٩ مادة: حبحب.

هَيِّأ لنا من أمرِنا، وإملأ لنا ذَنُوبَنا، تُبنا إليك رَبَنا، فاغفر لنا ذُنُوبَنا، الذكرُ رحمة، والشكرُ نعمة، والدعاء جُنّةٌ، والثناء جَنّة، وعمومه مقام، ودوائه دوام، وتركه مَهبَّة الكبرياء، وإعلانُه مَظنَّة الرياء، وإخفاؤه سُنّة زكرياء، فمالي أراكَ السَّغب، كبير الشغب، هلا تستنفع الدعاء بدون حركات المِقَول، وتَستَنقِع الماءَ بنون نفرات المِغول، فإنَّ السر أكمل من الجهر وأشمل، والنِيَّة أبلغُ وأعمل، والطويّة أَسبغُ وأجمل، ولسانُ الحال أَحلى وأَفصح، وإيوان الأفضال أعلى وأفسَح، فَنِبّ عن هذه الصيحة الشنعاء، وهبَّ عن هذه الفضيحة الفظعاء، فإنّه سبحانه يُعطي النمال العُمش، ويغذي النعاب[1] في العُشّ، يَعلمُ خطرات الأوهام، كما يُحصي قطرات الرِهام[2]، كم قُلتُ لكم بأن تُسِرّوا، سِرّاً حسناً فَنِعمَ أمراً، نصحٌ لكم لوجه ربّي، لا أسئلكُم عليه أجراً، فلا تنهق نَهيقَ الآتان[3]، في البّر، بل سَبِّح دال فالى العناء مايل، والعُمر وإنْ طال فما تَحتُه طايل، والمرءُ وإنْ نال فالى الفناء آيل، وكُلُّ نَعيمٍ لا مَحالةَ زائلٌ، سفينتُه تَسري، ولا تَدري، فعَمِّر عُمرَك قبل الموت، ودَبِّر أَمَرك قبل الفوتِ، واغتنم جَبَينَ اليوم قبل العَشيَّة، فإنّ جنين الليل في مشيمة المشيّة، ولا تَغتَر بكثرة أسبابك، فإنّ هذا السَمنُ وَرَمٌ، ولا تنظر بنظرة شبابك فإنّ هذا السِنُ هرمٌ، وتُشَمِّر قبل أن يَحور نِسرُكَ عصفوراً، وتَضمَّر قبل أن يفور مِسكُكَ كافوراً، وكُلْ الرزقَ بأسنانك قبل أن

---

(١) النعاب: ((نَعَبَ الغراب أي صاح والنَعبُ السير السريع وفرسٌ منعبٌ، جوادٌ وناقةٌ نَعّابة ونعوب سريعة والجمع نَعبٌ ويُقال إن النعبَ تحرك رأسها في المشي الى قُدّام)) الصحاح ٢/ ٥٨٦ مادة: نعب.

(٢) الرهام: ((الرّهمة بالكسر: المَطرة الضعيفة الدائمة والجمع رِهَمٌ ورهامٌ وقال أبو زيد ومن الديمةِ الرِهمةُ)) الصحاح ١/ ٥١٦ مادة: رهم.

(٣) الآتان: ((الآتان الحمارة والكثير أُتنٌ والآتانُ مقام المستقي على فم البئر وهو صخرةٌ أيضاً)) الصحاح ١/ ٦ مادة أتن.

تَضَرسْ، وقُلْ الحقَ بلسانِكَ قبل أَن يَخرَس، واغتنم قبل أن يصير الأمر أُمنيةً. واستقم قبل أن يصير الظهر حَنيَّةً، وتَزوَّد قبل أن تُساقَ عن سوقٍ تسم، مطارفها فلا يبيعون، وتَجوَّد قبل أن يُكشَف عَن ساقٍ ويدعونَ الى السجود فلا يستطيعون، فتعساً لمَنْ اشترى الضلالةَ بالهدى أيحسبُ الإنسانُ أن يُترك سُدى، كلا ثم كلا، فالوَيلُ لمَنْ تولّى. ألآ فكونوا على احتياطٍ، فكُلُّ يومٍ يَصيرُ أمس، وكُلُّ حلوٍ، زمامُ مُرٍ، وكُلُ جهرٍ أمامُ هَمسٍ، وكلُ آت تسبيح الحيتان في البحر، واذكر رَبَّكَ في نفسِكَ تَضرُّعاً وخِيفةً. ودُونَ الجهر وأقلل من سؤالك، فهو فعَّالٌ لما يُريد، واجمل في ندائك، فهو أقرب إليكَ من حبل الوريد، واخلص نَيتَّكَ في الأمور، فإنه عليمٌ بذات الصدور، واهِبُ الخَيرَ للورى، فالقُ الحَبَّ والنوى، أنتَ بالحالِ عالمٌ، خالِقُ الحُبِّ والنوَى.

الجوهر التاسع عشر

مُنادي رزقكم أضحى، يُنادي في بواديكم، ألآ تباً لكم مهلاً، ولا تلقوا بأيديكم مَهلاً أيّها الطالِبُ مَهلاً، وسَهلاً أيها الراغب سَهلاً، فاجعل على باب التمني قُفلاً، ولا تُصافِ لئيماً قارف ثقلاً، ولا توافِ ذميماً صادق كِفلاً، أتؤخَذُ جانياً، لتاخذ فانياً، أتكونَ مُعذَّباً، لتصونَ مُعذِّباً، لا تَطلبنَّ مَعيشةً بمذلةٍ، وارفع بنفسك عن دَني المطلب، وإذا افتقرتَ فداوِ فَقرَكَ بالغِنى عن كل ذي دنسٍ كجلد الأجرب فليرجعنَّ إليك رزقك كله، لو كان أبعد من محل الكوكبِ، فاجمل في الطلب، واعدل عن الجَلب، فإنَّك لن تبيت حتى تملاء زِقَّك المَوسوم، ولن تموت حتى تَستَوفِ رِزقِكَ المقسوم، أتطلُبُ الرزق وهو حاضرٌ لديك، وتَندُب الحقَّ وهو ناظرٌ إليكَ، أتطلبه وهو طالبك، وترقبه وهو مصاحبك، وترصد قادمته وهو وسادك، ويرجوه جنابك، وهو أركانك، ويريده وجودك وهو موجودك، ويَستاقه جميعُك، وهو ضجيعُك، أتطلبُ مكفولاً يُعانقك، ومقبولاً لا يُفارقك، أتطلبُ رِزقاً متولِولاً في قفاك، ولو قعدت متوكِلا لأتاك ما كفاك، بل ما أراده هواك، وأداره رجاك، فإنّ ساعد القضاء، فالساعي كالقاعد، والواعي كالراقد، والسايرةُ كالقاطن، والسايمة كالداجن، وإلّا فالطَلَبُ جَهلٌ والتَعبُ فضل، والتردد ذِلَّةٌ، والتشدد عِلّةٌ، والمقدَّرُ ضامنٌ، والرزقُ موعودٌ، والقناعةُ سيادة، والمُقدَّر كاينٌ[1]، والحق موجودٌ، والإضاعة زيادةٌ، فمَنْ يكون عُميرٌ، ومَنْ يكون بُكيرٌ، ففضلُ ربك كافٍ، ورزق ربك خيرٌ، فتباً لمَنْ يتهم رَبَّه وهو رِقه، ويهتم لرزقه وهو حَقَّه، فلا تَهتَم لخفك، وقد هُيءَ لشدقك، قبل خلقك، فادفع خساستك، بمضراب المُروَّة، وارقع خصاصتك، بجلباب الفتوة، فإنَّ اللهَ هو الرزاق ذو القُوة، أتَفتِتُ بهمه حشاشة الخَشا، والله يَبسِطُ الرزقَ لمَنْ يشاء، فَجُلْ يا حبيبي، وقُلْ يا

---

(١) أي كائنٌ أي حاصل.

لبيبي، إنْ كُنتَ ممَنْ صحَّ إيمانه، والتزم الكونَ مع الموقنين، فلا تكن مُضطرباً جايراً، والله ذو فضلٍ على المؤمنين، فاجمع ذلك واسمع، بين عبدٍ وخادمٍ، ساءَ في الهِندِ[1] خُلقُنا، كُلُّ شخصٍ ورزقَهُ إنَّ هذا لرزقنا.

(١) لأنه سكن الهند.

الجَوهَر العِشرُونَ

ألا فاسمعوا ما أُنادي به، إنّ النداء حقيقٌ قمين، فَفرّوا الى الله من غَيره، لإني لكم منه نذيرٌ مُبين، فيا غريق الهوى، ويا حريق النوَى، ويا جريح الآفات، ويا طريح المخافات، سِر عن هذه الدَنيَّة، فإنَّها أَطفقُ من جبفةِ المزابل، وطُرْ عن هذه الرديَّة، فإنها أضيق من كَفَّة المحابل[1]، ولا تَصحبها صُحبة بعالٍ، ولا تَنظُر إليها إلّا نَظرةَ عالٍ، ولا تَخضَع لبنيها، ولا تتضعضع لبانيها، ولا تَمُدَّنَ عينك الى زخارفها، ولا تبسطنَّ يمينك الى مخارِفها، فقاطعها، فإنّها قاطعةُ أنفاسك، ورافعها فإنّها رافعة احساسك، وطالعها فإنها ضجيعة أَبنائك، وخالعها فإنها حَليليةُ آبائك، فيا بَعلَ الحورِ لِمَ تضاجع هذه البَليَّة الشوهاء، ويا نَجلَ النور، لِمَ تجامع هذه الحيَّة الفَوهاء، ويا خليفةَ الملّاك لِمَ تلازم السلطان، ويا مسجودَ الأملاك، لِمَ تنادم الشيطان، فارغب يا عبدالله، فيما عِندَ الله، واغتنم فاحمك[2] قبل أن يَبيَّضَّ، فإنَّ الدنيا جدارٌ يُريدُ أن يَنقَضَّ، آنيةٌ جوفاء، وارمة عَجفاء، يعنيك عناؤها، ويُؤذيك أعباؤها، ولا يُدفيك[3] عَباؤها، فاخرج من فُجاجِها، واعرج عن عجاجها، ولا يَرُوقنَّك صفوة زجاجها، ونشوة رجراجها، ولا يُعجِبنَّك نطفُها الزايل، وعطفُها الحايل، وقَصفُها البهيج، وقَطفُها النضيج، فهو غَيثٌ أَعجَبَ[4] الكُفّارُ نَباتهُ ثم يَهيج، فَدَعها فإنَّها تعبٌ وزهوٌ، إنمّا الدنيا لعبٌ ولهوٌ، وقُلْ لمَنْ فَرَحتهم بطيفها، وفَرَّحتهم بجيفها، الى متى خَبطكُم في هذه القاصِفة، أَبصاركم شاخِصةٌ، قُلوبكم واجفة، واهاً لكم فاذكروا، بُعداً لكم فانظروا، فهذه الراجِفة، تَتبَعُها الرادفةُ.

---

(١) المحابل: ((الحبلُ: الحَملُ ويُقال كان ذلك في محبل فلانٍ أي في وقت حَبْلِ أمِّه به، والحَبَلةُ بالتحريك القضيب من الكرم، الحِبالَةُ التي يصاد بها الحابلُ الذي ينصب الحِبالة للصيد)) الصحاح ١/ ٢٣٢ مادة: حبل.

(٢) أي شَعر رأسِك الأسود.

(٣) من الدفء

(٤) في الأصل أَغَجبَ.

لا تَدعُ اليَتيم يا تَيمُ، لكن، كُنْ به دايماً رؤوفاً رحيماً، أَرأيتَ الذي يُكذِّبُ بالدين فذاك الذي[1] يَدعُّ اليتيما، القاضي إمّا تقي فلا كلام ولا ملامةَ وأما شَقيٌّ فلا اسم ولا كرامة، فهو فظيعةٌ شنيعةٌ وشنيعةٌ فظيعة، بَليّةٌ طامّة ومَنيةٌ عامّة، ثقيلُ الطويةِ، عليلُ الرويةِ، جثيث الهيكل، خبيثُ المأكل، يُغذي الحساء بالرشا، ويؤذي الجلساء بالجشئ[2]، على أنَّ نسبته الى الرشى نسبة الشارب الى النشئ[3]، إنْ جاءته فسكران طَـرِبٌ، وإنْ فاتته فثملانٌ خَـرِبٌ، فَعلمُه علمها، وحكمه حكمها، جلوسه في المحكمة، لا لرد المَظلَمةِ، وتأمّله في القضية، لا لِهَد الأذية، بل لنقد الدينار، وعقد الزنّار، وضبط الدرهم، ورب الأدهم، اتصافه بالعلم والقضاء، لا للحكم والإمضاء، بل لتسديد الديوان وتشيّيد الإيوان ومصانعة السلطان، ومطاوعة الشيطان، داهية وما داهية، وما أدراك ما داهية، نارٌ حامية، قِبلتُه قُبَّةُ السلطانِ بل مسلحته وسُبلته مَذبَّة السلطان بل مكسحته، أقلامه مشحونةٌ بالمدامع، ومحابرهُ[4] بالمهامع وأرقامه مقرونة بالمطامع، فللحرق كإنسانه، وللطرق كأسنانه، وللغرق كبنيانه، يجولُ في عرض الجرّ والطول ويقول، أيُّها الناس إنّ أموالكم لذاهبة ولها رادٌ، وأنّ أحوالكم لغاربة ولها صادٌ، ألا فاجعلوا نصفها للرّاد، وثلثها للصاد وسدسها لقاضي العِباد، ألآ رحم الله عَبداً سَلِمَ من اللجاجة وعَلِمَ أن الرشوة رشاء الحاجة، وقَذَفَ التعاليلَ والتعاطيلَ، وعرف أنّ البراطيلَ تنصر الأَباطيل، يعرف المعروف فلا ينفذه، ويطرف الملهوف فلا ينقذه، يَنزع أموالَ اليتامى في مطاعمهم، وإنْ امتدَّت الحسرات، فَما لَهُ تَعسَاً له،

(١) في الأصل بالذي.
(٢) أي التجشؤ.
(٣) أي النشوة بعد الشرب.
(٤) في الأصل محابرة.

وما بَاله سُحقاً لَهُ، في محكمةِ القضاء قاضٍ وَلَهُ، في أصل دراهم اليتامى وَلِهٌ، لا يَقبلُ قولُ عادلٍ عَدَّله، مَنْ عَدَّلَهُ دراهماً عَدَّلَهُ، يحبُ جفاء المال والميراث، لحُب صفاء المبال والمراث، إذا حكم وأفاد جعلَ نفَسه أَكبرَ البنين، وإذا قسم وأجاد أَلحَقَ اليتيم بالجنين، هكذا العِلمُ بينكم، مالكم كيف تعلمون، هكذا الحُكم عِندَكُم، مالَكُم كيف تَحكمونَ؟ فما الطيرُ الصغير في مَنسَرة البُزاة، ولا الأسير الحقير، في أسرة الغزاة، ولا السقيم النحيف في مَلاعبِ الرُماة، بأَعجزْ من اليتيم الضعيف في مخالب القضاة، إلّا أنّ قُضاةَ السوء يَسدّونَ مشارق الضوء في الآفاق، ويَصدُّونَ أَشطُرَ النوء باتفاق، أهل النفاقِ والوفاقِ، يحسبهم الجاهل على الديانة وهم مُرّاق، ويظنُّهم الذاهلُ على الأمانةِ وهم سُرّاق، يُوفّرونَ لك اللحَية واللِّمة، ويُوقِّرون تلك الحِلية والعِمَّة، ويُعرّضون تلك الصُدورَ، ويُعرضون على المَطعون الغرور، ويسلبون رداءَ التصنُّع على عيوبهم، ويَقولونَ بألسنَتهم ما لَيس في قُلوبهم، والعارف يَعرفهم حق العرفان، إنّهم سراحين[1] تَنَعبُ في الخرفان، يكتبون الزور ويدرسون أَخباره، ويكتمونَ الحقَ ويَطمِسونَ آثاره، فعلى هذا المنوال في جميع الأحوال تجري أقلامهم، وبه تَسري أحلامُهم، وإذا رأيتَهم، تُعجُبُكَ أجسامُهم، يُحرِّفون الكَلمَ عن مواضِعه ليلاً ونهاراً، ويَصرفُونَ الحُكمَ عن مواقعه سرّاً وجهاراً، ويَلبسُونَ الحقَّ بالباطل، وإنّما يلبسُونَ عاراً وشناراً، ويأكلونَ أموالَ اليتامى ظُلماً، إنمّا يأكلونَ في بطونهم ناراً. اللهَ اللهَ لا لا تُفسِدوا أحوالهم، لا تُهملوا آمالَهم، رَبّوهم برُّوهُم، لا تأكلوا أموالهم، فويلٌ للمُغمَضينَ عن التبصرة، المُعرِضين عن التذكرة، كأنّهم حُمرٌ مُستَنفرةٌ، فَرّتْ من قَسوَرةٍ، فَقُمْ يا قاضي الضَوء، الى قاضي السوء، وحَرِّصهُ وَجُل، وحَرِّضهُ وقُل، أحكم فإحكامٌ إنْ شُتِتَتْ شانَتْ، عُوفِيتَ يا قاضي يا ليتَها كانت، وقُلْ له بِئساً، ولمثله تَيساً، مَنْ كان يَحكمُ مِنكمُ فيهم ولو وَزنَ حَبَّه، فَليأتِ بالحُكم عَدلاً وَليَتَقِ اللهَ رَبَّهْ.

---

(١) السراحين: ((السَرحُ: المال السائم والسَرحُ: شَجرٌ عِظامٌ طِوالٌ. الواحدة سَرحةٌ والسريحة واحدة السَريح والسرائح وهو السيور التي يُخصَفُ بها والسِّرحان الذئب وهُذيل تُسمِّي الأسد سِرحاناً قال سيبويه النون زائدة وهو فِعلانٌ والجمع سَراحينُ قال الكسائي الأنثى سِرحانةٌ)) الصحاح ١/ ٥٧٩ مادة: سرح.

الجَوهَر الثاني والعِشرُونَ

قد صَاحَ من تَوفيقه، يا أيّها الإنسانُ[1] ما، لا تُلهِكُم أموالكم، ما عِندكم ينفد وَما[2]، المُوفَّق مَنْ، وافقَ الطاعَةَ، ورافقَ الاستطاعةَ، فأغناهُ اللهُ بالحلال وأرفقَهُ ثم وَفَّقه حتى أنفقهُ، فإنّ مالَ الله أنفسُ الأعلاق، وإنفاقهُ أقدسُ الأخلاق، ومَنْ جاز عن فلسهِ فقد حازَ كنزاً مقيماً، ومَنْ يُوقَ شُحَّ نَفسهِ فَقَدْ [فاز][3] فوزاً عظيماً، فَطُوبى لكل نفاعٍ للغَير مُسعِدٍ كريم، وتَعساً لكل منّاعٍ للخير مُعتدٍ أَثيم، فَواهاً لك مَالَك، تَدّخر مالك، فَقد رُزقت مالا تَيقَّنته كمالا، فَفرَّقته[4] يميناً وشمالًا، ولا تتركه لغدك فَتَتأسف، ولا تفركه لولدك فَتَتلهَّف، فَجِد به لمجراك، وقَدِّمه لمسراك، فحدّه بيمناك، وردَّه بيسراك، فساعد به حميمك وجارك، وباعد به حميمك ونارك، فالدرهم لا ينفعك حتى تفارقه، ولا يسعفك حتى تُفرِّقه، وأنفعُ المالِ ما بُذِلَ ولم يُكنَز، وأرفع الطعام ما أُكِلَ ولم يُخزَن، فَكُلْ ما لَكْ قبل أن تأكلك الدود والعقارب، وفَرِّقه قَبل أن يُقسِّمه الوَلَدُ والأقارب، وافرغ للحُبوب تِبرَك[5] فإنّه ذخيرة الفسقِة[6]، وفَرِّغ من الحُبوب تِبرَك فإنّه حفيرةُ الفويسقة، وأكسر كأسك برأسك وأَفِقْ، وانثر كِيسَكَ بخَمسِك[7]، وانفق وفرِّق دنانيرك فإنّها زنانير، وفارق زنانيرك فإنّها تنانير، وأطلق هذه الجلجاء فإنّها فانية، وطَلِّقْ هذه القبحاء فإنّها زانية. واعلم أن المال رايحٌ وغادٍ وحراسته شُغل الأوغاد،

---

(١) إشارة الى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ سورة الإنفطار: الآية ٦-٧.

(٢) إشارة الى قوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ﴾ سورة النحل: الآية ٩٦.

(٣) لم ترد في الأصل.

(٤) في الأصل فَقرقهُ.

(٥) أي التراب.

(٦) تفتح الحَبَّة.

(٧) أي أصابعك.

وهل ينفعهم ما أُوتـوا، وهم حفظته حتى يموتوا، أو يسعفهم شيءٌ من مُلكِهم، وهم حرسته الى مُهلكِهم، فَتَبّاً ثم تباً لهم سَيعضُّون على يد البُخل بناب الندامة، وسيطوقون ما بخلوا به يَومَ القيامة، فَدَعْ البأسَ، وودَّع النِسناس، الذين يَنحلُونَ ويأمرونَ الناسَ، فاجمع فَيضاً، واسمع أَيضاً، حَلُّوا بدار الذي لم يَكُنْ، بخيلٌ يُدانيه دُونَ السَماءِ، فان يَسكتُوا يأتِهم مَوتُهم وإنْ يَستَغيثوا يُغاثوا بماء[1].

(١) إشارة الى قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ سورة الكهف: الآية ٢٩.

الجَوهَر الثالث والعِشرُونَ

حَلَّ به غُرورٌ، مِنهُ العِياذ بالله، قُلتُ فما فقالوا، قيل له اتقِ اللهَ، فيا مغلوبَ البَلِيَّة، ويا مطلوبَ المَنية، ويا ضعيفَ الحال، ويا حَليفَ المُحال، مالي أرى رأسك حُشيَ كِبراً، وفؤادك مُليء جِبراً[1]، ونفسك ترجم حزراً، وطرفك ينظر شزراً، وأملك ممتداً كالنخل الباسقِ وعَملُكَ، مُسودّاً كالليل الغاسق، وحرصَك كاملاً ونَفسَك ناقصة وخرصَك قاتلاً وشمسَك قالَصةً[2]، وآهاً لك مالكَ، قبَّح الحَقُّ حالَكَ، تغشي أموالَ الأيتام، ولا تَخشى أهوال سُوء الختام، تَبلعُ السُمَّ وتَلقعُ الدم، وتَحملُ العارَ، وتأكلُ النار، لأجلِ دِرهمِ الدَنيَّة ودينارِها، وأدهم البليَّةِ وزنّارِها، فاترك الكِبَر فإنه يُصغِّر خدك ويُصغِّر جِدَّك، ويُعمِّر أمرك، ويُدمِّرُ عمرك، أَتغترُّ بالدُنيا وعن قليل تُقَلع هامَتُك، وتَفترُّ على الغبراء، وعن قريب تُبلَع قامَتُك فاقصِد فإنَّك تمشي في عراين الآساد الزايرة[3]، وارصد فإنَّ أديم الأرض من هذه الأجساد السايرة، واعتَبِر بتلوّن الليل والنهار، ولا تَغتَر بتدوّن[4] الخيل والدينار، الغَمُّ والسرورُ في فؤادي، يختلفان خَالِصاً للباري، لَهُ لَهُ جَلَّ اسمهُ سبحانه، له اختلافُ الليلِ والنهار، فإنَّ مَنْ عَلِمَ الثرى مصيرهُ أمره، لا يمرح على ظهره، ومَنْ عاين تَقلُّب دهره، لا يَغترُّ بشيءٍ من أمره، ومَنْ عرفه حَقَّ العِرفان زَهَدَ فيه ومَنْ زهد فيه بما فيه لا يضحك بملأ فيه، فيا جليلَ الخبر بحال التِبر، لا يروقنَّك من أهل الكِبر، تأجج الدينار وتروّح الاعتبار، وتموّج الاغترار، فَقُمْ إليهم قِيامَ أداء القرض، وقُلْ لهم على سبيل الفرض، لا تُركضوا خَيلَ الخيلاءِ في

---

(١) أي أسود اللون.

(٢) قالصة: ((وشفةٌ قالصةٌ وظلٌّ قالِصٌ إذا نقص والقَلوص من النوق الشابة، وهي بمنزلة الجارية من النساء وجمع القلوص قُلُصٌ وقلائِصُ وجمع القُلصِ قِلاصٌ)) الصحاح ٢/ ٣٣٥ مادة قلص.

(٣) أي زئير الأسد.

(٤) أي التدوين في السجل.

ميدان العَرض، أآمنتمُ مَنْ في السماء أنْ يَخسِفَ بكم الأرضَ، فَفرُّوا من شر الشرور الى خير الأمور، فإن الدُنيا متاع الغرور، فإلى متى المَرحُ بالصَدْ، والفَرحُ بالضَدّ، مَشيُكَ مَشيَ السُكارى، في ذي الدنيا الغَدّارة، أَطَعتَ النَّفسَ أَلم تَعلم، أنّ النَفسَ الأمّارة، قال الذين استكبروا، إنّا نَرى أن نَلتَمِس. قُلنا اذكروا مَنظورَكم، قالوا انظرونا نَقتَبِس، رَأَيتَ شَبّانَ رياض الهَوى، في لُجّة اللهو وعَين الحَمَق، فَقلتُ مغرورونَ تَبّاً لكم، لتَركَبنَّ طبقاً عَنْ طَبَقْ، يا رَبَّ ما استجاروا، كِبراً فلا تُجِرهُم، بل أَولِهم هَلاكاً، إنَّكَ إنْ تذرهُم.

الجَوهَر الرابع والعِشرُونَ

لَم يَكفِهم أَنفسُهم جاهِلة، في غَيِّها عن رُشدِها ذاهلة، فَحَمَّلوها بحقوق الوَرى، ليحمِلوا أوزارهم كامِلة، فَويلٌ لهم بثقل أحمالهم عن انتقالهم، وليَحملنَّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم، فَمالَكَ تظلم نفسَك بظلم غيرك وتظلم شمسك بغيم خيرك، وَيحك فإنَّ الظلم يُفرِّق أَقواتك، ويُمزِّق أوقاتَك، ويُنكِس أعلامَك، ويعكس أيّامك، ويُدرِسُ أخبارك، ويُطمِسُ آثارك، ألاَ أنّه أَضَرُّ من الرياح البوارح، وأطرُّ من الجوايح الطوارح، وأَدوسُ من حوافر الخيول وأَرفَسُ من ظوافر السيول، وأنه أَشرّهُ من الذيب[1] الطامع، والكلب الجايع، وأنّه أدهى من العطبِ الصادح، والخطبِ الفادح، إلّا أَنّه أَنحسُ من البوم، وأَتعسُ من الشُوم، وأَشيَن من اللوم، وأَنتَن من الثوم، إلّا أن الظلمَ بئسَ المَرتَع الشنيع، وأنّ العدل نعم المَربَع المَنيع، ألاَ أن القاسطين من نار الضلالة في نهابر لَظويَّة، وإنَّ المُقسطين من نور العدالة على منابر رَضَوية، ألاَ أنَّ الظلم أَمنعُ مانعٍ من صعودِ الكلمات، وأَردَعُ رادعٍ عن هبوط البركات، ألاَ أنه أَشنعُ من الأجيج[2] في الحليج[3]، وأَفضَعُ من الثلج بالمفاليج[4]، وما من شيءٍ أَشأَمَ من والٍ غاشمٍ، فإنْ كان من أشهم آل هاشمٍ، الغَشُم يسبل على عيون الظلمة براقع، والظلمُ يجعل الديارَ من السَكنة بلاقع، يطربون بخمر الحياة، ويغيبون عن النشور، ويجورون جَورَ البُزاة، ويرجون عمر النسور، كَلّا ثم كَلّا، فَقُلْ لمَنْ تَولّى، وهو يَروم، أَنْ يَدومَ، يأبى اللهُ أن سَيدومُ، مُلكٌ سدوم، سبحان الله فما إلتذاذهُم بإيذاءِ الصالحين، وإرضاء الفادحين، ربَّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقِ

---

(١) أي الذئب.

(٢) أي النار.

(٣) القُطن.

(٤) المفاليج ومنه الفلوجه أي الأرض التي تُزرع.

وأَنتَ خيرُ الفاتحين، فيا جميلَ الحُلم، لا يَغرنَّك بعدَ العِلم من أهل الظُلم، تَكثُّر الأنصار، وتَوفِر الأشرار، وتَفجُّر الفُجّار، فَقُمْ إليهم على سبيل الاضطرار، وأخبِرهم إنّه إنّما يُوخِرهم ليومٍ تَشخَصُ فيه الأبصار، فَفِرُّوا من أَنحس الشرور، الى نفس السرور فالى متى كرور الغُرور في الوِرودِ والصدور، والله عَلّامٌ بذات الصدور، فلا تكونوا من الذينَ يَعدهم الشيطانُ وما يَعدهُم الشيطانُ إلاّ غُـروراً، ولا من المفسدين الذين كانوا قوماً بُوراً، ولا من الذين يقولونَ للذينَ آمنوا انظرونا نَقتَبِس من نُوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نُوراً، فَواهاً لهم ثُمّ واهاً لهم، لَمّا مشوا بِشرِّهم، عَمّوا الوَرى بضُرِّهم، سُحقاً لهم فإنَّهم، ذاقوا وَبالَ أمرهم، قد أَمهَلَ الحَقُ وأملى[1] لهم، لِيَرتعوا في الغَيِّ لا إهمالًا[2]، وَيلٌ لهم بل لهم مَوعِدٌ، لن يجدوا من دُونِه موئِلاً، أوليائي بينهم، بالغوا ظُلماً بهم، ويَلهم لم يَعلموا، إنْ نَشَأ نَخسِفُ بهم، نالوا وقالوا ومالوا، مَيلاً عظيماً وحَالوا لم يكفهم ذلك حتى، هَمُّوا بما لم يَنالوا، لَمَّا عَصوا وعَتوا وبادوا، وَقَد بقيت مجامَع الذَّمِ في الدُنيا معاطِنهم، فذاك قولُ إله الخَلقِ قاطِبةً، فأصبحوا لا يُرى إلّا مَساكِنهُم.

(١) إشارة الى قوله تعالى: ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ سورة آل عمران: الآية ١٧٨.

(٢) في الأصل إهملا.

الجَوهَر الخامِس والعِشرُونَ

لا تُلهِكم أَموالكُم ما عِندكم يَنفد وما، إن تكفروا أَنتُم ومَنْ، يا أَيُّها الإنسانُ ما، الشقي مَنْ يسعى لدُنيا الخسيسة، ولا يرعى علياه النفيسة، يَشتَغل ببوالي البالية، عن غوالي العالية، فَيَتقلَّب في البلاد والبراري، ويَتَعذَّب للأولاد والسراري، يركب مَطيَّة الغربة، ويستطيب بَليَّة الكُربة، فلا يُبالي بصعايب [بصعائب] القرِّ والحرِّ، ولا بمصايب [بمصائب] البَر والبحر، فيجمع المالَ الى المآل، ويَدفعُ الأعمالَ بالآمال، فيركمه جميعاً، ويَتركهُ سريعاً، كارهاً لا مُطيعاً، فيُحاسَب على كثيره وقليله، ويُعاقب على حقيره وجليله، فيأكل خَيرَهُ غَيرُه، ويَحمل وزرَهُ عِيرهُ، فَتَّباً له كيف يَذلُّ نفسه، ويُجلُ فِلسَه وكيف يُضعِف أدهمه، ويُضعِّف دِرهمه، وكيف يُدمِّر مآلهُ ويُعمِّر مالَهُ، وسُحقاً للشحيح، كيفَ يشحُّ على الدرهم الصحيح فلا ينثره، وتَعساً للبخيل كيف يبخل بالنخيل على الدخيل فلا يُؤثره، وبُعداً لليم [للئيم] كيف يُرزَقُ مالاً، قيراطاً أم قِنطاراً، بُرّاً أم بهاراً، ولا يُفرِّقه يميناً وشمالاً، ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، فيعطي أعوانَهُ، ويُغني إخوانه، ويرفد جيرانه، ويَخمد نيرانه، يُفرِّقه بِجدِّه، ولا يمسكه بيده، وينفقه بجده، ولا يَدعُه لغده، ويُمزقه بمجده، ولا يُودِعه لِولدِه، بل يقدمه لمسراه الى آخره، فيرفعه بيمناه رشيداً، ويَدفَعه بيسراه سعيداً، فيجوز طورَ الشرور، ويَحوز نورَ السرور فَويلٌ للبخلاء بما تُروى بها ذُنُوبُهم، وتُزوي إليها جيوبُهم، ثم يُحمى عليها في نار جهنمَّ فَتُكوى بها جباههم وجنوبُهم، أولئك الهلّاعون الجمّاعون، القلّاعُون الطمّاعون، الذين يُراءونَ ويمنعون الماعونَ، فيا أَيُّها الواعون، لا تَمنَعُوا الماعون، حتى ينعاكم الناعون، فانفعوا عُبّادَ الله ما استطعتم عِبادَ الله، وما تُقدِموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عِندَ الله، وقولوا لمَنْ أتى بالنقيض فَغوى، وهوى في الحضيض فثوى، ويلكم توبوا فإذا ليس ذامتكم جديراً، فانفعوا مِمّا رُزِقتُم واذكروا الله كثيراً.

الجَوهر السادِس والعُشرون

دُنياكُم مَردودةٌ، مَقصودةٌ أعمالكمُ، لا يَشغلنكُم غيرها، لا تُلهِكم أموالكمُ، فيا مَنْ يعلم إذا تَحرَّقَ وتَندَّمَ أن ليس له إلّا ما فَرَّقَ وقَدَّمَ، ما تَصنع بالقناطير المُقنطَرة وأَنت عابرٌ هذه القنطرة، وما تَجمع بالدرهم والدينار، وآخرهما مقرون بالهمِّ والنار، قَلبُكَ قلبٌ منقلبٌ، ولُبك كَلبٌ كَلِبٌ، نابهُ سهمٌ واقع، ولُعابهُ سُمٌّ ناقع، تُبليكَ الدنيا وتَعشقُها، ويؤذيك نَتنُها وتَنشَقُها، تنفيك وتعانقها، وتجفيك وتلاحقها، وتحمل خطيرها وتضمُّها، وتأكُل شعيرها وتذمُّها، تستطيب هذه المُنازلة وتَستَحبُّ هذه النوازل[1]، وتعتاد هذه الزلازل، ولا تنقاد الى الجنة بالسلاسل، ما هذا من شيمة المؤمن ودأبه، ولا من سُنّة الموقن وأدبه، ويحك أن المؤمن تقيٌّ نقيٌّ، حَفيٌّ جفيٌّ، والمُوقِن بَهيٌّ نهيٌّ وفيٌّ وقيٌّ، نَفسُ المؤمن عن المعارف عازفة، وقيامة المُوقِن بالمعارف قايمة، فلا يشغله متابعة اللَّذات، عن تزكية الذّات، ولا مشايعة المعافات عن تصفية الصفات، فإنْ أقبلت عليه الدَنيَّةُ أَدبرَ، وإنْ أَطبَقَتْ عليه البَليَّةُ صَبَر، فاتخذ من الصبر الجميل تُرساً، وفي المأتِم الجليل عُرساً، أقول كما يقول حمارُ[2] سوءٍ، وقد سامره حِملاً لا يُطيقُ، ساءَ صبرُ والأمور لها اتساعٌ، كما أنَّ الأمور لها مضيقٌ، فأمّا أن أموت والمكاري، وإمّا ينتهي هذا الطريق، واعلم أنّ الأمر لا يمور بإرادة نفسك والدهر لا يدور بإدارة شمسك، فانِقر من ثمارِه نَقَر العصافير، ولا تنظرها نَظَرَ النواطير، وتَقَنَّع بالكفاف، وتَمتَّع بالعفاف، فما نشأت نفسٌ إلّا هلكت، وما طلعت شمسٌ إلّا دَلَكَتْ، فَودِّع هذه الطيبات وحلاواتها، وتَجرَّع هذه النايبات [النائبات] وعلاواتها، وكَبِّر على الدنيا فإنّا لله، ولا حَولَ ولا قوةَ إلّا بالله، واصبر وما صَبرُك إلّا بالله، وفوض أمركَ إليه، وتَوكَّل عليه، فإنّ الإستناد إليه، والاعتماد عليه، قد ضاقَ

---

(١) قد تكون هُدّه.

(٢) في الأصل جِمارٌ

صدري بنقيض السُرور، وأنت عَلَّامٌ بذات الصدور، سَلّمتُ أمري لك يا سيدي، ألآ الى الله تَصيرُ الأمور، قالوا صَبرٌ[1]، دايمٌ، والصبر مُرٌّ كالجُرحِ، قُلتُ اسمعوا دُرَّ الخبر، الصَبرُ مفتاحُ الفَرجِ.

(١) في الأصل اصبرٌ.

الجَوهَر السابع والعِشرُونَ

قُلنا اعملوا لا تَلتفوا بالزَيفِ من أَسبابكم، قال اذهبوا لا تَجتَرُوا، إنّا تَطيَّرنا بكم، فيا خَفيَّ الاتصال، ويا جَفيَّ الانفصال، لا تَفخر بالمال على أهل الكمال، ولا بالذهب على أهل الأدب، ولا بالزخارف على أهل المعارف، فإنّ المرء بكمالهِ، لا بمالهِ، وبأدبهِ، لا بذهبهِ وبمعارفهِ، لا بزخارفهِ، والمال ميّالُ المآل، سيّالُ الحال، كثيرُ البلبال، كبير الوبال، صحيب الإنتقال، حصيب القلقال، مُعينُ الآمال، مُهينُ الأعمال، شنيعُ الأحوال، فَضيعُ الأهوال، ذريع الزلزال، سريع الزوال، عَرَضٌ حاضر للتقي، والفاسق، ومرضٌ ناظر للنقيّ، واعلم أن المخدوع عن الطريقة، والمردوع عن الحقيقة، مَنْ يجمع المال الى المال، ويدفع الأعمال بالآمال فَيستَطيبُ ركوبَ الأخطار، وخطوبَ التيار، ولحوقَ العار، ولصوقَ الشنار، وَوَقَدَ النار، وعقد الزَنَّار، لأجل الدينار، ومَنْ يستلذ أكلَّ الرماد، وحل السَّماد، وفقد المهاد، ونقدَ وارتكابَ الشداد، واضطرابَ الفؤاد، وذُلَّ التَقلُّب في البلاد، لأجل الأولاد، فيركب مَطيَّةَ البر والبحر، ويشرب أذيَّةَ القرِّ والحَرِّ، ويشفع العَرَّ بالجرِّ، ويجمع الذرَّ الى الذرِّ، فيركمه جميعاً، ويعدمه سريعاً، قدوماً على حَتفهِ، رَغماً على أنفهِ، ومَنْ يملك مكاناً فَيبنيه، ويُعمِّره زماناً لبنيه، ويرصِّفُ لِبنةً على لِبنة، ويُخلِّف تِبنةً لإبنه، ويُمزِّق مذهبه بذهبه، ويُلزِّق ذهبَهُ بمذهبهِ، ويَذلُّ نفسه النَفيس، ويَجلُّ فَلسَهُ الخسيس، ويَنطِقُ بالمُبهم القبيح، ويشفق على الدرهم الصحيح، فلا يُقصم عنده مُصارفةً، ثم يُقسم بعده مجازفةً، فتبعاتُه لا لذَّاته لذاته، ولَذاتُه لا تبعاتُه لذواتِه، فيَسبحونّ في قَفرْ الوبال، ويَسبَحون في بحر الضلال، ويسحبون ذَيلَ المُحال، على أهل الحال، أولئكَ الذينَ حسبوا أن يُتركوا سُدى، فاشتروا الضَّلالة بالهدى، فَما رَبحِت تِجارتهُم، وما سَمِحَتْ أجارتهُم، فَتبّاً للمُورِثِ والوارِث، والحرث والحارث، وتَعساً للواضع والموضوع، والزارع والمزروع، وسُحقاً للراصد وما رَصَد، والحاصدِ وما حصد، وبِئساً للحمار

ونَفلِه[1]، والفار وثَفلِه[2]، وبُعداً للنسناس ونَسلِه، والفَسفاس[3] وفَسلِه، فَمَنْ قالَ بهذه الأباطيل، ومَنْ مالَ الى هذه الأعاطيل، فَقُمْ أيّها التقي الواعي والنقي الداعي، الى هذا الذي أورث مالَ المحال، وانظر هَلْ مانَهُ المال في مال الحال، كلا ثم كلا، فإنّ الخليل نخلاً، ثُمَّ أَتلُ على هذا المفتون، الشقي المغبون، يومَ لا يَنفعُ مالٌ ولا بَنونَ، وقُلْ لمَنْ تكاثر وتشاجر، وتفاخر وتناحر، المالُ سَوفَ يُفنى، الى متى التفاخر، يا أَيُّها السكارى، أَلهاكُم التكاثر، قُلنا لهم ما بالكم، ما شأنكم ما حالكم، قالوا فما، قُلنا عَما، لا تُلهِكُم أَموالكُم.

(١) ((النَفل والنافِلة عَطيَّة التَطوَّع من حيث لا تَجبُ، ومنه نافلةُ الصلاة والنافلةُ ولد الولد والنَفَلُ بالتحريك الغنيمة والجمع الأنفالُ، والنَفلُ أيضاً نَبتٌ ويُقال لِثلاثِ ليالٍ من الشهر، نُفلٌ وهي بعد الغُرر والنَوفلُ: البحر والنوفَلُ الرجل الكثير العطاء والنَوفلةُ المِملَحة)) الصحاح ٢/ ٥٩٧ مادة نفل.

(٢) ثَفلِه: ((الثُفلُ: ما سَفَلَ من كُلِّ شيء والثُفلُ الحَبُّ وجَملٌ ثَفالٌ بالفتح أي بطيء، والثّفالُ جلدٌ يُبسَط فَتُوضَعُ فوقه الرحى فيُطحَن باليد ليسقط عليه الدقيق، ومنه قول زهير: فَتعرُككُم عَرَكَ الرَّحى بثفالِها
ورُبما سُمِّي الحجر الأسفل بذلك)) الصحاح ١/ ١٥٦ مادة ثفل.

(٣) الفسفاس: ((الفَسفاسُ: الأحمق والفَسيس الضعيف العقل أو البدن)) القاموس المحيط ٢/ ٢٤٥ مادة فس.

الجوهر الثامن والعشرون

تَبّاً له من جاهلٍ، أَتعبني كُلَّ التَعب، طارتْ به عَنقاؤهُ، تَبَتْ يدا أبي لهب، العِرِّيف عارم، والزَعيمُ غارم، واللئيمُ مذموم، والذميم مطموم، ألاَ أنَّ مَنْ يَفخر برعيَّة العامة، وبليَّة الزعامة، فهو أَحمق من النَعّامة، وأَنحَسُ من الذمامة، وأَنجَس من السآمة، فإنَّ رغم الأنوف في الزعامة، وهمّ السقوف على الدعامة، ولا يُرى في الورى أَطرد من الزعيم، ولا أَبعد من الفوز بالنعيم، سالك في الحوالك، هالكٌ في الهوالك، يَهرعُ في إرادات البُغاة، ويُسرِعُ في مرداتِ الطُغاة، يهبُّ في الهتك بالأسرار، ويَخبُّ في الفتك بالأحرار، يمضي على المؤاخذات، ولا يغضي عن العُداة، يحاسِب الأَحبّة على الحَبَّةِ، والأرِبّة على العبّة، ويُغالب الأمجاد على العثرات، ويُطالب الآحاد بالعشرات، يدافع الحقير على القطمير، ويرافع الفقير الى الامير فهو نَمّامٌ، مالَهُ ذِمام، هِمَّتُه تحويل الأموال، وتطويل الآمال، ونِهمتهُ جَلبُ النعيم، وثَلبُ الجِيم، فهو ذيبُ الرجيم، وكلبُ الجحيم، في العذاب الأليم، يموت عن أجر سوءٍ، ألبسهم العار والشنار، وأورثهم الدرهم والدينار، يَقدِّمُ قَومَهُ يَومَ القيامةِ، فَأَورَدهُم النار، فيقول ياويلتي لقد وقعتُ غضب الله، يا حَسرتي على ما فَرَّطتُ في جنب الله، فيُقال ذا ظالمٌ جَحودٌ، خُذُوا به فَغلُّوه، ثم اسحَبوه سَحباً، ثُمَّ الجحيم صَلُّوه، فلا تنظر الى تمثاله، واحذر من أمثالهِ، فإنهم فَسقة الواهية، وغسقة الهاوية، عن أمورٍ قد عَنتهم، لم يزالوا مارقين، لَيسَ هم في الأمر إلّا قَومُ سوءٍ فاسقين.

ألآ فكونوا على احتياطٍ فَكلُّ خُمسٍ يُرى بخَمسٍ، وكُلُّ آتٍ يَحولُ حالاً، ليَجزي اللهُ كُلَّ نَفسٍ، الأيام أدوارٌ، والأنامُ أطوارٌ، والأحوال متناقِضة، والأفعال متعارضة، والمقامات متنافية، والمرامات متجافية، والقضايا جارية، والمطايا سارية، والبلايا هابطة، والمنايا خابطة، والنَفسُ كليلةٌ، والقِوى عليلة، فاعمل من العِلم جُبّةً، واحمل مِنَ الحِلم جُنّةً، واعلم أنَّ إدارات الأيام لا تدور بادارتك، وادارات الأنام لا تَمور بارادتك، وسواري الدهور لا تسري بمشيَّتك، وجواري الأمور لا تجري بقَضيَّتك، ؟ أكلُّ ما تَهواه نَفسُكَ تَملِكهُ، ما كُلُّ ما يتَمنّى المَرءُ يُدركه، فاغمض عن ادارتك، واعرض عن ارادتك واطرح مَشيَّتك، واجرح قَضيَّتك، واعرف حَدَّك، واحذف هَدَّك، وادخل في ديوان القضاء، من إيوان الرضاء، وتَوصَّل الى مَنْ خلقك إنْ كُنتَ مُوقِناً، وتَوكَّل على مَنْ رزَقَكَ إنْ كُنتَ مُؤمناً، واطمع في الكثير من العِرفان، وامتنع في اليسير من الرغفان، وكَبِّر على هذه الخرفان، وَودِّع هذه الجِفان، واغتسل بماء الأَجفان واندرج في الأكفان، واتلُ كُلَّ مَنْ عليها فان، فما نشأت نفسٌ إلّا قفلت، ولا طَلَعتْ شَمسٌ إلّا أَفَلتْ، وما طارَ طايرٌ إلّا وقع، ولا دار دايرٌ إلّا هجع، فلا تكن كالعوام، في طمع الدوام، وانظر الى الأقوام، في قيام القوام، هل ينالون في الدُنيا دُولاً، ولا يَبغونَ عنها حِولاً، لا والله لم ينالوا، وبغوا فلم يُبالوا، فَبَهجتي هُبي، إنَّ معي ربي، فما هذا المايت ومَوتُه، وما هذا الفايت وفوته، لا تحسبوا دون هذا أَنّي أُقاسي فأَشقى، لا بل وإنْ فاتَ هذا فاللهُ خيرٌ وأبقى.

هو العَلَّام يَعلمُ كُلَّ شَيءٍ، فَخلَّوا ما ينادي بالخَسار، فَيعلمُ ما تعاطَيتُم بليلٍ، ويَعلَمُ ما جَرحتُم بالنهار، فيا مَنْ يُزكّي نَفسَه بمفاخِره، ويا مَنْ يكبُّه اللهُ على مناخره، خَلِّ الَهذَر بهذه المَفاخِر، وَوَلِّ عن هذه المساخِر، ولا تَعدُّها مَفخرةً، فَتُعد مَسخرة، تَفَخرْ بندمة السلطان وأعوانه وهي ندامةٌ، وبطاعة الشيطان وإخوانه وهي غرامةٌ، تقول أبي نامي دولةٍ، سامي صولةٍ، والي ثروةٍ، عليُّ ذُروةٍ، ساحب أَزرارٍ، صاحِب أَوزارٍ، مُصاحِبٌ الطُغاةِ، مُلاعِبٌ البُغاة، متطاولٌ بالحيطان، مُقدَّمٌ عند السلطان، ومَنْ قَدَّمه السلطانُ فهو المُؤخَّر ومَنْ سَخَّرهُ الشيطان فهو المُسَخَّر، مذكورٌ بالبلد كالسلطان مشهورٌ بالجلد كالشيطان، تَحلّى بحلاوة الطاغي، وتَعلّى بعلاوة الباغي، إقتاتَ لقمةَ الأمير، ومات ميتةَ الحَمير، خَلَّفَ طالحاً بزعمه صالحاً، نعم للضب بالعصا، والنَصبِ للحصا، يَنثُر مواريثه، ويَنشر أحاديثه، يتنغَّم بأمواله[1]، ويَترنَّم بأحواله، تباً للتارِك والمتروك، والفارِك[2] والمفروك، وتَعساً للمُخلِف والمُخلَّف، والمؤلِّف والمؤلَّف، وسُحقاً للأصل والفرع والزارع والزرع، ولا بُوركَ في الحاصد وما حَصَدْ، والوالد وما وَلَدْ، وبُعداً للمُلكِ[3] والمالك، المُهلِك والهالك، فما الثور وعجله، وما السّورُ وبُخله، وما الكلبُ وجروه، وما الدُبُّ وخروه، فما البغي وغبيّه، وما الغَبيُّ وبغيه، وما الباطلُ ومقتضاه، وما العاطل ومُرتضاه، أورثه الدِرهَم والدينار، والأدهم والزنّار، فَقُمْ يا نَجيبَ الحالِ حبيب المال، الى مَنْ سلَّمه النَسَب والنَسَب، وحَرَمهُ الأدب والحَسَب، وانظر هَلْ أغنى عنهُ مَالهُ وما كَسَبْ، كلا ما أَغنى عنه، ولا أدنى مِنه،

---

(١) في الأصل يَتنغَّمُ بأمواله.

(٢) الفارك: ((تقول فَرِكت المرأةُ زوجَها بالكسر تَفَركُه فركاً أي أبغضتهُ فهي فروكٌ وفارِكٌ ويُقال رجلٌ مُفَرَّكٌ بالتشديد، للذي تُبغضه النساء)) الصحاح ٢/ ٢٤٠ مادة: فرك.

(٣) في الأصل للمملك.

فهذا هو الجاهل الغَوي، والذاهل الهَوي، وجاهلٌ يَحمِله، أتعبني كُلَّ التعب، فَقُلتُ مَنْ: فقيل قُلْ، تَبَّت يدا أبي لَهب، فاذهب وخَلِّه بغروره، ذَهَبَ اللهُ بنوره، سُحقاً له من جاحدٍ، تَبَّت يدا أبي لَهب، أصلاً كأنّ لم يأتِهِ، كلُّ أمرٍ بما كَسَبْ.

فاقَ بطاعاتِه، على الفريق العَلي، فَنَشأةٌ بالِغه، فاعتبروا يا أُولي الفريضة سُنّة الهُدى، والسُنّة جُنّة الردى، والفريضة كالعلم كمالاً، والسنة كالحِلم جملاً، وفضل الحماءِ المسنون وفصلُ العاقل والمجنون، بالمفروضِ والمَسنون، والفَرضُ لا يُجدي فضلاً بدون السّنَنِ، والجذل لا يُبدي حِملاً بدون الفِتن، فإنَّ كمال الفريضة، بالسُنّة المستفيضة، والفَرضُ مع السُنّة أَكملُ، والدرع مع الجُنّة أَجملُ، فَتَجوَّد بالدروع والجُنن وتَزوَّد بالفروض والسُنَن، فإنّ الفرض كالخُبز والسُنّة كالحلاوة، فَنِعمَ القوت ونِعمَ العلاوة، ففي الفرايض جاهد، وعلى السُنَن عاهد، فإنَّ السُنن آداب الرُسُل وأَعلام السّبُل، واشفع الفريضة المَقضيَّة بالسُنّة المَرضيَّة، فَمَنْ سَلَكَ مسالك السُنّة، مَلَكَ ممالِك الجَنَّة، فبسلوك سبيلها يصل الى سلسبيلها، يتَقبَّل أثرها، الى كوثرها، وبلزوم أصعبها عبادة، الى أرحبها سعادة، فافعل السُنّة بعد الفرض، وادخل الجَنَّةَ قبل العرض، فكم أمرناكم أن تُجمِلوا السُنَّة، وكم دعوناكم أن تدخلوا الجَنَّة، واتبِعْ الرسول في الوصول تكن له مُطيعاً، واشفع الفصول بالأصول يَكنُ لك شفيعاً، وَخُذْ ما أخذه القَومُ، وانبذ ما نَبذوه، وما آتاكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، وإيّاكم أنْ تلتهوا أو تشتهروا، أيّها القوم خَيركُم لا تناووه ترتدوا، فاعرفوه فإنَّه، إنْ تُطيعوه تهتدوا، إنّ النَبيَّ محمداً خَيرُ البرايا فاعلموا، فاستكثروا من خيره، صَلّوا عليه وسَلِّموا، هذا حبيبي فاعلموا، واستعصموا واستسلموا واستمسكوا بجنابهِ، صَلّوا عليه وسَلِّموا، إنَّ النبي محمداً هاديكُم صَلّى عليه ربُّه تعظيماً، فعليه إذ صَلّى الإله فأنتُم، صَلّوا عليه وسَلّموا تسليماً، أيُّها الناس فجولوا، في مراضيه، وَحُولوا، عن مناهيه وزُلوا، واتقوا الله وقُولوا.

عَليهُم لم تَزَلْ حُجَّتُنا ناهضة، فَمَنْ هنا لم تَزَلْ حُجَّتهُم داحضة، فلا بُدَّ من الحُجَّة والدليل، كالمُهجة والخليل، دَليلٌ ما وأمر ما، فإنَّ الشَكَّ لا يُدني وأنَّ الوهمَ هيَّامٌ، وأَنَّ الظنَّ لا يُغني، فمثلُ الدليل القاطع، كمثل الصقيل الساطع، ومثل الدليل والمدلول، كمثل العِلةِ والمعلول، ومثل المعلوم والبُرهان، كفرسي رهان، على أَنهما كالمصباح والأدهان، والمفتاح والأذهان، والملواح والنبهان، ومثل الحُجّة والمرام، كالعماد والخيام، والنِيَّة والصِيام، والحكمة والنظام والمخ والعظام، وابتهار الأمور بالأدلة، واشتهار الشهور بالأَهلِّة، واتضاح الفضايل بالأَجلِّة، وارتياح الفواضل بالأَخِّلة، وعَلمُ الدين لو لم يلازمه بأنَّ البيان أعزل، وقَلمُ اليقين لو لم ينادمه سنانُ التبيانِ مِغزل، وصَكَّة شكّةِ الشك، لا يقربها سَرابُ الفَكّ، إلّا بضبِّة قراب الفكّ، والبيان اللامع نورُ الله والتبيان الساطع سُورُ الله، وطالب الواقع ضيفُ الله، والبرهان القاطع سيفُ الله، إنّه لَسلطانٌ، إنّه لبُرهان، إنّه لسيف الله، إنَّه لقُرآنٌ، به يُقبرُ الجَهلَ ولا يُنشَر، ويُطوى العلمُ ويُنشَر وبه يُنهَر الباطلُ ويُقهَر ويُنقَر الحقُّ ويُقشَر. فالزم اليقينَ وكُنْ من المُتقين، وارفع الظَنَّ بالعلم، وادفع الوهم بالحزم، فإنَّ حديد جمرة الظنّ تكوي قلبَ (ورشاته) الرَوح كيّاً، وشديد شواظ الوهم يشوي لبَّ حمامة الروح شَياً، وأنَّ الظَنَّ لا يُغني من الحق شيئاً، وقُلْ لمَنْ عَنَّ له أن يَحور، وظَنَّ أن لا تحور، لقد ظَلَلَّت عن الضوء، وظَنَّنتَ ظَنَّ السوء، إنّما ذا مِنكَ ظنٌّ، والذي يَعنيكَ علمٌ إنّ بعضَ الظن إثمٌ، قُلتُ وصل، قال فصل، قلت لِمَ ذا، قال جُرمٌ، قلت حُكمٌ، منك وهمٌ، قال كلا، قُلتُ عِلمٌ، قال ظَنٌّ، قُلتُ جَهلٌ، إنْ بعضَ الظن إثمٌ، قال ظبي لإنّ هذا، في طريق العشق جرمٌ، قُلتُ خَلِّ الظَنَّ واعلم إنَّ بعضَ الظنِّ إثمٌ.

لَم ينفعل في ذاته، مِن أي شيء طَرَقَه، سبحانه من خالقٍ، من أي شيءٍ خلقه، مَالكَ متوشِّحٌ بالوقاحة، وما بالك مُترشِّحٌ بالرقاحة، كأنك ترى الوقاحةَ بضاعةً صالحةً، وتجارةً رابحةً، وصناعةً لايقة، وبراعةً فايقةً، تُنطِق اللسانَ، وتُطلق الإنسان، وتُسدِّد الأقوال، وتُجوِّدُ الأحوال، وتُضعِفُ المالَ، وتُسعِفُ الآمال، وتَمنَحُ الأنفال، وتُفتَحُ الأقفال، وتُطعِم الأرطاب، وتَلقِمُ المستطابَ، تَجذبُ الحور وتكسب النور، وترفع القصور، وتُكثِّر الاخوان، وتوفر الأعوان، وتسرد المنحةَ، وتطرد المِحنة، فتصبح وقد وردت على ما أردتَ، وقَدَرتْ، على ما قَدَّرت، وأَنهيتَ الى ما اشتهيت، وغلبت على ما طَلبتَ، ونِلتَ ما قَصدتَ، وأكَلتَ مَا حصدتَ، واسترحت بما اقترحت، وانجحت بما اجترحت، وتَغنَّيتَ بما تَجنَّيت، وتَهنَّيتَ بما تَمنَّيت، فهناك تلقى نعمة الأنذال، إنَّ الوقاحة مِنحةُ الأرذال، لكن لا أَباحَ الله لك خيراً فيما رأيت، ولا أزاحَ عنكَ ضيراً بما نأيت، ولا وُجِد مَنْ يَتوقَّح، ولا وِلِدَ مَنْ يترقَّح، إنَّ الوقاحة اجمُولَة العاجلة فاتركها وعَفِّر، وحمولة الهمّة الراجلة فافركها وكَفِّر، ألا أنها كرٌّ يُدمي، وفرٌّ يغمي، وضرٌّ يُعمي، وشرٌّ يُصمي، ألآ أنّهما (أنها) نهمة الذياب، وشيمة الذباب، ألآ أنها جمرٌ وهّاج، والحياء غمر رجراج، ألآ أنها رَجَّةُ العجاج، والحياء بهجة الديباج، ألا أنها رَشحُ شَرٍّ من دفتي الرذيلة، والحياة نَضحُ دُرٍّ من رقمتي الفضيلة، ألآ إنَّها هلاك والحياة مِلاك الأمر. ألآ أنها لا تأتي إلّا بالشرِّ والضَيرِ، والحياء لا يأتي إلّا بالخير والمَير[1]، وما النَّذل المتواقح[2]، والرذل المتراقح[3]، إلّا الكلب

---

(١) المير: ((الميَرة الطعامُ يمتارُه الإنسانُ وقد مارَ أهله بميرُهم ميراً ومنه قولهم (ما عنده خيرٌ ولا ميرٌ) والإمتيارُ مثله)) الصحاح ٢/ ٥٢٣ مادة مير.

(٢) المتواقح: ((وَقحَ الرجل إذا صارَ قليلَ الحَياء فهو وقحٌ ورجلٌ موقحٌ مثل موقَّعٌ وهو الذي أصابته البلايا فصارَ مُجرّباً)) الصحاح ٢/ ٧٠٦ مادة وقح.

(٣) الرذل المتراقح: ((الـرّذلُ: الدونُ الخسيس وقد رَذُلَ فلان بالضم يَرذُلُ رذالةً ورُذولةً)) الصحاح ١/ ٤٧٧ مادة رذل، المتراقح: التاجر.

النابح، والدُبّ الفاتح[1]، وما التايل الوتح[2]، إلّا ما ناله الوقح، أو غاله الرقح[3]، فلا تَغبطَنَّه على غنىً اختطفه، أو جناً اقتطفه، أو مرام اكتنفه، أو مقام اعتسفه، ولا تَحسَدنَّه على نحو هذه الأعراض الفاسدة، والأغراض الكاسدة، بمثلِ هذه الشناعة البارعة، والفظاعة القارعة، ولا يَروقَنك ما أصابه من تجاوشٍ[4] فيحوشه، وأنّى له التحاوش[5]، أو من تهاوش[6] فينوشة التناوش[7]، فهؤلاء خِسُّ الناس، ونفسُ النسناس، فلا يَغرنَّك تَصلُّبهم في العِناد وتَكلُّبهُم في العباد، وتَغلُّبهم في الجلاد وتَقلُّبهم في البلاد، إنّما يجاهدونَ في سبيل الطاغوت، وبِئسَ الجهاد، ثم مأواهم جَهنَّم وبِئسَ المِهاد، وقُلْ يا أبرَّ الأبرار، لأفجرَ الفُجار، إنَّ الأبرار لفي نَعيم، وإنّ الفُجارَ لفي جَحيم، قُلنا وهم يَصلونَها، إذ كَذَّبوا أنباءنا، ما جاءَكم من مُنذرٍ، قالوا بلى قد جاءَنا.

---

(١) الفاتح: ((فَقَّحَ الجرو تفقيحاً إذا فَتَحَ عينيه أول ما يفتح)) الصحاح ٢/ ٢٥٣ مادة فَقَحَ.

(٢) الوتح: ((شيءٌ وتحٌ قليل وأوتح له العطاء وتَوتَّح من الشراب تَقلّل)) أساس البلاغة ٢/ ٤٩٠ مادة وَتَحَ.

(٣) الرقح: ((الرَقاحةُ: الكسبُ والتجارة وفي تلبية بعض أهل الجاهلية جئناكَ للنصاحة لم نأتِ للرقاحة)) وفلان يَترقَّح لعِياله أي يَتكسَّب)) الصحاح ١/ ٤٩٨ مادة رقح.

(٤) تجاوش: ((الجَوشُ الصدرُ، ومضى جوشٌ من الليل أي صَدرٌ منه قال ربيعة بن مقروم الضَبّي:

وفتيانِ صدقٍ قد صَبحتُ سلافةٌ ... إذا الديكُ في جوشٍ من الليل طرَّبا))

الصحاح ١/ ٢٢٣ مادة جوش.

(٥) التحاوش: ((احتوشَ القومُ الصَيدَ إذا أنفرهُ بعضهم على بعض واحتوشَ القوم على فلان جعلوه وسطهم وتَحَوشَ القومُ عنّي تَنحّوا)) الصحاح ١/ ٢١٥ مادة حوش.

(٦) تهاوش: ((الهَوشَةُ: الفتنةُ والهَيجُ والاضطراب كذلك هاشَ القومُ يهَوشونَ هَوشاً وقد تَهوَّشوا وفي الحديث ((مَنْ أصاب مالاً من مهاوِشَ أذهَبهُ اللهُ في نهابِر)) فالمَهاوِشُ كلُّ مالٍ أُصِيبَ من غير حله كالغصب والسرقة ونحو ذلك ويُقال للعدد الكثير هَوشٌ)) الصحاح ٢/ ٦٥٢ مادة هوش.

(٧) التناوش: ((التناول ومنه المُناوشةُ في القتال وذلك إذا تدانى الفريقان وقوله تعالى: ((وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ)) يقول أنّى لهم تناولُ الإيمان في الآخرة وقد كفروا به في الدُنيا)) الصحاح ٢/ ٦٢٠ مادة نوش.

إنني أنا الله فاتَّكِل ولا تَركَنْ، كَمْ وكَمْ وكَمْ قُلنا، لا تَخف ولا تَحزَنْ، فاذكر الله واستَخِر اللهَ، وتَوصَّل إليه، وتَوكَّل عليه، في الكُلِّ تَوكَّلنا، لا قُلَّ ولا ثروة، لا نَحسٌ ولا سَعدٌ، لا حَولَ ولا قُوّة، فالإنسان بعد علو مرتبة المَجد والنفس، يَجلّ عن دُنوّ ملاحظة السَّعد والنَحس وانتشار الدُّرر من السواكب، لا يُناسِب إمرارَ النَظَر في الكواكب، وأَصحابَ التَسبيح والتَقديس وصحوهما، لا يؤمنون بالتربيع والتسديس ونحوهما، وأربابُ العروج والتعريج والأعلام، لا يُوقِنون بالزيج والتخريج والأَحكام، وأهلُ التخاطب والكياسات، لا يَعلمون بالتجارب والقياسات، وإنَّ لذي القلب السليم والحب المستقيم، لشُغلاً في الدين القويم، عن التنجيم والتقويم، والإيمانُ بأشواب التنجيم والكهانة بابان من ابواب التلجيم والمَهانة، فاعرف الخسوفَ والكسوفَ، واحذف العسوفَ[1] والفيلسوف، وخُذْ بالمُحاقِ، وانبذ بالنفاق فَخَلِّ نحو هذه الفلاسفة، وصَلِّ لهذه الوجوه الكاسِفة، فإنّ أكثرهم عَبدةٌ نواكب[2] الطبع، ونَبذةُ الإيمان، وأوفرهم حَرسةُ الكواكب السبع، ونكثةُ الإيمان، ما للمُنجِّم المجنون، والعِلم المكنون، وما للكاهن المحزون، والعلم المخزون، وما لمهوى كِلم العَيب، ودعوى علم الغَيب، وما للحيران في الأدنى، والطيران في الأسنى، وما للأجنبي الغبي، وما مُجِب عن النبي، وادعّاء الفوّال المُهان، أوهنه شواهدُ الامتحان، فَهل يَنخدعُ بالفال، إلّا قلوبُ الأطفال، وأن رجلاً، جهل حال نَفسه، وما يَمسُّه بَمَسِ

---

(١) العسوف: ((الظلوم ناقةٌ عاسِفٌ إذا أشرفت على الموت من الغَدّة وجعلت تتنفّس)) الصحاح ٢/ ١١٣ مادة عسف.

(٢) نواكب االطبع: ((النكبة واحدة نكبات الدهر والنَكَبُ بالتحريك الميل في المشي والنَكَبُ داءٌ يأخذ الإبل في مناكبها فتظلع منه وتمشي منحرفةً وقال الشاعر:

فـهـلاً أعـدُّونـي لمِثلي تـفـاقـدوا ... إذا الخَصمُ أبزى مائِلَ الـرأسِ أَنكبُ

وهو من صفة المتطاول الجائر)) الصحاح ٢/ ٦٠٨ مادة نكب.

أَمسهِ، ولم يعرف حال جماعته وقومه، وما يجري عليه في ساعته ويومه، ولا يدري ما وراءَ كنينه وجداره، وما على جَبينهِ وعِذاره، كيف يعلم حالَ غَيره، من شَرِّه وخيره، أم كيف يعلم حالَ الغدِ وبعده، ونَحسَ الفلك وَسعدَه، ومقتضى الاتصالات وعجائبها، ومرتضى الانتقالات وغرائبها، وأَنَّ قوماً تَعلَّقوا بمحض توهم منطقة البروج، لمَفتُونون، وتَعوَّقوا ببعض تجشّم الهبوط والعروج لمجنونون، هيهات إنما هي أَفلاكٌ مُسخَّرة واللهُ مُسخرُها، وسمواتٌ مُدبرَّة واللهُ مُدبِرُها، وكرسي وسيع إليه علمه، وعرض رفيع لديه حكمه، وكواكب مؤثِّرة، ومنه تأثيرها ونجوم مُوبِّرة ومنه تأبيرها، كلها نَيِّرة، سَبعةٌ مسيَّرة وخمسةٌ مُتحيِّرة، طباعها متراقبة، وأوضاعها متقاربة حقايقُها مَخفيَّة، ودقايقها مَنفيَّة، كُلٌّ يسري لعملٍ مُعمّى، وكُلٌّ يجري لأجلٍ مُسمّى، فَسُبحانَ مَنْ فِعله بين الكاف والنون، وإذا أراد شيئاً أن يقول له كُنْ فيكون، فهو الذي يعلم حقايق فوايد مسراها، ودقايق عوايد مجراها، فإنَّما هي بقُدرتِه، مُقدَّراتٌ والشمسُ والقمرُ والنجومُ مُسخَّراتٌ، فالأولى لكلٍ من المُنجِّم المُترجِم والفيلسوف العسُوفِ، والفَوّال القوّال، أن يجول مُتَنعِّماً، ويقول مُترنِّماً، قِيلَ زينٌ وزينبٌ، عِندكَ اليومَ ما الخَبر، قُلتُ قامت قيامتي، جُمِعَ الشمسُ والقَمَر.

الجَوهَر الخامِس والثلاثون

دَعْ ذا الذي يَهذي، هذيانَ طنبورٍ، فَمَنْ أطاعَ اللهَ، فهو على نور، فما لك كثير الكلام، كبيرُ الكِلام، عظيم الجرس، عديم الخَرَس، فاسكت فإنَّ السكوت نفسُ المدار في الخلاص، والنِطقُ حبسُ الهزار في الأقفاص، إلّا أنّ السكوت حراسةٌ وراحةٌ، والنُطقُ تعاسةٌ وجاحة، فلا تَفخَر بطرايف الكلام وشقاشقه، ولا بظرايف الملام ورشايقه، ولا تكثرنَّ بفضول اللِّسان ودقايقه، ولا بنصول البيان ووراشقه، فإن لسان بيان الشمع يُضحكه، وعن قليل بهوان الطبع يُهلكه، وأكثر هلاك الإنسان، بفتك سنان اللِسان، ومَنْ سَكَتَ رجا، ومَنْ صَمَتَ نجا، ومَنْ كَثُرَ حديثُه، وَفُرَ خبيثه، ومَنْ قَلَّ نُطقه، جَلَّ صِدقَهُ، ومَنْ جَلَّ نطقه، قَلَّ صدقه، وهل هفوة الملام، إلّا من جفوة الكلام؟ ولَن يعلم أمرٌ من المقاربة إلّا بالسكوت والمراقبة، وهل يُعرف شيء من أسرار الملكوت إلّا بشيء من استمرار السكوت، والحكيمُ المُصقَع المِدرار أَبتر، والفَصيحُ المدفع المِهذار عنتر، يَتغنّى ويتَعنّى فليكُفّ، ويَتجنَّى ويتَحنَّى فليَعفُّ، وأفضل آحاد الإتِهاب المكتوم، وأكمل أفراد الشراب المَختوم، والنّطقُ داعية جنود التلف في القصور، والخَرَس واقيةُ وجود الصدف في البحور، واللفظُ كثافةُ المحافِل وجلاؤها، والجرس آفةُ القوافل وبلاؤها، ورنين القسّي يَفرض طردَ الظِباء، وطنينُ الحُلي يُوقِظ جُندَ الرقباء، فعليك بالتحفُّظ ومِحنته من التلفظ ومِحنتِه، فما دام لسانك مخزوناً ذليلاً، لم يكن جنانك محزوناً عليلاً، فاحصر لِسانَك وأَهنهُ، وانصر إنسانَك وأَعنهُ، وأخرس لهجتك وارفضها، واحرس مهجتك واحفظها، فلا يَروقنَّك فصاحةُ الفُصحاء وما أفصحوا به من صنايع البيان، ولا بلاغة البُلغاء وما بالغوا من بدايع التبيان، فَستخرسُهم سَطوةُ الموتِ راغمينَ، وعن قليلٍ لَيُصبحنَّ نادمين، فاترك بيانك ولا تُحرِّك به لِسانَك، هيهات فإنَّ زبدة المعاني في عُمدة المغاني، حُبُّنا هو الأقصى، فازَ مَنْ تَولّاه، فاستمع لِما يُوحى، إنني أنّا اللهُ.

إنَّ المُحلّى بالجفاء، مِنهُ الدُّعا غَيباً فشاً، لا تَعجبوا من شأنه واللهُ يهدي مَنْ يشاء، دَعوةُ الغايب للغايب، من أرغب المطايب، وأَطيب الرغايب، فإنَّه قد ورد ما لظهوره حجابٌ إنَّ دعاء المؤمن لأخيه في ظهر الغيب مُستجابٌ، وأنّ الروح الأمين يَضجُّ مع الملايكة بآمين، إذا دعا له غايباً، من صميم القلب راغِباً، فإنَّ المحبة جنانية لا جثمانية، فهي حاصلة في الغيبة والحضور، واصلة في المِحنة والسرور، فليس كَلَّ الرويَّة بالإنسان، ولا كُلَّ الرواية باللسان، وليس كل الدنُّو مكانياً، ولا كُلَّ العُلو عيانياً، وليس التزاورُ محصوراً في المشي والركوب، بل تزاور القلوبِ ضَربٌ من الضروب، وليس التشاهد مقصوراً على الأشباح والأجسام بل تَشاهُد الأرواح قسمٌ من الأقسام، وليس التَعلُّق بتلاعب الخدود وتلاصقها، ولا بتقارب الحدود وتعانقها، وكون التلاقي كله بالمواجهة غير صبيح، والتناجي جُلَّهُ[1] بالمشافهة غير صحيح، فقد يَتلاقى الأخوان وبينهما برزخٌ، ويتناجيان وبينهما فرسخٌ، وقد يتعانق الأخلَّاءُ وبينهم قِفارٌ، ويتخالق الأَجِلّاء وبينهم بِحارٌ، وقد يترافق الأصفياءُ وبينهم موانعٌ لا تُحصى ويتوافق الأوفياءُ وبينهم روادعٌ لا تُستَقصى، ولعَمرُ الأعوان، إنّ خيرَ الأخوان، أخوانٌ يتَّقيان، يَتحابّان، ولا يلتقيان ويتوجَّهان، ولا يتواجهان، ويترافعانِ، ولا يتشافهان، ويتراقبان، ولا يتقاربان، ويأتلفان ولا يختلفان، ويتراحمانِ ولا يتزاحمان، وعندي أنّ مشاهده لوازم الطَلَل مُلازمةُ عوازم المَلل، وجوازم الخَلَلْ، وأوفى الأرواح روحان يندرجان في المَحبّةِ ويمتزجان، وأصفى القلوب قلبانِ يندمجان في المَوَّدة ويزدوجان، والناسُ بعضهم يُزيِّنون المَحافلَ، يتغالبونَ صفاءً في شهودهم وغروبهم، ويتقالبون وفاءً في طلوعهم وغروبهم، فيتصاحبون غَيبةً وحضوراً وقِياماً وقعوداً،

(١) في الأصل جلة.

وعلى جُنوبِهم، وآخرون يَعضُّونَ الأناملَ، ويَقولونَ بألسنتهم ما ليس في قُلوبِهم، فَصِدْ عن هذا القبيل، فإنّهم صَدّوا عن السبيل، وانتفع بذلك النَّفرَ والجمع، فإنهم أنفع من البصر والسَمع، وتَنعَّم وجل، وتَنَغَّم وقُلْ، إني لِمن قومٍ عن الهوى غَضّوا، ولَستُ من قومٍ إذا أَخلوا أعضُّوا أو عاينوا لَغواً أو لهواً نفضوا، ما وافقت قلوبُنا، في مَيلنا عن صَوبِهم، حتى رَوَتْ أفواههُم، ما ليس في قُلوبِهم.

بِنَشوةِ الزَّهوةِ، ونَشأةِ القَهوة[1]، لَعلَّكم قُلتُم، نحن أولوا قُوّة، إخلاصُ النية على الرويَّة، واتقان العِلم والعمل على السَويَّة، ومصاحِبةُ الجِدِ، ومراقبة الحَدِ، ومجانبةُ الكَسَل، ومحاربة المَلَل، وبراعةُ الشجاعة، وقناعة المجاعة، وترك الشَطط والمَطط، عند درك السقط، السَّخَط أمورٌ بها تمهيد القواعد وأحكامها، وتنضيد المقاصد وإتمامها، وتحصيل الفوايد وتعيينها وتفضيل العوايد وتبيينها لكنها على الغاية من لغوبة الوصول والنهاية من صعوبة الحصول، قفارٌ عجيبةٌ الأحوال لا يَسلِكُ وَعرَها، وبحارٌ غريبة الأهوال لا يُدرِك قعرها، إلّا عالمٌ عامل بالغٌ ربّاني، أو سالمٌ كاملٌ نابغٌ سبحاني، فَيُسدَّد بالقوة الأحدية، ويُؤيَّد بالقدرة الصمدية، فَيشدُّ حزامَ قوى الصبر على حيزوم الحَزم، ويَردُ عصام سويَّ الأمرِ الى غروم الغرم، فَيَحوم في جوالب الشرف، ويعوم في سوالب التَرف، ينقطِعُ الى قَطِع مقاطع السُبل، ويَصبِرُ كما صَبَرَ أولوا العَزمِ من الرُسُل، ويقول لنفسهِ إنَّا لله، اصبر وما صَبرُكَ إلَّا بالله فإنّ الصَبرَ مصباحُ الدَرَج، ومفتاح الفَرَج، على مِثل ليلى يَقتُل المرءُ نَفسَه، وإن باتَ من ليلى على اليأس طاوياً، فهذا هو الواصل، وحاصله هو الحاصل، إنَّ الذي أتاهُ، فضلٌ ولا خفاءُ، والفَضلُ عند ربيِّ، يؤتيه مَنْ يَشاءُ، فاعلم ما نَالَكَ، واعمل بذلك، تَنَلْ ما هَنالَك، إذا قيل مَنْ أحيا العلوم بأسرها، وهَذَّبَ منها الأمرَ، والأمرُ قد فشا فَقُلْ ذاك يُدعى بالمُهذِّبِ[2] أحمدٍ، وذلكَ فضلُ الله يُؤتيهِ مَنْ يشاء.

---

(١) القهوة الخَمرُ والشبعة المحكمة واللبنُ المَحض، القاموس المحيط ٤/ ٣٨٤ مادة (قَهِيَ).
(٢) اسم المؤلف ولقبه.

أَنتَ الذي طُولَ المدى، تَنحو مُهاناً نَحوما، واهاً فما غَرَّ الورى يا أَيُّها الإنسانُ ما، ابن آدم مسكين، يشتغل فَيخمُّ، ويَغتَسِل فَيحمّ، فيأكل لقمةً فيصوت، ويُثنِّيها فيموت، يغم فَيخلو ويُخمَّ فيرحل يعرض فيعتقل، ويمرض فينتقل، يأكلُ حَماماً، فَيُغذيِّه حِماماً، يتناول حَبَّةً فتسلبه الصَبرَ، ويأخذ أخرى فتدخله القَبرَ، يَركبُ مَطيّةً، فَتُركِبهُ مَنيةً، يبقى غفلة، ويفنى بغتةً، ينسى الموت فيُقبِّح، ويَذكُر الفَوتَ فَيُسبِّح، يرى الشيء متاعاً جليلاً فيطلبله، فيَنقلبُ عليه صداعاً طويلاً فيقلبه، يَسجِد فيرقد، ويرقد فلا يقعد، يَمسي مستقيماً، فَيصبَحُ سقيماً، يَصبحُ مالكاً فيُمسي هالكاً، يَعيشُ ظَلوماً خائفاً، ويموت مَلوماً خائفاً، مغمورٌ في الآلام والعيوب، مطمورٌ في الآثام والذنوب، إنْ فارقَ الكبايرَ تَكلُّفاً وصبراً، قارفَ الصغاير تَعنُّفاً وجَبراً، فُرِضَ أنّه ترك الكباير الفاحشة الخَتَّالة، وفَرَكَ الأفاعي الناهشة القَتَّالة، ونفى الضواري الغالية الكارّة، وأفنى الضواري الصَّايلة الطارَّة، فكيف يَتَّقي الأراقم الدسّاسَة الخفية، والأفاقم الرساسة الجفية، المرفوعة عن العيون الحسّاسَة الكفّية، المدفوعة عن الظنون القيّاسة الوفية، التي لا يُتصوَّر الاحتراز منها، ولا يَتيسَّر الاهتزاز عنها، هيهات لا يَنبو عُلوّ التُراب، عن دِنو الاضطراب، فإنّ صفّوا الحماء المسنون بالضرورة، كايناً ما كان لا يخلو من الكدورة، وهل يجود والحمل والفصال من الذنوب وإنْ لم يكنُّ أو يخلو الصلصال من العُيوب، وإنْ لم تكثر، كلّا ثم كلّا، أَينَ مَنْ تَخلَّى؟ فبالحقِ تَحلَّى، وبالعلو تَجلَّى، بل كلّا ولمّا، وغُلّاً وغماً، أين مَنْ لا أَلمَّا، هبك لما بك من الكمال، تحذر رَفَسَ البغال، وعَفسَ[1] الجمال، فكيف تحذر دبيب[2] النِمال، التي هي كالرمال،

(١) عفقس: ((العَفسُ الحبسُ والإبتذال، والمعفوسُ المسجون واعتفسَ القومُ اصطرعوا)) الصحاح ٢/ ١٣٢ مادة عفس.

(٢) في الأصل ذبيب.

في كما الأحوال، فما هذا القِيل، فهذا الفيل مع عظمةِ جثمانه وقوة أركانه، وصولةِ سُلطانه، يَحصر الفرايق الكرارة، ويكسر الفلايق الجرّارة، ويرزم الملوك الجَبَّارة، ويهزم الجنود الصَبّارة، يَشرَبُ الخمرَ ويَطربُ الأمر، فيَهدم القِلاع، ويَعدم الأوضاع، ويَصك شوامخ الأضراس، فيدك بواذخَ الأفراس، ولا يُؤمن حِمَّةَ البعوض فيرتطم بنابهِ العضوض، فازهد الى الغاية، واجهد الى النهاية، وابذل طاقتك كل البذل، واقتل ناقتك كُلَّ القتل، ورُضْ نَفسَكَ ما قَدرتَ وفاءً، وشَمسكَ ما جَدَرتَ صفاءً، فلا عِصمةَ عن شَرك الصغاير وعنائه، ولا منعة عن الشِرك الغاير وبلائه، إنَّ الحَوبة قد عظمت، لا عن علمٍ وعن جَهلٍ، نرجو عفواً بل فضلاً إنَّ الله لذو فضلٍ فادعوه، وأدمِن ذِكرَهُ، وارجوه ولا تَأمن مَكرَهُ، فالعصفور يَستمرُّ في حَذَرِه، حتى يستقر في وكرِهِ، واطِعهُ حقَ طاعتِه، ولا تَتكلَّ عليها، واتقه حقّ تُقاته، لا تَفتلَّ إليها، أتتكَّلُ على طاعتك يُنجِحها، فما حيلةُ صناعتك بنصحها، لو قُطِعَ الطريق على بضاعتك بربحها، فَكُنْ خائفاً راجياً صائفاً شاتياً، فَقُمْ بين المقامين ودُمْ بين المَرامين، واطرح اليأسَ والمَكرَ، واجرح البأسَ والنُكرَ، فإنَّهُ لا ييأس من رَوحِ الله إلّا المنافِقونَ، ولا يُؤمِن مَكرَ الله إلّا القومُ الفاسقون، فانهض الى الجماعة وَجُلْ واعرض عليهم عظيمَ[1] البضاعةَ وقُلْ، والله إنَّ الأمر جديرٌ، والله على كل شيء قديرٌ، خُذوا بقولي ووافقوه، وَعَظِّموه وعانِقوه، فإنَّ قولي الخَير قولٍ، إنْ اعبدوا اللهَ واتَّقوهُ.

(١) في الأصل عظم.

وَيلهُ مِن عالمٍ، يا لَهُ مِن مُجرمٍ، مَنْ يُهنهُ رَبُّهُ، ما لهُ من مُكرمٍ، خيرُ العُلومِ مِن المعلوم، وشرُّها ما طُلِبَ للجدال، والعدول عن الاعتدال، أو رُغِبَ فيه لنَدَمة السُلطان، وخدمة الشيطان، ومصاحبة الأمراء، ومجانبة الفقراء، وتحصيل الزخارف الخالية وتطويل المطارف البالية، فهذا شَرُّ العلماءِ وأضلّهم، وأغرّ النُهماءِ وأذلُّهم، يُعانق أبواب المتغلّبين فَيضُّمها، ويُلاصق أعتاب المتقلّبين فيشمها، إيّاكُم قُربَ سَلاطينِكُم، فإنَّها فذلكَةُ المعركة، ألاَ ولا فاستحفِظُوها ولا، تُلقوا بأيديكُم الى التهلُكَة، يُوافقهم في الأَعمال والأَقوال فينكسهم ونَفسَهُ، ويطابقهم في الأفعال والأحوال فيركسهم وشمسَهُ، يفتيهم بما يهواه من الحِيل فيقرعهم وقلبَهُ، ويفنيهم بما تهبّ هواه من المِيل فيصرعهم، وجنَبهُ، فيتكلَّف لِما لديهم فيقول على الله مُتخرِّصاً، ويَتَعَسَّفُ بَينَ أيديهم فَيَتأوّل نصوصَ الله مُتَرخِصَّاً، يُسأل فيقول برأيه ضَلالاً، ويجهل كون دائه عُضالاً، طُعِنَ السائل والمسؤول، ولُعِنَ القاتل والمقتول لظلمِهم عُتُقٌ، لجهلِكم غُلوٌّ، لا تركَنُوا إليهم، وَهُم لَكُم عَدوٌ، ويلٌ للعالم كيف يُقلِّب الدّينَ بين اصبعينِ من أصابعه، لِغرضٍ من أغراضه، ثم ويلٌ للظالم كيف يُحرِّف الكَلِم عن مواضِعه، لمرضٍ من أمراضه، خسرت صفقته لِمَ ابتاع الجيفَّة بدينه، وحسرت حدقته لِمَ اختار النحيفةَ على سمينه، يَسْتَحِّلُ من الشرع محارمه فيحلّل ويحرِّم، ويحلّ مناظمه فيسلّل ويُصرِّم، ويستحقر معاظمه فينقر ويقول، ويستصغر مكارمه، فيهجر ويصول، ويطمس معالمه فيجتري ويخترع، ويدمس مغانمه فيفتري ويبتدع، ذا ظالِمٌ جحودٌ، خُذوا بِه فَغلُّوهُ، ثُمَّ اسحبُوه سَحباً، ثُمَّ الجَحيم صَلُّوهُ، يُعامل عَطَش العطشان بالشراب البَرّاق، فيحسبه المشتاق أنه الشراب الرقراق، فإذا آل إليه، مالَ الويلُ عليه، وتقابل عَمشَ العمشان بالتراب الخرّاق، فيظنُّه المقلاق أَنَّه

الرُّضاب المُصداق، فإذا فرّغه في عينيه، فَرَّ نورُ زَبْنَيه[1] من يديه، يستغوي الجاهل بعلم مفرّقٍ بل موهومٍ، ويستهوي الذاهل بوهمٍ مروّقٍ بل معدوم، فيغذيهما من دَنٍ مُخرَّقٍ بل خالٍ، ويرويهما من شنٍ[2] ممزقٍ بل بالٍ، لو كُنتَ برّاً عالِماً عامِلاً، مُعتَصِماً بالله ما ضرَّكا، ثم فماذا كُلُّهُ فانتَبِه، يا أيُّها الإنسانُ ما غَركَّا، ظُهورٌ عريضةٌ، وصُدورٌ مريضةٌ، وَلُمَمٌ محبوكة، وَعُمَمٌ مسبوكةٌ، وعَمايمُ عالية الجمال، وجماجمُ خالية الكمال، وأحكامٌ مغبرَّة قازِيةٌ، وأقلامٌ محمرّة نارّيةٌ، قد بلغَ أحدهُم من الكِبر أقصاه وهو غير بالغٍ، ومن العمر أرساهُ وهو غير سايغ، وُيلكُم لا تَفعَلُوها، بَعد خَمسينَ وَخَمسٍ، فافعَلُوا إنْ لَم تُجاوزا يَومَ تُجزى كُلُّ نَفسٍ، مَشغولٍ في ما يعنيه أبداً، مَغلولٌ بما لا يُغنيه سَرمداً، إن عَبَثَتْ عصبتهُ شريرة، بفسادٍ فهو رأسها وقائدها، وإنْ نَقَثَتْ صبَّة، طريرة بعنادٍ فهو أُسّها وسَيّدها، يحبُّ العاجلة فيهبّ لها مع كِلّ ريح أملاً، ويَحبّ الآجلة فيكبُّ بها عن كُل مريح عَملاً، ويُجادِلُ في الله وكان الإنسانُ أكثرَ شيءٍ جدلاً، ويبادِلُ الدّينَ بالدنيا، بئِسَ للظالمينَ بَدلاً، قَالَ المُرائي ما تَرى حالَهُم، إنّي أراهُم في الهوى أصفِيا، قُلتُ فمَنْ أقبحَ مِنهُم وقَد، اتخذوا مِن دونه أوليا، يومَ تُجزى كُلُّ نَفسٍ، يَعتَريهم صاغِرينَ، إنَّهُ يَومَ التَغابُن، ما لهم من ناصِرينَ، فطوبى لِمَنْ عَرَفَ اللهَ وحَذفَ ما سواهُ، وعَرَفَ أمره وتَولّاه، وقَذَفَ هواه، وما تدور به رحاهُ، وتَمور به بلواه، وَسَلَك لقَم التقوى فجاز، ولم يملك قلم الفتوى ففاز، وسَيَستَنسِرُ المُتقّي ويَخسِرُ المُفتُونُ، وسَيُبصِرُ ويُبصِرُونَ، بأيُّهم المَفتُونَ، فما لكم تَكلَّفتم أثقالاً، وإنَّ لدينا أنكالاً، أيا أعلامَ نادِينا، عَذابُ الله واديكُم، فلا تَفتوا بلا علمٍ، ولا تُلقوا بأيديكم، أُولئِكَ الذينَ لم يَتَّخِذوا على كلمات الله دليلاً، واشتروا بآياتِ الله ثَمناً قليلاً، فاتقوا مَنْ به وجودكم، ومنه موجودكم، وإليه نهودكم، وعليه ورودكم، مُفتي مُحَيّاكُم، بمَوتِكم يُفتي، فَأتوا بما يُحيي، من قَبل أن يَأتي.

---

(١) زبانية واحدها زبني والزبن المال وبالتحريك ثوب والزُبنية كهبرية مُتمردُ الجن والإنس والشديدُ والشرطيُّ، ينظر: القاموس المحيط ٤/ ٢٣٢ مادة (زبن).

(٢) شنٍ مُمزقٍ: ((الشَنُّ: القربة الخَلَق وهي الشَنَّة أيضاً والجمع شِنانٌ والشَنونُ في قول الطِرمّاح (الذئب الشَنونِ) هو الجامع واستَشَنَّ الرجل هُزِلَ)) الصحاح ١/ ٦٨٩ مادة شنن.

الجِدُّ خَيرُ جَدٍ، مِن هَزِلكُم وأَبهَر، فآتوا به كِراماً، خَيرٌ لكم، وأَطهَر، فَيا مَنْ تَخلّى عن جِده فغوى، وتَحلّى بضدهِ فَهوى، خَلِ عنك، صَلَّ الهزل، واعزل نفسك عنه كُلَّ العزل، فإنّ الهزل يجعل لُبَّك في الإيمان هزيلاً، وقلبَك للشيطان نزيلاً، فتصبح من هذه الزاخرة في خُسران الدُنيا والآخرة، فَنوِّر جَوهرةَ لُبِّكَ بنور العَزْل، كما كَدَّرتَها بغرورِ الهَزْل، وطَهِّر قليبَ قلبك بما يُجدي من النزح، ولا تَملأ ذَنُوبك بما يُروي من المزح، وأعلم أنّ ذا الرأي الجَزْل، هو العاري عن الهَزْل، وأن المَزح مقلوبُ الحزم، كالمزج مقلوب الجزم، فَبينَ الحازم والمازح، بَون نازح، وكونٌ فاضح، وعَونٌ ناصح، وإنَّ الجِدَّ جادّة الأعيان الرُكَّع، واللعبُّ عادة الصِبيّان الرُضَّع، وأنه ما ضَحِكَ غافلٌ غروراً إلّا بكى حُزناً طويلاً، ولا قَهقَه برقٌ سُروراً، إلّا بكى مُزناً جليلاً، وأن ظرف الأرذال وذوي الكدورة، صفع القذال بالضرورة، وأن كثرةَ مكارم الأخلاق وانتشارها، فرّة مغارم الأعناق وانكسارها، وأنّ في قلب ذي الطوّية الزاهرة، والرَويَّة الباهرة، لَوقعا من مَزح المُساخَرة كوقع الصخرة على الصّاخرة، وأنّ قضيّة العقل الزاخرة حاكمة بأن صيّاح الماسخرة، نباحُ الكلاب الداخرة، وإن عُدَّ زينُ المزاحِ، من عين المُباح، وأنَّ الكَلبَ إذا زاد في لِعابه وظرافته، جاد في لُعابه وكثافتِه، وليس جَفاءُ السفاهَة من صفاءِ الفكاهةِ، ولا فُحش المعايبة من نقش المطايبة، والضحكة لدى أصحاب العفاف، هدفُ الاستفالِ والاستخفاف، والقهقهةُ لَدى أَرباب الإنصاف، غَرَضُ النّعال والخَفَّاف، والكريم طبعاً كالريم وضعاً لبقٌ في الحركات، عبِقُ البركات، لا يَسلكُ ما يجفيه، ولا يُمسك ما يُنفيهِ، ولا يضحك مِلأَ فيه، وإنْ ضَحِكَ يُخفيه، ثُم بالدعاء يشفيه، فاتّقِ اللهَ ولا تجهل، وإلزم الحَزمَ ولا تَذهل، واترك كُلَّ هازلٍ مازح، وافرك كلَّ بازلٍ نازح، واهجر كُلَّ هُمزَةٍ طعّانٍ واطعنهُ، وانجر كُلَّ لمزةٍ لَعَّانٍ والعَنهُ، فإنه يُمزِّقُ

الأغراض فيقهقه ويقول، ويُخرِّق الأغراض فيزهره ويصول، وحَتّامَ يا هُمّام حَتّام، أن تُصاحِب هذا الشتّام، وإيّاك ثم إيّاك أن تقارب هذا الفتّاك، فإنّه ظنَّ أنّ يُترَك سُدى، فاشتَرى الضلالةَ بالهُدى، فنفى أخبارَ الحزم خبراً خبراً، ومَحى آثارَ الجَزم أَثراً أَثرا، ونقضَ قواعدَ المروّة جُزواً جُزواً، وإذا سَمِعَ شيئاً من آيات الله اتخذها هُزواً، فَخلِّه بحور، فإنّه لا يحور، فمَنْ يَصلى النارَ الكُبرى، أَنّى له الذكرى، أتى بالهَزل واستقصى، لأمرٍ غَير محمودٍ، فما عندي لَهُ إلّا، عَذابٌ غَير مَردودٍ، سُحقاً لَهُ مِن جاهلٍ تَبَّت يد أبي لَهَب، كَمْ كَمْ وكَمْ قُلنا له، كُلُّ إمريءٍ بما كَسَب.

صَمَّمَ الجَبّارُ جَوراً، خَتَمَ اللهُ عَلى، مَلأ الأرضَ فَساداً، إنَّ فِرعَون عَلا، المَلِكُ الجبارُ يُعصى مَنْ خَوَّله وأَولاه، والمَلِكُ الجبّارُ يُحصى ما خَوَّلهُ وتولّاهُ، فَمَهلاً أيُّها الجاير مهلاً، وسهلاً أيُّها الغايرُ سهلاً، وأيُّها الجابرُ أَيْهاً، لا تَجرَّ ذَيلَ الويلِ تَيهاً، فإنّ حقيقة الكبرياء والجبروت، مختصةٍ بذي المُلكِ والملكوت، ولا تنظر الى هذا الخلق للوعود شزراً، فإنّ لهذا المدّ الممدود جَزراً، وأنّ لكلّ نائِرة عموداً ولكلّ غايرةٍ ركوداً، وأَنَّ لكلّ صاعدٍ هبوطاً، ولكلّ قاعدٍ سقوطاً، وأنّ لكل طالعٍ أفولاً، ولكل غايب قفولاً، فالشمس إذا طلع دلكت، والنفس إذا نشُأت هلكت، ولا يغرنَّك ما على جبينك من عصايب الملك والسلطنة، وخزاراتها فتزل قدمك، ولا ما في يمينك من قواضب القهر والطَنطَنة ووخزاتها فيحلُّ ندمك فإنّ هذه عَناءٌ، يتبعه فناءٌ، فلا يربحك شيءٌ منها شيئاً، ولا يمنحك نوراً ولا فَيئاً، ولا يُشفي لك سقيماً، ولا يُكفي عنك غَريماً، ولا يطغينَّك دهرٌ ذَلَّ لك، وقَهرٌ دلَّلَك وَجدٌّ سطع لك، وضِدٌّ خَضَعَ لَكَ، ولا يُردِيَنّك دوران أهلك وبخلك، وثورانُ خيلك ورجلك، قَد أَمهَلَ الحَقُّ وأَملى لهم لِيرتَعوا في الغَي لا هملا، وَيلٌ لَهُم بل لَهُم موعِدٌ، لَن يَجِدوا مِن دُونِه مَوئِلاً، ولا يُهلنَّك غرورُ الأوامرِ المُطاعة، والأمور المُستطاعة والأحكام المنيعة والأعلام الرفيعة، والجنود المقشورة، والبنودُ المنشورة والأضداد المقهورة، والأنداد المبهُورة، والكتايب المُجنَّدةَ، والقواضب المُهنَّدة، والعجايب المُعدَّدة، والغَرايب المُبدَدة، والسابقات[1] المُحجَّلة والفايقات[2] المُبجَّلة، والطَيّبات النفسية، والصَيِّبات الحِسِّية، فإنها حطامٌ بالٍ، ونظامٌ خالٍ، أوّله وبالٌ وأوسطه زوال، وآخره نكال، فأطِعْ

(١) السابقات: الخيول.

(٢) الفائقات ((الناقة الحلوب التي تدر اللَّبن وأَفاقت الناقة اجتمعت الفيقة في ضرعها فهي مفيق ومفيقة واستفق الناقة لا تحلبها قبل الوقت)) القاموس المحيط ٣/ ٢٨٨ مادة (فَوَقَ).

مَنْ خَلقَكَ فَسوّاكَ، ورَزَقك فَقوّاك، وأتاك المُلك وأَعلاك، وسَخَّر لك وأولاك، وخَلَعَ عليك خِلعةً ولو شاءَ خَلَعَها، ورَفَعَ لك قلعةً ولو شاءَ قَلَعَها، واتقِّهِ، سُبحانه في قوم أَنتَ مُستقِلٌ بكبيرهم، مُستقِلٍ لكثيرهم، مالِكُ زمامِهم بتمامِهم، يَومَ نَدعُو كُلَّ أُناسٍ بإمامِهم، فمَنْ أُوتيَ كِتابَهُ بيَمينِهِ فأولئِكَ يَقَرونَ كِتابَهُم ولا يُظلمونَ فتيلاً، ومَنْ كانَ في هذه أعمى فَهوَ في الآخرةِ أَعمى وأضلُّ سبيلاً، فاحذر أيّها المَلِك يومَ لا تملك فيه نوراً ولا فيئاً إلّا باذنِ الله، يَومَ لا تَملِكُ نفسٌ لنفسٍ شيئاً والأَمرُ يَومئذٍ لله، فاجمع ما أفرزناه واسمع ما طرَّزناهُ، مَنْ كان يحكم مِنكُم، فيهم وَلَو عُشرَ حَبَّة، فَليأتِ بالحُكمِ عَدلاً، وليَتَقِ اللهَ رَبَّه، وَيلُهُم مِن عَدلِ يَومٍ يَعتَريهم صاغرينَ، يَومَ تُجزى كُلُّ نفسٍ، مالهم مِن ناصرين، قِيل كم جاءوا بجورٍ، أو تقاصَوا عن صوابٍ، قُلتُ لا يُحصى ولكن، عِندَ رَبيّ في كتابٍ.

لَم تَفهموا، لَم تَعقِلوا، لم تَعلموا أَلم تَعمَلُوا، لَم تَحفَظوا من نَملةٍ، يا أَيُّها النَّملُ ادخُلوا، لا تَغفَل عَمّا يَعنيكَ، ولا تَذهَل عَمّا يُغنيك، فإنَّ الغافل مغبون والذاهل مجنون، فَرُبَّ غافلٍ يَبيتُ على فراشٍ[1] منيّته وَسْنانٌ لا يعقل الخَمس من الخَمسِ، والمنيّةُ تَحرِقُ عليه الأَسنان، وتحمل الخمس على الخَمسِ، سُحقاً له ما أَشقاه وعلى غفلته ما أَبقاه ويله ويله، ما أَبخسَ كَيلهُ، وما أَنحسَ نَيلَه، وما أَنجسَ ذَيلَهُ، يُجري في نهار الفطنة خَيلَهُ، ويطوي على مدار الغَفلةِ لَيلهُ، فنهارُه بَطّالٌ ولَيلهُ جيفةٌ، فليتَه طبّالٌ، وبعض نيله خيفةٌ، فَمثله يلعنه الجديدان، ويطعنه القعيدان بل يعيبه الحَدثانِ، ويغيبه الخَبثانِ فحقيقة الحال منه على هذا المنوال، حتى فَنى دهره، وانحنى ظهره، ونَضَبَ نهره، وذَهَبَ زهره، ونَهَضَتْ بهجتهُ، ودَحَضَتْ حُجَّته فهو يسير فيها فاقداً ساخطاً، ويطير عنها جاحداً قانطاً فتخرج روحه من مسلوبه، وما عَرفَ رَبَّه من مربوبه، وعَندي أنّ عدمَ ذي البطلة خَيرٌ من وجوده، وكلاب ذي الطبالَة[2] خيرٌ من أُسوده، ألاَ أنّ فناءُ العاقل بقاء أَبديّ، وبقاءُ الجاهل فناءٌ سرَمديٌّ، ألاَ إنّ مَوتَ العاقل حيوةٌ حقيقيّة، وقبرُ الجاهلِ مَحياةٌ أنيقية، تَبَّتْ يداه ما أرداه، وَوَيلُهُ يَومَ يَنظرُ المرءُ ما قَدَّمت يَداهُ، فيجفو[3] بجهله مالا يَودُّ يَومَ تَبيَضُّ وُجوهٌ وَتَسوَدُّ، الى متى عَن أمرنا تَذهَلونَ، فيما نُهيتُم عَنهُ كَمْ تَرفِلونَ، أتحسَبُونَ الأَمرُ مِنّا سُدى، اليَومَ تُجزَونَ بما تَعمَلُونَ، الحذارَ الحذارَ فَليسَ الإنسان ما تشاهدونه من الشَبحِ والشَكل، وليس الحياة ما تراودونه من الشُرب والأكل، ولا ما تَتَعاهَدونَه من ساير ما تَعهدونه، والبَدارَ

---

(١) حذفنا (إلّا) لأنّ المعنى لا يستقيم في الأصل (فراشٍ إلّا منيَّته).

(٢) الطبالَة: ((الطوبالَة: النعجة وجمعها طوبالاتٌ ولا يُقال للكبش طُوبالٌ)) الصحاح ٢/ ٣٠ مادة طبل.

(٣) في الأصل فيفجوا.

البَدارَ فليس الدهر ساعات تنعدم، وأنّاتٌ تَنهدم، وليس العُمرُ ليلةً ويوماً وأجزاءهما، وليس الدين صَلّوةً وصوماً وأجزاءهما، كلا إنَّ الأمر أَجمع ممّا تزعُمون وأَرفع ممّا ترجمون، فما ذلك إلّا شَكٌّ أَدرَكَ مُنافقيكم فأَعداكُم، وذَلِك ظَنّكُم الذي ظَنَنتُم بِرَبِّكُم أرداكُم لَقَد عَبَرتُم عن حقيقةِ الأمرِ، وخُنتُم وَظَنَنتم ظَنَّ السَّوءِ وكُنتُم أَيُّها الناسُ فَهونوا، وأَلزموا الحَقَ وصُونوا، وابذلوا جُهدَ التَرقّي، وَاتَقوا الله وكونُوا.

يُملي لكُم ويُمهِل، حَقاً فليسَ يُهمِل، واهاً فلا تكونُوا، مِثلَ الحِمارِ يَحمِلُ، عِلمٌ بلا عَمَل ضلالةٌ، وعَمَلٌ بلا عِلمٍ جهالةٌ، وعِلمٌ بلا حلم ملامة، وحلمٌ بلا علم ندامة، ألاَ أنّ عِلماً بلا عملٍ كحملٍ بلا جَمَلٍ، وَزرعٍ بلا حاصل، وريعٌ بلا واصل، وسحابٌ بلا مَطَر، وكتابٌ بلا وَطَر، وسُنّة بلا نور، وجَنّة بلا حُورٍ، أَمرناكُم بأوضاعٍ كأوضاع الذي راضُوا، فَفَرطتُم وأَفرطتُم، وَخُضتم كالذي خَاضُوا، فكن عالِماً لا ظالماً، عامِلاً لا حاملاً تَحمل المنافع الى المجامع، وأَنتَ أولى بالانتفاع، تَنقُل المرافع الى الصوامع، وأَنت أَحلى بالإرتفاع، وتَرفعُ الوسُوق الى السوق وتدفع اللعوقِ في البستوق ولا تذوق، فالعِلمُ في قلبك النكير المنكوب، كشموعٍ تَلمعُ أمامَ الضرير المحجُوب، أو كشموع تدفع الى الخصيّ المجيوب، ولا ترفع الى الصفيّ المحبوب، وآهاً لملدوغِ الفِراق، مَعَهْ درياق العِراق، كيف يتداوله، ولا يتناوله، على أَنَّهُ يعلم أَنَّه يَشفيه، ومن أَلَمهِ يَعفيه، ولم يَضعهُ في فيهِ، وُجِهَ إليه ما يجفيه، وعن حيفيه ينفيه، أليس من البَلاءِ، أن يَفرَّ من الدواء، ويقرّ في الداء، يملك لنفسه طوعاً، من كُلِّ طعامٍ نَوعاً، ويهلك جوعاً، يحلل ناقةً سمينةً ويموت فاقةً وهينة، يَنحَرُ خيار النِعَم، ويأكل المَيتَ الحرام، ويقيم خِلالَ الحَرَم، ولا يزور البيت الحرام، يَرِدُ وادياً ملآناً، ويَموتُ صادياً ظمآناً، يحوك الحِبر بقدرِ مدار الطاقة، وما على عاتقه عُشرُ معشار الطاقة، ألاَ أن ليسَ في عقلِ العاقل، ونقلِ الناقل، أن ينقل مالا ينفعه بل يصرعه، ولا يَزينهُ بل يَشيّنهُ وما لا يحفظه بل يخفضه وما لا يصرّه بل يضرُّه، وإيّاك وتَأخيرَ العَمَل، وتكويرَ الجَمَل، إلّا أن تأخير العمل عن أخيه، لا خَيرَ يؤاخيه، إلّا أن تأخيره عنه منع الماء عن النَبت والتَرخُّص فيه صُنعُ أصحاب السبت، فَكُن مع الجدّ وخَلِّ مَسيرَ الأَمل، وأقرن العِلم بَحيَّ على خيرِ العَمَلِ، ولا تكن كالنَّضوِ الطَّليحِ القفار، يُحَشِّمُ لغيره، أَسفاراً، فيكُن مِثلُكَ كَمثَلِ الحِمار يَحمِلُ

أسفاراً، فتكون مِمَّنْ هجر العُليا الفاخرة فَخَسَر الدُنيا والآخرة، فَجُز مَنْ جازَ الحَدَّ، وحازَ الضِّدَّ بعد أن تَجمعَهُم للوعظ وتُسمِعَهُم، أَتَيتُم بضدِّ الذي يَنبغي فَتَباً لكُم ثُمَّ سُحقاً لَكُم، فإن شِئتُم العَفو عَمّا مَضى فَفِرُّوا الى الله يَغفِر لَكُم.

الجَوهَرُ الرابِعُ والأَربَعونَ

قَامَت عَليَّ شِدَّةُ الجَواجي[1]، بُعثِرَت، نَفسي بها قَد عَلِمَتْ، ما قَدمَتْ وأَخَّرت. الأمـراضُ على ضـروبٍ، أَضرُّها أمـراضُ القلوبِ، فإنّ مرضَ القَلبِ من أَقبح الأمراض، وعلاجهُ من أَصبح[2] الأغراض، فيا مَنْ اختلَّ لُبُّه، واعتَلَّ قَلبُه، وتَقاعَدَ وداده، وتَباعَدَ مُرادُه، واضطَرَبَ فؤاده، وأَضرَبَ عَنهُ عُوّاده، الى كم تَرجع الى الطبيب في اندفاع الصُداع، وكم تَفزَع إليه في متاع الارتداع، وكم تَعرِض عليه تأثير بليَّة الإسهال، وأنّى لهذا المسكين تأخيرُ المَنيّة وقضيّة الإمهال، وكم تناجيه في وَجَلْ مَناجِل الحُمّى، وأَينَ هذا المستكين من الأَجل المُسمّى، فَهل سمعتَ بحكيمٍ لم يتحكَّم فيه حسام الموت، أو بطبيبٍ لم تُطنِّب عليه خيامُ الفوت، فأيُّ حكيمٍ لم تصرعه نُصول المَنون وبليّاتُه، ثم لم ينفعه أصول القانون وكلياتهُ، وأَيُّ طبيبٍ لم تكضّه نواجدُ كرّ الأخيرة وأنيابُها، ثم لم تفضّه منها قواعدُ فَرّ الذخيرة وأطنابُها، فكم من حاذقٍ شَطَّرَ عمرَه شَطرُ الغِبِّ، ثُمَّ لَم ينفع أمرَهُ أمرُ الطِبِّ، وكم من فائقٍ قُتِلَ بالأمراض الحادّة الغِبّيةِ، ثُمَّ لم يَنفَعُه المَسيرُ على الجادّة الطبيّةِ، أَينَ الشيخُ الرئيسُ[3]، والسنخُ النفيس، أَينَ بقراط وجاينوس وأرسطو، حَطَّ بساحتهم الموتُ فانحطوا، واهاً لَكَ كيفَ هَدَّمتَ قولَكَ، وأَعدمتَ طُولَكَ، تَجمع كُلًّا من القريب والغريب حَولَكَ، وتَعرض على الطبيبِ الكئيبُ بولَكَ، وتَدلَع عليه لِسانَ غرضك، وترفع إليه شأن مَرَضك، وتُلفِّق أوصافاً عجيبةَ الحال، وتُلزِق لها أصنافاً شبيهةَ المحال، فالى متى تصف سِرَّك للطبيب وتَكشف سِرَّك عَندهُ وتشكو الى العدوّ من الحبيب، والكُلُّ بيدهِ وَحْدَهُ، أفتزعم غَيرَ ذَلِك فتغرم خير حالِكَ، ويكون مَرضِك، هذا أشدُّ من مرضك،

---

(١) في الأصل الجواجي.
(٢) قد تكون أصعب.
(٣) الفيلسوف ابن سينا.

وأبعَد من الإنتهاء الى غرضك، فَوالله الذي أَمرضك، وَلِما يعلمه أَبهضك، ولو شاءَ أَنهَضَك، إنّه لا يُسعِدُك إلّا من صرعكَ كما لا يحصدُك إلّا مَنْ زَرَعَك، ولا يُشفيك إلّا من أَبلاكَ، كما لا يُغنيك إلّا مَنْ أحياك، ولا ينقذك إلّا مَنْ بَراكَ، كما لا يأَخذكَ إلّا مَنْ ذَرَاك، فإبدأ بالصبر الجميل في خلوك وضرّك، وثَنِّ بالشكر الجزيل على حُلوكَ ومُرك، وثَلِّث برفع اليدينِ إليه وبالدعاء بعدَ الثناء عليه، مع التَطرّي بالإنحناء والخشوع، والتبرِّي من نحو يُوحنّا[1] وبَختيَشُوع، فَسبحانَ الله العظيم متى دَعَوتَه فلم يُجِبكَ، أَو أَجابَكَ بما لم يُعجِبكَ، أو رَجَعتَ إليه في عِلَّةٍ فلم يُزِحِها، أَو فَزِعتَ إليه في كُربةٍ فلم يُرحِها، أو في مهمةٍ فلم يَرمَها، أو في مُلمّةٍ فلم يزمّها، فإنّ كان الأمرُ بذلك تَجلَّى، وحاشا ما به تَحلَّى، وكلّا ثم كلّا، فارجع الى الطبيب وناره، وافزع الى النصرانّي وزنّاره، وإلّا فلا تعرف طبيباً غَيرَهُ، واحذِف النصرانّي وَديَره، فإنّ مَنْ يؤمن بالله الودود واليوم الموعود، لا يقبل رواية النصارى واليهود، والخِشف لا يعمل برَويَّة الضواري والفهود، فادخل في قبّةِ القضاء، من مَهَبَّةِ الرضاءِ، وأجعل المُقدَّر كائِناً تكن سالماً غانماً، ولا تجعل نفسَكَ خائِناً تكن ظالماً غارماً، وإيّاك وسَورة الصدود، عن هذه الحدود واستَشفِ بالقرآن الكافي، والفرقان الوافي، فَخُذ منه ما شِئتَ من الآيات العَليَّات، لما شِئتَ من العاهات والبليّات، بل اقتبس منه ما أَردتَ مِنَ النُّور، لما أَرَدتَ من الأمورِ إنّه لَبُرهانٌ إنَّهُ لسلطانٌ، إنَّه لَنُور الله، إنَّه لقرآنُ، فإنَه بحرٌ دُرِّي يَجيشُ بالخير الى الأَبد، وقول الطبيب بَحرٌ رديٌّ يطيشُ بالغَيرِ كالزَّبدَ، ومِن الزَبَدِ ما هُوَ جُفاءٌ، وَتُنَزِّلُ من القرآن ما هو شِفاءٌ، وقُلْ لمَنْ خالفك في الحال، وجالفك في المُحال، خَلّوا عنكم ما زَعَمتُم، إنَّهُ ينفي الوَفاءَ، وأَلزَمُوا القُرآنَ صِدقاً، وابتغوا مِنهُ الشِفاءَ، وقُلْ لكبيرِ المخالفين وخَبير المجالفين، كَمْ كَمْ نَتلوا كَمْ كَمْ نَبلوا كَمْ كَمْ تَصغُوا ياذا الخَبلِ مع ذا لو أنزلنا، هذا القُرآنَ على جبل.

---

(١) ((بختيشوع بن يوحنا بن بختيشوع طبيبٌ من أهل بغداد كان حظياً عند الخلفاء وغيرهم واختص بخدمة المقتدر بالله ثم الراضي بالله تُوفّيَ في بغداد سنة ٣٢٩ هـ)) الأعلام للزركلي: ٢/ ٤٥.

وهناك شخصٌ آخر هو ((يحيى بن بختيشوع طبيب تَرجَمَ كثيراً من الكتب عن اليونانية الى السريانية تسهيلاً لنقلها الى العربية وكان مختصاً بالمُوفَّق العباسي وله كتب في الأدوية والطب والأعشاب والأغذية ت ٢٩٠هـ)) الأعلام للزركلي ٨/ ٢٠٨ وقد يكون هو المقصود.

الجَوهَر الخامِسُ والأربَعونَ

تَفَقَّهَتْ أُمورهُ، مِنْ لُبه بِحُبِّه، فَذَا الذي بفقهه يَرجو لقاءَ رَبِّهِ، الفقيه مَنْ تَفقَّه في دينهِ، وتقهقَه بميادينه، ورفَعهُ في محِلّه مِن مَحلّه، وَوَضَعه في حِلّهِ من حَلِّه، وليس الفقيه مَنْ استفاد وأفاد، فَسادَ فائقاً، بَل مَنْ أَحيا الفؤاد، فَعادَ رائقاً، ولا مَنْ استعاد وأَعادَ، فَجازَ المَلامَةَ، بل مَنْ أصلح المعادَ، فَحازَ السّلامةَ، ولا مَنْ أفتى ودَرَّسَ، فَعُرِفَ لَمْضربه بالهدى والنوى عن النّوى، بَلْ مَنْ تَسَتَّر بالتقوى وتَترَّسَ فَخَافَ مَقامَ رَبِّه ونَهَى النَفسَ عَن الهوى، وليس الفقيه مَنْ يَستَنبِطَ نَحلَ الفرح من أَصله، ويربط فصل الشرعِ بوصلهِ، ولا مَنْ يبني أساسَ المِلّة، على قياس العِلّة، ولا مَنْ يقول برأيهِ فيصيب، ويصيب الداء بدواءه فيطيب، بل مَنْ كان مع مولاه، الذي بمعرفته أَولاه، وبغلوِّه أغلاه وبعلوّها أَعلاهُ، فيقرّ في خيره، ويَفرّ عن غيره، ومَنْ ارتقى بالحَقِ من منع الأمر والتسليم فجاء بالأكفى، واكتفى بعلمِ الخضر عن علمِ الكليم فَباءَ بالأوفى، وارتدع بتحقق دائه ودوام الأذى عن القول برأيهِ إنّهُ كذا، وانقطع بمحاسبات المنون مناسبات الظنون، وامتنع بالسؤال والجواب عن السؤال والجواب، واندفَعَ بمسؤلات الحَشر عن المقالات[1] العشر، وانقلع بالبواهر والأمراض، عن الجواهر والأعراض، وارتفع بالاستعداد للمنيّة، عن الإنهداد في مفاسد الأمنية، وصَدَّه هَمُّ المُرجِف عن بطئ الوقوف فبادَرَ وحَصَلَ، وردَّهُ غَمُّ الموقف عن عِبئ الوقوف فتنادَرَ وَوَصَل، وأمّا المُتَشَبِّه بالفقيه، فالله تعالى لا يُرقِيه، ومِن مقتهِ لا يَقيه وَفَوقَ ما أَبقاهُ لا يُبقِيه، فإنّ المُتقوّل على الحق ليس فقيهاً، وأنّ ذا الوجهينِ ليس عند الله وجِيهاً، وَيلٌ لهذا

---

(١) يَقصُد المقولات العشر لأرسطو: ((في المنطق الصوري: صنوف المحولات التي يمكن للفكر نسبتها الى أي موضوع يحكم عليه والمقولات عند أرسطو عشر الجوهر والكم، والكيف، والإضافة والمكان والزمان والوضع والملك والفعل والانفعال)) الموسوعة العربية الميسَّرة: ص١٧٣٢.

المُتَغَبّي الوهين، والمُتَنبّي المَهين، كيف يَخمِشُ وَجْهَ الدينِ بخاطره العِزين، كما يَخدِش الشموس وَجْهَ الميادين بحافره الرزين، فهو أجمع لأَراذل الرذائيل، من الأفاضل لأفاضل الفضايل، وأَفحش في الأوصاف، وأشَرهُ الى المشتبه والحرام، من البُزاة الى الحَمام، وأَمَيل الى اليعافير والثيران من السنانير الى الفيران، وأصبى الى المال والجاه من الخنزير الفرحان الى الباه، والسرحان الى الشِيّاه، والعطشان الى المياه، يَفخَر بأبيهِ وأمِه، فيُشربَ العِرضَ بِسَمِّه، وَيَنحر بِخاله وعَمَّه، فيضرب الأرض بكُمِّهِ، أَردُّ المرام هديد المجال، أَحدُّ اللِّمام مديد الجِدال، أهدَّ النظام، مريد المحال، أَلدُّ الخِصام شديد المِحال، يَتَعصَّب بالعصابة للعصابة، ويَنصَبُّ بالصبابة للقصابة، ويُهذِّبُ للذَهَب لا للمَذْهَب، ويَتعذَّبُ للمال لا للمآل، ويَتعَبُ للجِيفة لا للخِيفة، ويَنصَبُ للدَنيَّة وعلائقها لا للسَنيَّة وفوائدها، فيا قوم قاطِعوا سادةَ الجهالة، أنّهم لا إذعانَ لَهُم، ودافعوا قادَةَ الضلالة إنّهُم لا أيقانَ لَهُم، وقاتِلوا أَهِمَّةَ دُعاةِ السُّودِ والحُمر الى الدَّنانير الصُّفر إنَّهُم لا أمانَ لَهُم، وقاتِلوا أَئمةَ الكُفرِ إنَّهُم لا أَيمانَ لَهُم، فاذهَبُوا بِغرُورِهم، ذَهَبَ اللهُ بنورِهم، صَدُّوا الوَرى بالهَوى عن الطريق الحَقيق، لَهُم عَذابُ الجَحيم، لهم عَذابُ الحرِيق.

الجَوهَر السادِسُ والأَربَعونَ

ألاَ يا أَيُّها الفُسّاق تُوبوا، فإنَّ الأَمرَ أكبادٌ تَشَظّى، حَسِبتُم حُمرَةَ الخَدَّينِ وردا، لَقد أَنذَرتُكُم ناراً تَلظّى، أَرأيتَ هذِه القدود المُمدَّدة، والخُدود المُورَّدَة، والثغور المُرتَّلة، والخُصور المُبتلَّة والقواضب المُدعَّجَة والحَواجب المُزجَجَة، والأَعطافَ المُتهافِتة والأطرافَ المُتماوتة والأَشباح الشَهّية والأَشباه البَهيَّة هذه ونحوها مما يُستَعدُّ للبُعدِ عنها، فإنّ الله لا يَعبَأ بشيء منها، أُناسٌ لا تُروِّح في الأرواح أَرواحُها ولا تُوشِّح في الأشباح أشباحها، نسناس لا يذّكر في السماءِ أَسماؤها، ولن يَنالَ اللهَ لَحُومُها ودِماؤُها، وإنّما يناله قلوبٌ وأيُّ قلوبٍ، قلوبٌ تَتَلظّى شفقاً من العذابِ وأَليمه، وتَتَشظَّى شوقاً الى الثواب ونعيمه، أُولئِكَ أَصحابُ البقاء، وأربابُ الإرتقاء، وَرهابين الصدق وقَرابين العِشق، أَفكارهُم جميلةٌ، وأَذكارهُم جليلةٌ وهمومهُم عاملةٌ، وحُلومهُم كاملةٌ، وصدورهُم حاميةٌ وطيورهُم ضاميةٌ، وضلوعهُم باديةٌ ودموعهُم داميةٌ، وأَفئدتهُم وَجِلةٌ، وأَكبدتهُم مجلةٌ، وهياكلهُم ضعيفةٌ، ومشاكلهُم نَحيفةٌ. وخصورهُم يابسةٌ وبدورهُم شامسةٌ هُم القومُ قامُوا بالحُقوقِ وحقَّقُوا، فَحيَّاهُم الرَحمنُ يا أُمَّ عامرٍ، لا يُعجِبهم الأعطافُ الثخينة والأطراف السمينة ولا يروقهم القدود[1] الشَطِبة والخدود الرطبة ولا يَتعرّضون الى الزخارف الوهينة ويُعرضون عن المطارف الثمنية، ولا يفتلون في الحلل والحِلي، ولا يَرفِلونَ في الثوب المُمَثَّل والوَشِيّ، بل يَدعَونَ رَبَّهُم بالغِداة والعَشي، فهؤلاء الذي يُشَارُ بالشَّراشِر إليهم، أُولئِكَ الذينَ أَنعَمَ اللهُ عَليهم، هُم الذَينَ اختَصُّوا بِما هو مِنهُم فَشاء، واللهُ يَختَصُّ برحمتهِ مَنْ يشاء، طوبى لَهم كُلُّ الورى شاهِدونَ، في حَقهِم أَنَّهم زاهدون فذَاكَ بُرهانٌ على أَنَّهُم، فيما اشتَهَت أَنفسُهُم خالِدون.

---

(١) القدود الشطبة: ((الشَطبَة: السَعَفةُ الخضراء الرَطبةُ وجاريةٌ شطبة أي طويلة، وسيفٌ مُشطَّبٌ وثوبٌ مشطبٌّ فيه طرائقُ)) الصحاح ١/ ٦٦٦ مادة شطب.

نُقطةُ العَدلِ نِعمةٌ، جَلَّ مَنْ يُوافيها، إنَّهُم بها فازوا، لا يَمسُّهم فيها، خيرُ الأمور أوسطها، وشَرُّ الدُّهورِ أقسطُها، وخيرُ الأفعالِ أغبطُها، وشرُّ الأعمالِ أحبطُها، فيا مَنْ ركب صَهوَةَ الرياضة المضيضة، ارفِق بنضوك في هذه المخاضة العريضة، فلا تَظلِم نَفسَكَ، ولا تُظلِم شَمسَكَ، وأربع أرباعَ الأتقى، ولا تُسرِع إسراعَ الحُمقى، فإنّ المُنبَّتَ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، وليكن سَيرُك سارياً في الأوساط، وخيرُك جارياً بالأقساط، فامِش ما شِئتَ ولا تَخبَّ خبّاً، واعشِ ما عِشتَ ولا تَعِبَّ عَبّاً، وَذَر الغُلّو والتقصيرَ الى القصدِ تدبيراً، وقَدِّر كما قَدَّرَ داوودُ في السرد تقديراً، فلا خَيرَ في التبريج من الجمل الطليح، ولا أَجدَر في الإيجاف من الخَيل العِجاف، فَتَشرَّفَ بالبَراعةِ، وتَعفَّف بالقَناعة، وتَكلَّف من الطاعة ما دون الاستطاعة، بل أَين ما دونَ دونِها وعيون مضمونِها، فإنّ مَنْ أَولاها الطاقَةَ كُلَّها، أوشَكَ بل لا شَكَ أَنْ يملّها، فإذا كَدَّتكَ ملازمةُ العِبادة فَذَرها وسبيلها وإذا أَدّتك الى ملالة الإرادة فاحذرها وقبيلها، فلا تَكسُفَّنَ بقمرِها شَمسَكَ، ولا تلومنَّ بثمرِها نفسَك، فإنه لا مثوبةَ في قيام اللاعب بل الانعكاس، ولا راحةَ في صِيام السَّاغب بل الانتكاس، فَهجوعُك عند حصول المَلَل، خيرٌ لك من نصول الخلل، فإنّ نَومَ الهاجد الجاهد وإنْ جَلَّ خيرٌ له من تَهجّدِهِ إذا مَلَّ، وأَعوَد له من تَوجّده إذا كَلَّ، وخيرٌ الأمورِ أَدومُها وإنْ قَلَّ، لأن في الإقلال مثوبةً كثيرةَ الخيرِ وفي الإخلال عقوبةً خطيرةَ الضَّير، فلا اضطجاع مُهادٍ، يوجب الكَسَلَ والعِلَلَ فينقلب عُمرك، ولا ارتفاع اجتهادٍ يعقب الملَلَ والزَّلَلَ فيضطربُ أَمرُكَ، فاعدِل بالقلبِ النشيط والجأش الرَبيط، والعقلِ المحيطِ الى الصراطِ الوسيط، عن الإفراطِ والتفريط فإنَّ الجاهلَ أمّا مُفرِّطٌ غالٍ أو مُفَرَّطٌ قالٍ، فإذا تَجَهجَهتَ فَتوجَّه وإذا تَوجَّهتَ فَتَجهجَه وإذا انبسطتَ فاعبُد، وإذا انخبطتَ فابعُد، وإذا تَعبتَ فاقعد، وإذا لَغبْتَ فارقد، فما خُلِقَ أَحدكُم إلّا

جَوهراً لطيفاً، وَلَمْ يُخلَق أجيراً ولا عَسِيفاً، يُريدُ اللهُ أنْ يُخففَ عنكُم وَخُلِقَ الإنسانُ ضعيفاً، فلا تَتَعسَّفُوا الجِسرَ فَتتكلَّفوا الخُسرَ، يُريدُ اللهُ بكم اليُسرَ، ولا يُريد بكم العُسرَ، أيحبُّ أَحدَكم أن يفتِكَ بفؤادهِ، واللهُ لطيفٌ بعبادهِ، يا ربَّنا أنَّى كنا، مِن مَسِّ حولا أَثر فاغفِر لنا مَنْ نَحنُ مَنْ، إنْ نَحنُ إلّا بَشَر.

أَيا أعلامَنَا قُوموا، عذابُ البُعد ناديكم، وَخَلُّوا عِلمكُم هذا، ولا تُلقوا بأيديكُم، العلمُ ليس إلّا نقطةٌ فَوُسِّعَت، أو نكتةٌ فَنُوِعَتْ وطريقُه واحدٌ واضح، ورحيقهُ شاهدٌ فاضح، لكَنّه باعتبارِ ما طريقان، وحَمَلتهُ فريقان، أحدهما كامل عالم عامل، خازنٌ أمين، وازنٌ قمين، عامَ في البسالَةِ، وقامَ بالرسالةِ، واحتمل الأمانةَ، واشتملَ الديانةَ، ورعى الشريعة، والطريقة وَرَعى الذريعةَ والحقيقةَ، وأَتقَنَ اليقينَ، فكان من أتقى المُتَقين، قَلبُهُ ساريةُ العلمِ، ولبُّهُ راسيةُ الحِلمِ، صانَ بضاعةَ العلم في صوّان الصيانة إلّا عن أهله وجُوباً، ولم يمد يَدَ الظُلمِ الى خوان الخيانة فَتُجبُّ بجهلهِ لزُوباً، فَخَشى ذا الكبرياءِ خَشيةَ أَتقياء العلماء، والعلماءُ الحق هُم الحكماءُ إنّما يَخشى اللهُ مِنْ عبادهِ العلماء، فَتَحلّى بالهِّمةِ الرَفيعةِ وتجلّى بالنّهمة المَنيعة، فَدانَتْ له الأَساورة ولانَتْ له القَساورةُ، وخَضَعَتْ له السلاطين، وخَشَعَتْ له الأساطين، وتَواضَعَتْ له الصدور، وتَضعضَعتْ له البدور وسَلَّمت لهمَتهِ الضواري، واستسلَّمت لنهمته الغواري، وعُمِّرَتْ ببركتهِ القفار، وغُمِرَتْ بحركته البحار، فهذا هو العالمُ حق العالم، والسالم حقّ السالم، ولعمرِ أهل الحِلم وعوازمه، ما الخير إلّا في العلم ولوازمه، والآخر ناقصٌ ظالمٌ ناكصٌ، خاينٌ وهين، باينٌ مَهين، لم يَحرسْ ما استُحفِظَ من الشريعة حقَّ حراستِها، ولم يَرعَ ما استُودِع من الذريعة حقَّ رعايتها، بل مَزَّقَ جِلبابَ النبوّةِ، وخَرَقَ أَهابَ الفُتوّةِ، استحوذَ عليه شيطانُه وإجلوَّذَ[1] فيه سُلطانُه، فَعَقَر قوائمهُ فَسَقَطَ في الضلال، وبَتَرَ قوادِمهُ فَخَبطَ في الوبالِ، فانكَبَّ لُبّهُ وانقلبَ قلبه، ويله رُزِقَ دُرَّةُ العِلمِ فباعَها بخرقةِ الزخارفِ وأُتمِنَ جوهرةَ الأمانة فأَضاعها في مزيلة المخارف، فهو

(١) إجلوّذ: ((الجِلذاء بالكسر ممدودٌ، الأرض الغليظة والجُلذيُّ بالضم من الإبل الشديدُ الغيلظ والناقة جُلذيَّةٌ والجُلذيُّ أيضاً السَيرُ السريع وإجلوَّذَ بهم السير. إجلوَّاذاً، أي دامَ مع السُرعة وهو من سير الإبل)) الصحاح ١/ ١٩٩ مادة: جَلَذَ.

أقربُ الى الشيطان من السقف الى الحيطان. والشيطانُ أقربُ إليه من الأساس وما بُنيَ عليه، فهو في خُذلانِه، شيطانُ زمانِه، وفي مَقتِهِ، بَلعَمُ وَقتِه، ألآ ومَنْ أَنعَمَ، إنَّ بَلاءَ بَلعم ما خَصَّ بل عَمَّ، وكذا بلاء أخيه، مِن أُمهِ وأبيه، لُعِنَ السابقُ والمسبوق وطُعِنَ اللّاحقُ والملحوقُ، فما الشيطان إلّا ذو طاعةٍ فعصى ربّه فأَبعَدهُ من رَحمتِه، فكان من الخاسرينَ، أَو ذو بِضاعةٍ فاضاعَ حُبَّهُ فطرده مِن نِعمتِهِ فكان مِنَ الخاسِئين، وما بَلعَمُ[1] إلّا ذو رِفعةٍ فأَخلَدَ الى الأرضِ فَاتَّبَعَ هَواهُ فكانَ من الهاوينَ، أو ذُو خِلعَةٍ فانخَلَعَ مِنها فَاتَبعَهُ مَنْ أغواهُ فكان مِن الغاوينَ، فَهُبُّوا عن هذهِ الأَلقاب وتُوبوا الى مالكِ الرقاب، فإنَّه شَديدُ العِقاب، ألآ تُوبُوا الى الله عِبادَ الله، وتَوكَّلوا على الله، فَستَذكرُونَ ما أَقولُ لكُم، وأُفوضُ أَمري الى الله، تَوجَّهتُم وَوَجَّهتُم الى الشيطانِ وَالدّنيا، أَلم يَنجَع بِكُم نُصحي، أَلَم أعهد إليكُم يا....

(١) بَلعَمَ: ((البَلعَمُ: الرجلُ الكثير الأكل الشديدُ البلعِ للطعام والميم زائدة)) الصحاح ١/ ١١٣ مادة: بَلَعَ.

الجَوهَر التاسِع والأَربَعونَ

إنَّ الذي أَتاني، فَضلٌ ولا خِفاءُ، والفَضل عِند رَبي، يُؤتيه مَنْ يَشاءُ، نِعمَ البضاعة، نِعمَة القَناعَة، ونِعمَ الطاعة، طُعمَةُ الاستطاعةِ، فيا مَنْ يَتَطلَّب خَيرَ الصناعة، أَينَ أَنتَ مِن خَيرِ القناعة، فإن القناعةَ عذبةُ المجدِ، وشجرةُ الخُلدِ، وكنزٌ لا يَفنى، ومُلكٌ لا يَبلى، وعُمرٌ لا يَحول، وأَمرٌ لا يزول، ورأسُ العبادةِ وزمامُها، وأُسُّ السعادةِ وقِوامُها، يالها من خَصلَةٍ، حُصِّلَتْ في عَبدِنا، قد خَصَصناهُ بها، نِعمةً من عِندنا، ألا إنّ دُرَّةَ القناعةِ لا يَلقُطها إلّا سالكٌ، وَطُرَّة الطَمعِ لا يَربِطُها إلّا هالِكٌ، وتُحفةُ القناعةِ لا يَصحبُها إلّا مبخوتٌ، وجِيفةُ الطَمعِ لا يَطلبُها إلّا مَمقوتٌ، وزُلالُ القناعةِ لا يَشرَبهُ إلّا سعيدٌ، وضلالُ الطَمَعِ لا يَقرَبه إلّا بعيدٌ.

تَـدَرَّعـتُ درعـاً للقُنوعِ حَصينَةً ... أَصـونُ بها عِرضي وَأَجعلَها ذُخرا
وَلَـمْ أَحـذرِ الـدَهـرَ الـخَـؤنَ وإنّما ... قُصاراهُ أن يَرمي بي الموتَ والفقرا
فَـأَعـدَتُ لَلمَوتِ الإلـهَ وعَـفـوَهُ ... وأَعددتُ للفَقرِ التَجلُّدَ والصَّبـرا

ألا إنَّ الدُنيا على بكارتِها قائمة، وعلى نضارتِها ضائِمة وعلى عمارتِها عائمة، والحريصُ محبوبٌ باطلاً، ونار شهوته مشبوب هائلاً، وماءُ وجنتهِ مصبُوب سائلاً كَمْ يسرب حولَها، ويشرب بَولها، ويَتَعنّى ويَتَمنّى هُنالِكَ، ليقتَضَها وأَنَّى لَهُ ذلِك، فإنَّ الجَبَّ لا يُجامع الحُبَّ، وأَنّ كثيراً من الناس لا يَبغون هذا الغنى ولا يحسِدونَ الغَنيَّ على غِناه، ولا يَتمنَّونَ هذا المُنى، ويأَتيهِم الرِزقُ غَيرَ ناظرينَ إِناهُ، ولعمري ما القناعةُ إلّا عِزٌّ وكرامة، وحِرزٌ وسَلامة، وما الطَمعُ إلّا ذِلٌّ ومَلامة، وقُلٌّ وندامة، فَطَوّح الطاقةَ، وَرَوِّح الناقةَ، وتَمكَّن بقناعِ القَناعة فلم تَسمَن بضيع الضراعة، وانفتل عن مهامع الهَلَع، وانتقل عن مقالع الوَلَع، إلّا أنّ الحرص شنيعة طامية وفظيعة ظامية، بَل نارٌ حامِيةٌ، فيها عَينٌ آنيةٌ، وإنّ القناعةَ غنيّةٌ غالية، وَجُنّةٌ جالية، بل جنّةٌ عالِيةٌ، قطوفُها دانيةٌ

فَيُخبَرُ حريصُ الدينار[1]، في تلك النار، بأن لَكَ أن لا تَمُوتَ فيها ولا تَحيى، قَد كانَ كلٌّ مِنكُم ذَا النّونِ، عَزِيزَ مِصرَ ناظرَ العيونِ، حَتّى ذَهَبتُم مَذهَبَ الدينارِ، فَاليَومَ تُجزَونَ عَذابَ الهُونِ، وبَشِّر قانعَ السُنَّةِ، في تلك الجَنَّةِ، بأنَّ لك أنْ لا تَجُوعَ فيها ولا تَعرى، حَلوّا بدار المعالي، داراً كريماً تسليماً، يا لَيتَني كُنتُ مَعَهُم، فَأَفوزَ فوزاً عظيماً.

(١) في الأصل الدنيار.

الجوهَر الخَمسُونَ

قَد قَال فَما يكونَ أمري، قُلتُ التقوى فنِعمَ أمر، هذا الأقصى فإنّ هذا، ما لَم تَستطِع عَليه صَبراً، خَيرُ الزاد التقوى، وشرّ المهاد[1] الشقوى، مَنْ ارتقى إليها عَلِمَ، ومَنْ إتّقى بها سَلِمَ، جُبّتُها جُنّةُ البلوى، وجُملتها جَنّةُ المأوى، وبالجملة أنّها في سابقة الخَير، فائقةُ الغير، فَما لَكَ تختار مِن الأطعمة أَطيبها، ومن الأَشربةِ أَعَذبها، ومن الملابسِ أبهاها، ومن المجالسِ أعلاها، ومِن الأَماكن أحسنَها، ومن المساكن أَحصنَها ومن المراكب أَجراها، ومن المواكب أَحراها، وَمِنَ ساير الخرافات أَجلاها، وَمِن باير الخرافات أَحلاها، فَتَتَناول السَّمينَ، وتَترَكَ الغَثَّ وتَستَعمِل الثَمينَ، وتَفرِكَ الرَّثَّ، ولباسُ التَقوى ذلِكَ خَيرٌ، حَسِبتَهُ أَساسَ الشقوى وذلك ضَيرٌ، فمرةً تتركه مطروحاً وبالتجافي مَلفُوحاً[2]، وتَارةً تُخلِقه بالذنوب وتدرّسه، وتفتقه بالعيوب، وتُدنِّسَهُ، وتارةً تُخرَّقَه بالمحارم، وتخرقه بالمآثم، وتارةً تَنساه فلا تدري أَينَ مرساه فأنّى للخَيّاط، لو أَحاط بالاحتياط، أن يخيط خَرقَه، أو يُحيط حَرفَه أو يرفو فَتقَه، أَو يَقفو سحقه، فَهوَ لا يجلب خيراً، ولا يغلبُ ضيرّاً، فلا يكسو مؤمناً فيشرح صَدرَهُ، ولا يَرنو مُوقِناً فينجح أَمرَهُ، ولا يَستِر عورةً لهاوٍ فَيسُر قَلبَهُ، ولا يسدّ فورةً لطاوٍ فيقرَّ لُبَّهُ، لأَنَّهُ لَم يَنطوي على خروقٍ تستر سَوءَةَ العُريانِ، ولم يَحتَوِ على فتوقٍ تحضر مُقلةَ العِميان، مستورُ العيوبِ ظاهراً، مقهورُ الغُيوبِ باهراً، مَطويٌّ تُبصَرُ عُيوبُه يوم النشر، محويٌّ تظهر غُيوبُه يومَ الحشر، سَوفَ تَنصَرِف الغياهبُ وَتنكَشِفُ المذاهبُ، وتظهر المعايبُ وتبهر المغايبُ، وتغدو الظلم بالعَجَل، وتبدو الثُلم بالخجل، فإذا قُمتَ من مضجعك الى مرجعك، قام لك

---

(١) شرّ المهاد: ((المهادُ: الفِراش المَهدُ مَهدُ الصبي)) الصحاح ٢/ ٥١٦ مادة: مهد.

(٢) مَلفُوحاً: ((لَفَحتهُ النار والسَموم بحرِّها أحرقتهُ ولَفَحتُه بالسيفِ لَفحةً إذا ضربته به ضربةً خفيفة)) الصحاح ٢/ ٤٤٨ مادة: لَفَحَ.

بِتَجهجُهِ[1] منهجكَ، ما أَخفيتك في لجلجك، من عيوب مهرجك، وإذا بَرزتَ من مقبؤةِ الرَمس الى مشروقة الشمس، وبَرَزَ لَكَ ما اجتنيته بالأمس من الجهر والهمس في الخمس الخمس، وإذا خَرجتَ من النَفق الصّاقع، الى صواعق البلاقِع، عَلِمتَ كيفَ يرتفعُ الفرق الى الواقع، وكف يَتسِّع الخَرقُ على الراقع، وستنكبُّ الدوائر إذا انفطَرت السّماءُ بلبِّها، وسَتَنصَبُّ المرائرُ إذا انشقَّت الغبراءُ بِحبِّها، وسَتَنجَلي الضمائر إذا بَرقَتْ مرآةُ العرضِ بِحُبتِها، وَسَتُبلى السَّرائر إذا أَشرَقَت الأرضُ بنور ربِّها، فاذكِرِ اللهَ في الورُودِ والصدور، فإنه عليمٌ بذاتِ الصدور، وإليه مَصيرُ الأُمور، وقُلْ عبادَ الله، اذكروا اللهَ، وتوكَّلوا على الله واتَّقوا اللهَ، وَيُعَلِمكّمُ اللهُ، إذا ابتُلِيَتْ مِنيّ السرائرُ لَم يكَن سِوى الحَقّ فيها يَومَ تُبلى اَلسَرائر.

(1) بِتَجهجُه: ((جَهجَهتُ بالسَّبع صِحتُ به لِينكَفَّ ويُقال تَجهجَه عني أي انتَهِ)) الصحاح ١/ ٢١٦ مادة: جهجه.

لا تَخوضُوا تُحفَظوا، ذلِكُم شَرٌّ لكُم، فاصمِتوا ثُمَّ أنصِتُوا، ذلِكم خيرٌ لكم، صَمتاً أَيُّها الناطِقُ صَمتاً، ومقتاً أَيُّها الناهقُ مقتاً، وتَعساً ثم تَعساً فما هذا النطق فدعه[1] جانباً، وسُحقاً ثم سُحقاً فما هذا النَهق فودِّعهُ هارباً، فإنّ النطقَ دثارُ المَلامة وَمثارها، والصَمتُ منارُ السلامةِ ومدارها، وحكيمُ الأحكام، أَبكمُ الكلام، ومَنْ عَرفَ اللهَ جَلَّ جلالَهُ، كَلَّ مَقالُه، بل مَنْ عرفَ اللهَ سبحانه، حَذَفَ لسانَه، وطَرَحَ سنانه، فما اللسان إلّا ظالمٌ صؤول فاصفده، وصارمٌ مسلول فاغمده، ولعمر الصامت السّالم، الثابت الغانم، أنّ مَنقَضةَ الخَرَسِ، خيرٌ من صَلصَلةِ الجَرسِ، وأنّ الفرق ما بين النُطقِ والسكوت مثل ما بين الضِفدَع والحوت، بل ما بين الكَلِم والسكوت مثل ما بين العَدَم والقوت، وفرسانُ زخارفِ الكلام، يوم القيمة، مُشاةٌ ولا ركّاب، والمُتجَّملون بمطارف مقتضة المقام، من العِبارةِ عُراة ولا ثيابَ، فذاك يَومٌ يَندمُ فيه الفَصيحُ على فصاحته، والطيرُ الذي يَصيحُ على نِياحَتِهِ، هبك تَنطِقُ عن شِدقٍ شقٍ بتنوفه[2]، وتَرمِقُ عن قوسٍ قُسٍ بتفوقه، فهل ينظر شيءٌ من ذلك، الى شيء من حالك، فينفعك عند اصطلام[3] الرُّوح، أو يدفع عنك يومَ قيام الرَّوع[4]، فيهديكَ الى الجُنّةِ[5] ويودّيك الى

---

(١) في الأصل قدعه.

(٢) في الأصل بتنوقه والصحيحى ما أثبتناه: ((والتَّنوفَةُ: المَفازة وكذلك التَنوفيَّة، كما قالوا دَوٌّ ودويَّةٌ، لأنّها أرضٌ مثلها فنُسِبَ إليها قال ابنُ أحمر:

كم دُونَ ليلى من تَنوفيَّةٍ ... لمَّاعةٍ تُنذَرُ فيها النّذُر))

الصحاح ١/ ١٤٦ مادة: تَنَفَ.

(٣) اصطلام الروح: ((رَجلٌ أَصلمُ مُستأصَلُ الأُذن واصطُلِمَ القومُ استؤصلوا واصطلمهم العدو والدهر)) أساس البلاغة ٢/ ٢٥ مادة صلم.

(٤) في الأصل الروح.

(٥) الجُنّةُ: ((بالضم ما استترتَ به من سلاحٍ والجُنَّة السُترةُ والجمع الجُنَن ويُقال استجنَّ بجُنَّةٍ أي استتر بسُترةٍ)) الصحاح ١/ ٢١٥ مادة جَنن.

الجَنّةِ، ولَعمرِكَ وإنْ كُنتَ غافلاً، في رداء الفصاحة رافلاً، إن لو كان سحبانُ[1] عاقلًا، لتمنّى أن يكون باقلاً، فكُن باقِلِ الأمرِ في الدرهم، تكن عاقَل الدهرِ في الأمرِ، وقُلْ لمَنْ يُعَدُّ من الأعلام ويردّ بعلمه الى الملك العَلّام، الى متى تُكرِّر تَشقيق شقايق الكِلام، وتُخمِّر من حصايد الأَلسنةِ دقيق دقايق الكلام، وتَجدُب الى نفسِك وَضَمةَ الملام، وتُقلِّب على شَمسِك غُمَّةَ الظلام، فاقصر يا هذا، وابصر فما هذا، فَسَتُخَمدُ جَمرةُ لِسانِك، وَتَجمُدُ خَمرَةُ إنسانِك حيثُ تُحشَر الأمواتُ من كفات الأكفان، فلا يرون فيها شمساً، وَسَتُهمَدُ زَفرَةُ افصاحِك، وتُسمَدُ صَوحَةُ صِياحِكَ، حَيثُ خَشَعَتْ الأصواتُ للرَّحمن فلا تُسمَعُ إلّا هَمساً، فَمَنْ ذا الذي يَدفَعُ عَنَكَ بَعدَه، وَمَنْ ذا الذي يَشفَعُ لَكَ عِندَه، فَقُمْ مِن نومك، واذهب الى قومِك، في حِينكَ لا يَومِك، وانقل لَهُم ما نَقَلناهُ، وَقُلْ لَهم أَيضاً ما قُلناه، إنْ نَطَقتُم بقليلٍ وَكثير، فإلزموا الحَقَّ هُبُوطاً وصُعوداً، أو هَمَمتُم بجليلٍ وحَقيرٍ، فاذكروا اللهَ قِياماً وقعوداً.

(1) سحبان هو: ((سحبان بن زُفر بن إياس الوائلي من باهلة خطيبٌ يُضرب به المثل في البيان يُقال أخطب من سحبان وأفصح من سحبان اشتهر في الجاهلية وعاشَ زمناً في الإسلام وكان إذا خطب يسيل عَرقاً ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ أسلم في زمن النبي ولم يجتمع به وأقام في دمشق أيام معاوية وله شعر قليل وأخبار تُوفِّي سنة ٥٤ هـ)) الأعلام للزركلي ٣ / مراجعة الأعلام..

عَن أمورٍ قد عَنَتهُم، لم يَزالُوا غاسقين، لَيسَ هُمْ في العِلم إلاّ قَومُ سَوءٍ فاسقين، ما أَمَرُوا بالمعروفِ بل تَنكَّبوه، وما نَهَوا عن المُنكر بل ارتكبوه، فَليتهم إذا لم يأمرُوا لم ينتكبوا، وإذا لم يُنهوا لم يرتكبوا، لكن كيفَ يأمرونَ بالمعروف وما عَرفُوه بشرائِطه، وكيفَ يَنهونَ عن المنكر وقد اقترفوه بخرائطه، وكيفَ يَرغبُون في المليح وما جاؤا به، وكيف يَرهّبُون عن القبيح وقد باؤوا به، وهل يُرشِد الى الطريق إلّا مَنْ قَطَعهُ تحقيقاً، ويَصدُّ عن الفُسوقِ إلّا مَنْ قَمَعهُ تَوفيقاً فإن فعلوا ذلك، فَهو عَجيبٌ هنالِك، بل من أَعجب العجايب عَالِمٌ ذو جهالةٍ وسالِمٌ ذو ضَلالة، وجاهدٌ ذو راحةٍ ومنامٍ، وزاهِدٌ ذو مراحةٍ وخِيامٍ، ومعروفٌ بالكحالةِ ذو عَمشٍ، وموصوف بالسقاية ذو عطشٍ إنَّهمُ أَعلامٌ، مَنْ أَتاهُم يَطمَع، إنْ تَراهم تَعجَبْ، أو يَقولوا تَسمَع، عَوامٌ يؤمُّون الفُقهاء، ونِيامٌ يَرمُّونَ النُبَهاءَ، فَسَقَةٌ يقابلون المتَّقين، وَمَرقةٌ يقاتلون أَهلَ اليقين، مَخانيثٌ يَدَّعونَ النَزاهَةَ عن الجَهالِة، وَمخابيثٌ يَزعَمونَ البراءةَ من الضلالة، أَطاريرٌ يَنكصنَ من مثائر البسالة، وخَنازيرٌ يَرقُصنَ على منابر الرسالة، شَياطينٌ يُحطِّمنَ الأَصنامَ وتُبدِّدُ عُمرَها، وسراهين يَرضَعنَ الأَعنامَ، وتُسدِّدُ أمرَها، وأَقاصِمُ تَنصحن الظَّلَمَةَ وتُنضِّيها، وأَراقمُ[1] يَفدَحنَ الحَلَمة وتَغذَيها، فيا جَهَلةَ الوفاءِ، وَيا فَعلةَ الجَفاءِ، ويا رهابين ضواري الجَهالة ويا ثعابين صحارى الضلالة، ويا شَياطينَ الجِنِّ والأنس، في الجَهرِ والهَمسِ، ويا أَساطينَ الغَمسِ والطَمسِ بِنكسِ الخَمسِ قبلَ الخُمسِ، ما لكم إذا تَكلَّمتُم تكَمَّلتُم، وإذا قُلتم تَلبَّقتُم، وإذا نَصَحتُم أَفصَحتُم، وإذا فَعَلتُم قَعدَتم وتَقاعدتُم، وإذا عَمَلتَم رَقَدتم وتَراقدتم، فَتوبوا الى الله جميعاً وآتوا بالعَملِ راجِحاً، فإنَّهُ غَفّارٌ لِمَنْ تاب وآمَنَ وعَمَلَ صالِحاً، فَتبّاً لكُم أَماَ تَفهَمُون الخِطابَ، أَم تُحِبّونَ

(١) الأرقمُ أخبثُ الحيّات وأطلبُها للناس وهم الأراقم، القاموس المحيط، ٤/ ١٢٢ مادة رقم.

العِقابَ وتَبغُونَ، أَتامرنَ الناسَ بالبرِّ وتَنسَونَ أَنفسكُم وأَنتُم تَتلُونَ الكِتابَ، فَلا تأمروا بما لا تَحمِلونَ، ولا تُعلِّمُوا ما لا تَعلمونَ، يا أَيُّها الذَينَ آمنوا لِمَ تَقولُونَ ما لا تَفعَلونَ، لا تَقُولوا ما لا يقتضي فِعلا لا، يا له مِن مَقتٍ، أَن تَقُولُوا ما لا، إِنَّه شَرٌّ باطلٌ، قَدْ دُهيتُم بفعلهِ، فَاتَّقُوا اللهَ وأَحذروا أنَّ تَعودُّوا[1] والمُثلة.

(١) في الأصل تَعودُّ.

العِلمُ أَنواعٌ ولكن خذوا، منها الذّي أَولى بذي الفَذلكَه، ثُمَّ اعمَلُوا بالكُلِّ مِن ذا ولا، تُلقوا بأَيديكُم الى التَّهلُكَة، للعِلمِ عيونٌ وللعيونِ فنونٌ، وللفنون جنونٌ، وللجنون شجونٌ، وللشجون شيُونٌ، متعددة الأكنان، متبدِّدة الأَفنان، وطالبهُ جديدُ الأسنان، حديد السنان، مديد البنان، هديد[1] العِنان، يَروم أَن يَقطف أُكُلَها لمجاعتهِ، فيأكلها كُلَّها في ساعتهِ، فهذا شيءٌ لم ينبت، وفَيءٌ لم يَثبُت، هَيهات ثم هَيهات، وإنْ كنتَ أَدهى الدُّهاة، أو أنهى النُّهاة، فإنّ تلك الثمرة لا تَسعُها فحوى اللّهاة، فَتَدبَّر أنواعَها، وتخبَّر أَوضاعها، وأَمرر مراراً بمخارفها، وانظر اعتباراً في مقاطفها فَيَتبيَّن لك الأَولى، ويَتعيَّن لك الأعلى، فكُن يا هذا قانِعاً، بما تُجنيه يانعاً، فهو أَجودُ حلاوةً، وأَعودُ علاوةً، وأطوعُ قَضماً، وأَسرعُ هَضماً، وأَطرأُ حالاً، وأَمرأُ مالاً، وأَعلم. يا راسية الحِلم، أنَّ مأدبةَ العِلم، قد انطوت على ما أَردَتَ، من المطلوب، واحتَوَتْ على ما قَصَدتَ، من المحبوب ففيها بَركةُ السير وسيرُ البركة، وحركةُ الخير وخيرُ البركة، وفيها زادٌ ونزلٌ ومزادٌ ونقلٌ، ولطفٌ هَني، وقَطفٌ جَني نضيج وَنيٌ، بَهيجٌ سنيّ، لايق رايق، نايق فايق، فَخُذ منها ما زَادَ لُطفه، وجادَ بالمُرادِ عَطفَهُ، لكن بقدرِ ما يُنهضكَ دُونَ ما يُبهضكَ، وما يَرفعك دونَ ما يَصرعَكَ، فَكُلّ منها ما يَسع وعاءَك، ولا تَملأ أَمعاءَك، وَجَوّد غَرفَكَ، ولا تَملأ ظَرفَكَ، فتهوى في هاوية، لَملَم[2] الخلل، وتَروّى في غاوية عَدَم العمل، فإنَّ كظّة[3] الحفظ لا يَقضَمُها إلّا الكَسَل المَردود، ولا يَهضمها

---

(١) هديد: ((الهادُّ: صوتٌ يَسمَعُهُ أهل الساحل يأتيهم من قِبل البحر دَويٌّ في الأرض وربُّما كانت معه الزلزلة ودَوِّيةُ هَديده)) الصحاح ٢/ ٦٣٣ مادة: هدد.

(٢) في الأصل لَمِمَ.

(٣) كَظّة: ((الكِظَّةُ بالكسر شَيءٌ يعتري الإنسان عن الإمتلاء من الطعام يُقال كَظَّهُ الطعام كَظّاً، وكَظَّني هذا الأمر أي جَهَدَني من الكَرب)) الصحاح ٢/ ٣٩٦ مادة: كظظ.

إلّا العَملُ المَحمودَ، والعِلمُ كالبدور في صدور رُعاةِ الأَمور، وكالليلِ الدَيجور، في جواجي دُعاة الفجور، بل هو في قلوبِ أَهلِ الإخلاص، كالأرواح الوفيّة في الأشخاص، وفي قلوب[1] أَهلِ الانتكاص، كالأرياح الجِيفةِ[2] في الأَقفاص، فاخرج عن الغافلين وأدرج في الكاملين، واعرض عَن الجاهلين، وأَعمل فنَعمَ أجرُ العاملين، واتلُ على هذه السَريّة، الحايرة في هذه البريَّة، إنّ الذينَ آمنوا وعَمِلوا الصالِحات أُولئك هم خَيرُ البرية، وقُلْ لأُولي الأموال، وذي الآمال، عِلمٌ يُعلَّى بالعَمَل، يَسموا بِكم فَوقَ السَماء لا تُلهِكم أَموالكُم، ما عِندكُم يَنفَد وَما...

(١) في الأصل مقلوب.
(٢) في الأصل الجفيّة.

واهاً لكم كَم تَخوضُوا، في جَوفِ جُرمٍ جَسيمٍ، إنّي أَخافُ عليكُم، عَذابَ يَومٍ عَظيمٍ، رُبَّ حُسامٍ يقول لحامِله ضَعني وتَحفَّظ، ورُبَّ كلامٍ يقول لقائِله دَعني وَلا تَتَلفَّظ، وَرُبَّ مُحالٍ يقول لمُتَعسّفِه لا تَجهل، وَرُبَّ مقال يقول لمتكلّفه لا تُذهل، وَرُبَّ خبيثٍ يَصدِمُك بَشرِّه، وَرُبَّ حديثٍ يَعدِمُك بنشره، وَرُبَّ صياحٍ يوجب فلاعاً[1] وَرُبَّ صِداحٍ يعقب صداعاً، وَرُبَّ صيحةٍ تَحسُّها[2] تذبح الديك، وَرُبَّ كلمةٍ بِبأَسِها تُردِيك، وَرُبَّ حِكمةٍ عَصَمتْ رأَسَك بعنايتها وَرُبَّ كلمةٍ قَلعَتْ أَضراسَكَ بجنايَتِها، فاحفظ ما بين فَكَّيكَ وتعفَّف ولا تَظلّ تُقلِّب كَفيَّك وَتَتلَّهف، فإنّ أَسِنَّة اللِسان أَنفذ من الأَسَل، وآخِذٌ من القناةِ العسل، وأَنحَس شُرسان الفُرسان، مَنْ يُحارِب بسِنانِ اللسان، وأَنَّك لا ترى نَطِقاً، إلّا نَزقاً، ولا ساكِتاً إلّا ثابتاً، ولا خابطاً إلّا هابطاً، ولا مُتحفِّظاً إلّا مُستَحفِظاً ولو صَمَتَ الكليمُ لأُكرِمَ بأَعجب العجايب، ولو سَكَتَ الصِدّيقُ لَعُصِمَ من نوايب المَصايب، ولو خَنَسَ البلبلُ عن منافي الخلاص، لما حُبِسَ عن العوافي في سوافي[3] الأقفاص، وسَيَعلمُ المُتَعمِّق في الكلام، أنّ النُطقَ مُلَفِّقُ المَلام، وأنه عاثورٌ وهباءٌ منثورٌ وأَنَّه زايغٌ عن الطريقة، ورايغٌ عن الحقيقة، وسيقول فيه حين يؤتى كتابَهُ منشوراً، يَا لَيته لم يكن شيئاً مذكوراً، ولعمرك أَنَّ العاقلَ ذو جنانٍ عقولٍ، ولسان معقول، وسنان مضبوط، وعنان مربوط، وأَنَّ الجاهلَ ذو جنانٍ مُفوَّه، ولسانٍ مُموَّه،

---

(١) فلاعاً: ((فَلَعتُ الشيءَ فَلعاً شققته فانفَلَعَ وتَفلَّعت قدمه، تُشقَّقت وهي الفُلوع الواحد فَلعٌ وفِلعٌ)) الصحاح ٢/ ٢٥٨ مادة: فلع.

(٢) في الأصل نَحسُّها.

(٣) سوافي الأقفاص: ((السافُ: كُلُّ عرقٍ من الحائط، والسافَةُ أرضٌ بين الرمل والجَلِد، والسَوافُ مرضُ المال وهلاكه يُقال وقع في المال سَوافٌ أي موتٌ وسافَ يَسوفُ: أي هَلَكَ وحكى أبو زيد سَوَّفتُ الرجلُ أمري إذا مَلَّكتُه أمرك وحَكَّمته فيه يصنعُ ما شاء)) الصحاح ١/ ٦٣٠ مادة: سوف.

وسنانٍ مُلَوَّح وعِنان مُطوَّح، فطوبى لمَنْ طَرَحَ سِنانَه وأَمسَكَ لسانَه، وكَفَّهُ وفَتَح بنانه بالبرّ وَفَكَّ كَفَّهُ، وتَبّاً لهؤلاءِ المكثارين، وتَعساً لهؤلاء المِهذارين، الذين لا تُرضى أَحوالهم، ولا تُرتضى أَقوالُهم، فَنظمهِم ونَثرِهم في ثغور التعاسةِ هَواءٌ، وقَولهُم وبَولهُم في ظهور النجاسة سَواء، وجَهرهم وسرّهم على ظهور الشكاسَةِ عَواء، درجوا عن الأُنسِ، وحصلوا في المِحنَةِ، وخرجوا عن الإنسِ، ودخلوا في الجَنَّة فصاروا من سفرائهم يَمتَحون بِدلّائهم ويَمرَحونَ بخلائهم، ويسمَحُونَ بلهائهم، ويطفَحونَ ببلائهم، ويقعقعون بمقالٍ قعيدٍ[1]، ذي ضلالٍ بعيدٍ، ويَزعمون أَنّه من مقالاتِ الرُّسُلِ أُولي الفَيضِ وصَحوهِ، ولم يَعلموا أَنّه من مُوجبات الغُسُلِ كالحَيضِ ونَحوهِ، فَدَعهم وعَيِّهم، وَودِّعهم وغَيِّهم وَسدَّ عن مقالهِم أُذنَيك، وَشدَّ عن جَمالِهم عَينيك، فإنّهم لَيفرُّونَ من سَماعِ الحَقِّ وينفرُونَ عن رَؤيته نُفُوراً، وإنَّهُم لَيقولُونَ مُنكراً من القَولِ وزوراً، ويُوحى بَعضُهم الى بعضٍ زُخرُفَ القَولِ غُروراً، فَهؤلاءِ طَرُّهم الطرورُ، وغَرَّهُم بالله الغُرور، فَهُم والشياطينُ سَواءٌ وأَفئِدَتهُم لَدى الأساطينِ هَواءٌ، ما استَغانوا بِلُبِّهم، ما استَبانوا بِحُبِّهم ما عَرَوا من غُرورِهم، ما استكانُوا لَرَبِّهم...

---

(1) قعيد: ((الجرادُ الذي لم يَستَوِ جَناحُه بعد، القَعيدة: الغِرارة والقَعيد من الوحش ما يأتيك من ورائك وهو خلاف النطيح)) الصحاح ٢/ ٣٢٦ مادة: قعد.

ما لَهُم لم يَنتَهُوا عن دواهم جَهلِهِم، وَيلهُم كَمْ أمّةٍ قد خَلَتْ من قَبلِهم، إطالَةُ الـذَّلاذِل[1]، إصالَةُ الأَراذِل، وذلذلة القُمصان، غلغلة[2] النقصان، وتَعظيمُ الجُبَّةِ، تعميم الجِنَّةِ، وتطويل الآزار تسويل الأشرار، فيا حَليفَ الأَراذل، ما تَصنَع بهذه الذَلاذِل، وما تَجمَعُ بِمنقصة[3] الأفاضل، ويا أَيُّها المَغرور، ما هذا المَجرور والويل المنشور، خَلِّ هذا، إنّ هذا من خيالات الغُرور، إنَّ رَبّي لا يُحبُّ كُلَّ مختالٍ فَخُور، ويلك شَمِّر ذَيلَك، وَدَمِّر وَيلك فإنَّ ثوب النُبهاءِ كاشفةُ أَنصافِ السُوق وثوب السُفهاء كانسة أكنافَ السُوق، وليس في السُنَّةِ والغَرضِ أَن تَجعَل ملابسَ العَرض مكانِسَ الأرض، إلّا أَنَّ خَيرَ الثياب ما ارتَفَعَ عن الكِعاب شِبراً، وعن التراب أَشباراً، وشَرُّها ما وقع على الكعاب كِبراً وعلى التراب اغتراراً، وأَنفَسُ اللِّباسِ لِباسُ السَّلَفِ، وأَنحَسُ اللِّباسِ لِباسُ الصَّلَف، فارفعْ الأَسمالَ وخَلِّصَها، وأجمَع الأَعمالَ وأخلصها، ولا تكن كالذي يُعجَبُ وَيَميس، ويَرغَبُ وَيلبس الخميس والمُغيِّر المطيِّر، فإنْ رأى الفقير المُسيِّر تَغيِّر وتَطيَّر، وعَيَّر وحَبَّر، فلا خَيرَ فيما يُنهيه الديدان، ويُبليه الجديدانِ ويحصيه القعيدان، إنمّا هو رميم خايل ونَعيمٌ مايل، وكُلُّ نعيم لا مَحالةَ زايل، إلّا أَنّه كمال الناقصات وعِزتَّها، وجمال الراقصات[4] وبِزَّتها، أَتُحِبُّ أن تُحسَبَ من النواقِص وتُكتَبُ من الرواقص، بشيء ناقصٍ، وفيءٍ راقص، كَلَّا ثم كَلّا، فَتَخلَّى ثم تَحلَّى، واعلم أَنَّ اللهَ تعالى لا يَعبأ بِعَبدٍ عليه ثوبٌ مُحَبَّر، حَشوهُ تَكبُّرٌ ونقشه تَجبُّرٌ،

---

(١) الذَّلاذِل: ((ذَلاذِلُ القميص ما يلي الأرضَ من أسافله، الواحد ذُلذلٌ قال الزَفيان ((مُشمَّراً قد رَفَعَ الذَلاذِل)) وكذلك ذَلذِلُ القميص وهو قَصْر الذَلاذِل)) الصحاح ١/ ٤٤٢ مادة ذلذل.

(٢) غلغلة: ((الغَلغَلةُ سُرعة السير والمُغَلغَلة الرِسالةُ المَحمولةُ من بلدٍ الى بلدٍ)) الصحاح ٢/ ٢٠٥ مادة غَلغَل.

(٣) في الأصل بمنقصته.

(٤) الراقصات: النجوم.

وثوبٌ مُطَرَّزٌ، بطرايف الشرور، ومُهَزهَزٌ بزَخارف الغرور، وثوبٌ مُعَلَّمٌ بالرياء، ومُقلَّمٌ بالكبرياء يَخالُ المجدَ ثوباً مُزوَّقاً أو كوباً مُرّوقاً، أو أمراً مُخيَّلاً، أو طِمراً مُذيَّلاً، أو حريراً مُلَمَّعاً أو سَريراً مُرصَّعاً، أو طاقاً عالياً مطبوغاً، أو طوقاً غالياً مصوغاً، أو حِلَّةً رفيعة القيمة، أو حِلّة وسبعة الغنيمة، ولم يعلم أنها خيالاتٌ خالية وحُبالاتٌ بالية، فيزهو بها ويَتكبَّر ويلهو ويَتحيَّر، فيَفرح وَيَمرح، ويَطرَح ويَجرَح، ويَتوَشَّح بِوشّيّ كوشي النسوان، وَيترَشَّح بمشي كمشي النّشوان، نعم إن الله تعالى يعبأ بعبدٍ لا يُعبأُ بعباءِه، وسحق قباءِه، يرتدي بارداً ردائَهُ، ويُنادي رَبَّه بأخفى ندائه، ويدعوه بأدعى دعائه، ورعاية أوعى وعائه، ذو أعمالٍ عاليةٍ في أسمالٍ بالية، وقربٍ مُحقَّق في ثوبٍ مُخرَّقٍ، ونَفَسٍ نَفيسٍ، في أَنيس وجسدٍ وميسٍ، في دريسٍ كأسدٍ في عريس، رداءٌ خَلِقٌ فيه حروق، وقباء سحقٌ فيه حروق، وسِربال بل غربال وسروالٍ بل اضمحلال، فإذا قِستَهُ في الخيرِ الى سائر الغيرِ وجدته أَجودهم ديانةً، وأَجهدهم للأمانةِ صوناً، وأَملاءهم كنانةً وأعلاهم كوناً، وأَعرقهم ملاحةً، وأشرقهم لوناً يرى الخلقَ بوناً، والخالقَ عوناً يَعرضُ عن مُلكٍ ما يساوي عرجوناً، يَمشي برجليه ولا يَركبُ بَرذوناً[1]، وعِبادُ الرحمن الذينَ يَمشُونَ على الأَرضِ هَوناً، ويَشتغِلُونَ في ذِكره ويَتخذُونَ فيه مقاماً، وإذا خاطَبهُم الجاهِلونَ قالوا سَلاماً، عَينُ التُّقى عَن كُلِّ ما، تُزري بِهم تَحرُسُهم فَازُوا بِها فَوزاً فَهُم فيما اشتهتْ أَنفُسُهم.

(١) في الأصل بَردوناً.

الجَوهَر السادِسُ والخَمسُونَ

خَلِّ النَفسَ وخالِفها إنّ النَّفسَ لَغمّارَه، أَطعتَ النَفسَ أَلم تَعلَم أنَّ النَّفسَ لأمّارَة، فَأَيّها المَحسوبُ من العُقلاء عند الجهلاء وهو قائدهم، والمكتوب من النُبهاء عِندَ السُّفهاء وهو رائدهم، مالي أَراكَ مبهوتاً عَمّا يَعنيكَ مسبُوتاً عَمّا يُعنيك هاروتاً فيما يُعيِّك، أَما يُكفيك ما ظَلمتَ، أَما يُشفيك ما أَظلَمتَ، فاختبر من نفسك وادفع بلواها، وانظر الى شَمسِكَ وارفع شكواها، فالى متى غَشيَتُك يا مَبهُوت، ونَعسَتُك يا مَسبوت ونكسَتُك يا هاروت، واهاً لَكَ، ما أَوهى حالَكَ، عُرِضَتْ عليكَ زهرةُ الدنيا الدَنيَّة، فَأَعرضتَ عن كلمةِ الله العُليا بالكليّة، فَطارَ لُبُّكَ وغَارَ قلبُك وَوَلَّتْ أَجنحتُك وكَلَّتْ أسلحتُك، وتَزعزَع أَمرُكَ وتَضعضَعَ عُمرُك فأَصبحتَ مَحطُوطاً، في السَخطِ مربوطاً، لقطَتَ الجنة وغَفَلتَ عن سلك الحابل، وغَمَطَتَ الجُبنَة، وذُهِلتَ عن مُلكِ بابل، فَشَقَيتَ منحوساً وَبَقيتَ محبوساً، وعُلِقَّتَ منكوساً، ورقيت معكوساً، والظالمون ظالمو[1] نُفوسِهم، ومظلموا شموسهم، والمُجرِمُونَ مُهلِكوا غرُوسِهم وناكسوا رؤوسِهم، يُنادونَ بحنين الخَلاص، ولاتَ حينَ مَناصٍ هيهات لقد طوى العمر، وقُضِيَ الأمر، قالوا يا وَيلَنا أشراراً، قال ادخُلُوا ناراً، هالَت مهاويها، قالوا فيا وَيلٌ، قال أخسأوا[2] فيها.

---

(١) في الأصل ظالموا.

(٢) في الأصل اخسئوا.

الجوهر السابعُ والخَمسُونَ

قد كانَ كُلٌّ سديداً، في الكُلِّ بَرّاً سعيداً، حَتى إذا استَمطَؤها، ضَلّوا ظَلالاً بعيداً، تَبّاً للدُنيا الرّديّة ومُرادتها الرديّة وبُعداً لدينارها[1] ودرهمها، وأَشقرها وأَدهمها، وتَعساً للطائفها وزَخارفها، وظَرائِفها ومطَارِفها، وسُحقاً لمَداخِلها ومَصارِفها ومَحافِلها ومَشارِفها، ولا بُورِكَ في زَرعِها وحاصِلها وربِعها وواصِلها فيا أَيتُها البالية وخطابُ البالي لا على الحقيقة، هل يستقيم قليلٌ من تَقلّبُك لأَهلِ الحقيقة على الطريقة، فإنْ صَدَقتِ في قولِك ولم تكذّبيه، فخلِّ المُهذِّب[2] ولا تُعذِّبيه، فإنَّكِ بنوائبكِ لم تُهذِّبيه، على أَنّه أَمرٌ لخيره لم تقصديه، ولميره لم ترصديه، ولَعُلوّه لم تتسَّوريه، ولغُلوِّه لم تَتَصوَّرية، ويا أَيتُها الفانية وخطابُ الفاني مَجازٌ، هل السُفَّارِ الباقية على جسرك مُجازٌ، أو لوعدِكِ إيّاهم انجازٌ. أو لاطناب جورك عليهم إيجازٌ، فكم لَكِ من شاكٍ صائحٍ وباكٍ نائحٍ ومِن متأسِّفٍ يُقلِّبُ كفيّه، ومُتلهِّفٍ ينكبُّ فكّيه، ومن مُتحيِّرٍ في خَيبةِ أَمره، ومُتحسِّرٍ على ضيعةِ عُمره، ومن مَهمومٍ يَتألَّم ومَغمومٍ يَتصلَّم ومن مظلومٍ يَتظلَّم ومكظومٍ لا يَتكلَّم، كم لَكِ من جفاءٍ بلا وفاءٍ وعَناءٍ بلا شِفاءٍ، ومن بلاءٍ مُبرمٍ وجَلاءٍ مغرمٍ، ومن بَليّةٍ طامية، ورَديَّةٍ رامية، وَرديَّة داميةٍ، ومن باهرةٍ تُزعزِعُ الحليلةَ على الحليلِ وفاقِرةٍ تُضعضِعُ الرخصيةَ عن الإحليل، ومن بائقةٍ تُذهل النَفَسَ وعائقةٍ تُكسِفُ[3] الشمس، وناعِقةٍ تُبطِلُ الخُمس، وصاعقةٍ تدخل الرمسَ، تَبّاً لَكِ من خبيثٍ يجرس الوفاق، وليثٍ يُفرسُ الأَعناقَ ومن مرجانٍ يغرس النفاقَ، وسرحانٍ يفترس العِناقَ، ومن رقيبٍ يقلع الأَيام وقليبٍ يبلع الأنام ومن صحيبٍ يمنعُ الأَيام، وحَصيبٍ يقمع الأنعام ومن سفّاكٍ في قباءٍ زاهدٍ يطرح العرايس على منصَّةِ العُرس

---

(١) في الأصل للدينارها.
(٢) يشير الى نفسه.
(٣) في الأصل تكسلُ.

ويَتوشَّح سُروراً، ومن فَتّاكٍ في عباءِ جاهدٍ يذبح الفوارسَ على مَخدَّة التُرسُ ويتَرشَّح غُروراً، ومن غَدَّارٍ في الكُلّ عزارٍ، يُريكَ سَرباً فَتَظُنُّهُ شراباً، ويُعطيك خِضاباً فَتَخاله شباباً، يناولك نِعمةً فتَنَبَّط نِقمة، ويُطاوِلكَ رِفعةً فَتحطُّ صفعةً، وعلى هذا المِنوال في جميع الأَحوال، فإذا قَالتْ قَول، فَهوَ هَولٌ، بل بَول، أو مال، فهو ملال، بل ضَلال أو نيل، فهو سَيل بل وَيل أو عِزّ فهو وَخزٌ بَلْ جَزٌّ أو غِنىً، فهو عنى، ضنى أو دنانير فهي زنابير، بل زنانير أو دراهم، فهي مُناهم، بل مداهم أَو ثروة فهي قروة، بل خروة أَو دولة فهي صَولةٌ بل غولةٌ أو منحةٌ. فهي حنة بل طحنة، تعساً لَكَ إفغالاً، فليس لك إلّا التمساحُ مثالاً، يخرج للإمضاء، الى الفضاء مُتَشرِّقاً من ملفاه، فَيستَلقي[1] على قفاه، ويَفتَحُ فاه، فتَقع عليه نبات الماءِ عوامد، ويَضَللَنْ عَليهِ رواكد، يَجمَعنَّ ما امتنع من لماظَةِ فيه، وَيُلقُطنَ ما اجتمع من الدودِ فيه حتى إذا سَدَدْنَّ ثُلمةَ الجوعِ، وأَردن هِمّة الرجوع، أَطبَقَ الأَشداقَ وأَصفَد، وأَغلَقَ الأغلاق وأوصد، وخاط فكيّه، واندفع عايماً وحاصَ من البّر، وأشاط دفّيه وَرَجَع غانماً وغاصَ في البحر، والتِمساحُ إذا أَخَذَ سَبيلهُ في البحرِ سَرَباً، كان أَمرُهُ في بَحره عَجَباً، فَلَنْ تَستطيعَ له طَلباً، فَقُلْ لمَنْ لم يَصبِر عن تَطلّب الدُنيا حَتّى يُودَعَ قبراً، هذا تأويلُ ما لم تَستطَع عَلَيه صَبراً، ما بالكُم يا أَيّها الأَشقياء غَرَّتكُم الدُّنيا مَتاعُ الغُرور، فَلَيتَ الأَبصار تُعمى نَعَم، تَعمَى القلوبُ التي في الصُّدُور، لقد رَمَيتُم ما أُمِرتم بِهِ، ألا إلى الله تَصيرُ الأُمور.

(١) في الأصل فسيَلَقى.

تَرَى الحَلالَ مُرّاً، فَحلِّهِ بُحبِّكَ، وِجدانُه عَزيزاً [كذا][1]، فأصبِر لحُكمِ رَبِّك، قَسَماً بجمالِ ذي الجلالِ إنَّ حَلاوةَ الحَلالِ أَحلى من علاوةِ الزَّلالِ، وبجلالِ ذي الإكرامِ إنَّ مرارةَ الحرام أَمَرُّ من حرارة الاضطرام، في قلبٍ عديمَ المرام، ألآ أَنَّ الحَلالَ جمالُ كمالِ المؤمن، بل كمال جمالِ الموقِن، والحلالُ متكاثرُ المَدَد ومَدَدهُ فَيضيٌّ فائق. والحرام متناثر العدد وعَدَدهُ أرضي زاهقٌ. وصعيدُ الحلالِ أَبرق شاسِعُ الحال، وَوَصيد الحرام أَورَق واسعُ المجال، والحرامُ كثيرٌ شقاؤه، يَسيرٌ بقاؤه، وافرٌ شرُّهُ، نَافرٌ فَرُّهُ، مَعلومٌ ضَيره، معدومٌ خَيره، سحابهُ يَسيرُ المَكثِ، وشَبابُه سُمير النكث، وأَسبابُه زَلزلةٌ الزوال، وأَربابهُ تريلةُ الزلزال، شراً به كثير الشرور، وسراً به خطير الغرور، تَبّاً له من قِعبٍ إذا امتلأ إنكفى وانتقى، ومن لهبٍ إذا تلألأ إنطفى واختفى إلّا أنّ ما كَرُمَ وقَلّ وأَجب السلامة، خيرٌ ممَا حُرِمَ وجَلْ وأَعقبَ الندامة، إلّا أنّ ما قَلَّ وكفا، خيرٌ مما جَلَّ وجفا، وما يَسُرَ وأغنى عن غيره، خيرٌ ممّا أَكثَرَ وأَعنى بضيره، وما تدور به، رحى أَصل القناعة خيرٌ ممّا يمور به هوى بذل الاستطاعة فيا حاجَّ البيت الحرام، ما تَصنَع بهذا الميِّت الحرام، وما المُسارعة الى تحصيله، وما المبالغة في تحويله تَتكلَّف فيه السَّرقةَ وغيرها بالليلِ والنهار، ولم تَتَخوَّف منهُ الحِرقةَ بالويل والنارِ، تسرق بُلغَةَ[2] الأيامى وإنْ كانت هباءً؟، مبلولةً بدمعة اليتامى وإنْ كانت دماءً، وتَسلِب غزلَ نَكَد الأرامل وإنْ كانت عليلةً، غَزَلَتُه بكدِ الأنامل وإنْ كانت كليلةً، تَنهَبْ غَذا الجوعان فتغذيه وتَغصِبُ ماءَ العَطشانِ فتحتسيه وتَسلِبُ رِداءَ العُريان فتكتسيه، ثم تَحمد واجبَ الوجودِ، على هذا الموجود، من الغذاءِ المنهوب والماءِ المغصوب

---

(١) الأصح عزيزٌ.

(٢) بُلغة: ((البُلغَةُ: ما يَتبَّلغُ به من العيش وتَبلَّغَ بكذا أي اكتفى به وتَبلَّغَتْ به العِلَّة أي اشتدَّتْ)) الصحاح ١/ ١١٣ مادة بلغ.

والرواءِ المسلوب، ولم تَقفْ على حقيقة الحال، فلم تَسلَم من حريقة المآل، فيا جُهّال الضّلالِ ويا ضلّالَ الجُهّال، ويا ظَلَمةَ الناس، ويا حَلَمة النسناس، أَتحمَدُونَه على مالٍ لم يكن من نفسهِ شيءٌ، ولا لكم في شمسهِ نورٌ ولا فَيءٌ. أَتحمدُونَه على مالٍ قُتِلَ صاحبه دونَهُ، وتَشكرونَهُ على ما تأخذونَهُ ثم تنكرونَهُ، وتَثنُونَ عليه، على ما مَدَدتُم أَيدي العدوان إليه، أَتشكرونَ الله على كثرة معاصيكم، التي أَغرَقَتْ رِياضَ نَواصِيكم، أَم على وفرة ذُنوبكم، التي مَلَئَتْ حِياضَ ذَنوبِكم، أَتشكرونه على مَحضورٍ ارتكبتموه، أم على منظورٍ انتكبّتِمُوه، أَم على دمٍ مُحرَّمٍ سَفَحتُموه، أَم على يَتيمٍ مَكرَّمٍ ذبحتموه، أم على عِرضٍ استبحتمُوه، أم على عرضٍ جرحتمُوه، أم على رحيقٍ لحَستموه ثم سَلحتمُوه، بل حريقٍ سلحتمُوهُ ثم لسحتموه، أَتشكرونه على مومنٍ خنقتموه، وموقِنٍ شنقتموه، ومسكينٍ طَبَّرتموه، ومستكينٍ هَبرَّتموه، وعالمٍ أَهنتموه وأَضعتموه، وظالمٍ أَعنتموه واطعتموه، أَتشكرونه على حِرزٍ طَرَّقتموه، وعِزٍّ فَرَّقتُموه، وحِجابٍ خَرَّقتموه، ونِصابٍ حَرَّقتموه، وزادٍ وهينٍ سرقتموه، وماءِ جبين أَرقتموه، أَتشكرونه على ما غَصَبَتهُ أَعيانكُم وجذبته بنانُكمُ وقَضَمته أَسنانُكُم، وسلبته أَفنانكُم وَنَهَبَته أَيمانكم، قُلْ بِئسما يأَمُركم به إيمانكم، فَلَو كنتُم من العالِمينَ، لكُنتُم مِن السَّالمينَ، ألاَ لَعنَةُ الله على الظَّالمينَ، ألاَ فَاسأَلوا أَهلَ الذِكر إنْ كُنتم لا تَعلَمُونَ، إِنَّ اللهَ لا يَظلِمُ النَّاسَ شيئاً ولكِنَ الناسَ أَنفسهُم يَظلِمُونَ، آيا ظُلَّامٌ نادَينا، عَذابُ الله واديكُم، دُعُوا ما حَرَّمَ الباري، وَلا تَلقُوا بأَيديكُم.

الجوهَرُ التاسعُ والخَمسونَ

بوادٍ غَيرِ ذي زَرعٍ، لَقَد نادى مُناديكم، ألاَ حِجُّوا ألاَ عُجُّوا، ولا تَلقوا بأيديكُم فطوبى لطائِفةٍ عَجَّتْ بِحُبِّها فَجازت، وهَجَّت الى رَبِّها فَحازت، تَلكَ طائفةٌ وما طائفة، وما أَدراك ما طائفة، طائفة بِبَيتِ الله طائفة، راضوا[1] المُهَج فَحصَلُوا وخاضوا اللُّجج فوصلوا على معنى إنّكَ مَيِّتٌ وإنَّهُم مَيِّتُونَ، فبذكر الله هُمْ صَيتُونَ، وفُحوى كُلَّ شيءٍ هالِك، فكان الكُلُّ سالِكٌ، وفهموا فَنَّاً من العتاب، مَن كُلِّ مَنْ عَليها فانٍ، فمزّقوا عن الثياب، وبرزوا في أكفانٍ، فَماتوا قَبل أن يَموتوا، وصَاتوا بما لَهم أَن يصوتوا، ثم حُفّوا بحفيف التَّهامة وصُفّوا في صفيف القيمةِ، ومُثِلّوا في منجر النَدَّامة، ومجزر المَلامة، وحَصَّلوا في مسقط السَّلامة ومَهبط الكرامة فوقفوا في فضاء التجلّي فَتَجلَّوا، ورضاءِ التَحلِّي فَتحلَّوا، فرحلوا من معزل الضَير والعاهات، ونزلوا مَنزِلَ الخيرِ والمُباهات، ثم أَفاضوا الى المِشعَر الحَرام، والمِحشَر المرام ومنشر الكرام، ومنثر الإكرام، بوجوهٍ بدريَّة وجباهٍ نوريَّة وغُرَرٍ دُرِيَّة، وطُرَرٍ عطريّة ثم هبطوا الى منحر القرابين، ومذبحها فَنحَروها وذَبحوها وأكملوها، وسقطوا على مَرجَم الشياطين فَرجَموها وقَبَّحوها وَأَهملُوها، ثُمَّ خلعوا الدِثار، وقرعوا العِثار، وأَطلقوا الدثور، وصرعوا الشرور، ونزعوا الشعار، وقمعوا الشَّنار، وحلقوا الشعور وجمعوا السرور، ثم تَعنَّوا بعناءِ الوجل الجليّ وتغَنَّوا بغناءِ الحِجل العَليّ، وأَعلنوا من صمايم القلوب الصوادي، بأغاريد الحَمائِم في تلك البوادي، وطَيَّروا بما تَطيَّر به أَطربةُ الإبداع بالنوادي، أَغرِبَةَ الاصداع في بقاع الوادي، ثم طاروا بعدما أَطاروا الى بيت الله مُبَصِّرين مُخلَّقين وطافوا بعدما خافوا مُقصِّرين مُحَلِّقين واغتنموا البيتَ العَتيقَ فَعتُقَتْ فُروقهم فَلاقوا، واستلموا المسك الفتيق فرتقت فتوقهم ففاقوا، فجادوا وأجادوا،

---

(1) في الأصل راضو.

وأدركوا ما أرادوا، فَوفِقوا لضَمّ غُرَّة الغرض مع الزيادة، وَفُوّقوا بلثم سُرّة الأرض من السعادة وفازوا بقُبلةِ يَمينَ الله جَلَّت جلايل جلالِه ثم جازوا الى قُبّةِ أَمين الله صلى الله عليه وآلِهِ، فَتوجَّهوا بصدقٍ صافٍ وعشقٍ شافٍ من زيارة ما شَرَّفَه من كَعبتِهِ الى زيارة مَنْ شِرَّفه بأسنى خِلعَته، فمن المنجع النهي الأَحَدي، الى المضجع البهيّ الأَحمَديّ حيث يَنتَثِرُ النورُ على السرور ويَنتَشرُ الشرورُ على النور حيث تَعنَّوا جِباهُ الملوك الصيد القاهرة لتربة ذلك الوصيد الطاهرة، ويغدوا سَبُع ناموس غابة الدماء كالهُبع[1] المُعتَّلِ بغايةِ الظماء وطاووس راية سُدرة السَماءِ، كالوصع المُختَل بِسَوَرةِ الماء، فَهناك المَلِكُ مملوكٌ والمَلَكُ صعلوكٌ، والسَبعُ أَرنَب والضَبعُ ثَعلب، وهناك تَهبطُ السَّلامَة بأَوضاعها، وتَحطُّ الكرامةُ بأنواعها، وتتناثر عراضةُ الأَوطار الرافعة، على الزُوّار، تقاطُرَ الأمطار النافعة على النَوارِ، فيقتبس كُلُّ مُظفَّرٍ زائرٍ، مالا يَفترسُ كُلُّ غظنفرٍ زائدٍ، فيصير معموراً، بالمراد مغموراً، لكونه مأجوراً، وحَجَّهُ مبروراً، فيركبُ من ذُلَلِه [حماره] ميسوراً، وَينقَلبُ الى أَهلهِ مسروراً، فَقُلْ لمَن انتَجَبَ بالرَّحمةِ وانقَلَبَ بالنِّعمةِ، بُشرى لكُم ونِعم مَثاب وَطُوبى لكم وحُسنُ مَآب، مَرحَباً أهلاً وسَهَلاً بالكرام الماجدين، هذِه جَناتُ عَدنٍ فادخلوها خالِدين.

(١) هُبع: ((الهُبَعُ الفصيلُ الذي نُتِجَ في آخر النِتاج يُقال ماله هُبَعٌ ولا رُبَعُ والأنثى هُبَعةٌ والجمع هُبعاتٌ وقد هَبَعَ الفصيلُ يَهبَعُ هَبعاً إذا مَدَّ عنقه ويُقال الحُمُرُ كلها تَهبَعُ في مشيتها أي تمدّ عنقها)) الصحاح ٢/ ٦٢٨ مادة هبع.

في كُلِّ مَقاماتِه، لا يَحذَرُ من رَبِّهِ، واهاً لمراماتِه، لا يُسألُ عَنْ ذَنبِهِ، فَويلٌ للمُجرم الحائف وزحمةٌ، ونيلٌ للمُحرِمِ الطائف ورحمةٌ، يكَرُّ على الكبيرة فيركبها، ولا يَتزَحزَح، ويَمرُّ على الصَغيرةِ فَينَهُبها ويَترقَّح، فمرتكبُ الجرايرِ مُكّر على الكبايرِ، وإنْ أوبقته في الوقت، مُصرٌّ على الصغائرِ وإنْ أَحرقتَهُ بالمقت. فَويلٌ للمجرمين ما أَعماهم يَفرّون فما أَصماهُم، ولم يَعرِفوا يُعرَف المَجرِمونَ بسيماهُم، والمُؤمنونَ قَليلٌ ما هُم، يَفرّون من الموفاة، وأَينَ المَفرُّ من المكافاة، ويَهربون من غراءِ الأَنكالِ وأينَ المَهربُ من جزاءِ الأَعمالِ، فَهنَاك مَقرٌّ وقرارٌ، لا مَفَرَ وفِرارٌ، هَناكَ لا يَعرفُ أَحدٌ أحداً، ولم تَجد من دُونِ الله مُلتَحداً، هُناكَ لا تَعرفُ أَخاكَ مِمَّنْ آخاكَ ولا أَباكَ مَمَّنْ تَبنَّاكَ، ولا مُظلَّك من مُذِلَّك، ولا مُعينك مِنْ مُهينُك ولا صاحِبُك من حاصِبك، هُناكَ يَضطرمُ الأَشدّانِ، ويَرتَطِم الأَسَدانِ وَيزدَحِم الضِدّان، ويَصطدمُ النِدّانِ، ويتقابل النَحسانِ ويتقاتل الخمسان ويتزاور الثقلانِ ويتنافر العَملانِ ويتعانق الجبلان، ويتخانق الهبلانِ هذا يقولُ أَينَ مَنْ ينصرني؟. وذاك يقول عَينُ مَنْ تَنطرني؟، هذا يَطرِّد بواحسرتاه، وذاك يَسرِدُ بواحيرتاه، وهذا يُلَّوح بوالهفاه، وهذا يطوِّح بواأسفاه، هذا يعرض حاجةً مردودةً، وحاجةً مهدودة وكبَداً مكدودةً، ويداً ممدودة فيقول هات، فإنَّ الاصطبار ما فات والاضطرار قد صاتَ وذَاكَ يَقولُ هَيهَّات، فإنّ الجود مات والموجود فات هذا اسمهُ لا يَنصَرفُ ورَسمُه لا ينحرف وذاكَ قلبه لا يَنعطِفُ ورطبَهُ لا يَنخَطِفُ إذ قلبه حديد لا يوافقه، ورطبُه قايم عليه لا يفارقه، هذا شحّاذ أَذيٌّ نَبَّاذ[1] بَذيٌّ لا يَردَعه منعٌ ولا رَدٌّ، ولا يُوجِعهُ دفعٌ ولا طَرد، ولا يَتغيَّر من الفزع بالعصا، ولا يَتطيَّر من الأتباع بالحصا، مُمَلقٌ مَلِقٌ، مُقلقٌ عَلِقٌ، لزقٌ لَبِقٌ لَصِقٌ دَبِقٌ، يشكو حالاً،

(١) نَبَّاذ: ((نَبذتُ الشيءَ أَنبذُهُ إذا أَلقَيتُه من يدِكَ ونَبَّذتُهُ سُدِّدَ للكثرة ونابَذهُ الحربَ كاشَفه)) الصحاح ٢/ ٥٣٣ مادة: نبذ.

ويرجو مُحالاً، يَستَعطِفُ نَذلاً، لا يَعرِفُ بذلاً؟، ولا يَخافُ عَذلاً، كثيرُ اليُسر، كسيرُ الجِسر، يابسُ القشر، عابسُ البشر، رامضُ الحالِ، حريقُ الخِلالِ، حامضُ المقالِ عتيقُ الخَلالِ، إنْ هَبَّ بعُشر معشار رغيف، صَبَّ عليه قنطار خَلٍّ ثقيفٍ، أَو بخرقةٍ من جُبّهِ، حاقها بحُرقةٍ من مِنةٍ أو بخيط من رداء، دارهُ على سوطٍ من بلاءٍ، أو داءٍ بَلا دواءٍ، أو بلقمةٍ من خبزٍ، أَلقمها نقمةً من وخزٍ أو بقطرةٍ من ماءٍ، غمرها بغمرةٍ من ظماءٍ، فليته إذا كان بخيلاً، لم يكن ثقيلاً، وإذا كان يابساً لم يكن عابساً وإذا كان معرضاً، لم يكن مُبغِضَاً، وإذا لم يكن باذلاً، لم يكن عاذلاً، وإذا لم يكن حاتِماً، لم يكن شاتماً، وإذا لم يكن بَشَّاشاً لم يكن فحَّاشاً، وإذا لم يكن للحَلِّ هَمّاعاً لم يَكنْ للخَلِّ بيّاعاً، فإنَّ حَلاوةَ اللِّسانِ، علاوة الإحسان، ولِين الكلام دِينُ الكِرام وعَينُ المَرام، وحُسْنُ اللقاءِ والإجلال، ثُمنُ السخاءِ بَلْ الكمال، وبُشرُ المسؤول واهتِمامُه، عُشرُ المأمولِ بَلْ ثمامُهُ والجُودُ كُلُّ الجودِ بَذلُ الموجود والسَخاء كُلُّ السخاءِ، صفاء الأخاء في الشِّدةِ والرَخاء، وكُلٌّ منهما أَنواعٌ مُتكاثرة العَددِ متظافرةُ المَددِ أَسناها قَولٌ مَألوفٌ ومَعذِرَةٌ وأَدناهَا قَولٌ مَعروفٌ ومَغفِرةٌ، فالأسنى أعلى والأَعلى أَجلى والأَجلى أَحلى، فَخُذ به، من مَهبّه، وَقُمْ الى القَوم وَنَاديهِم ألآ يا عِبادَ الله، ما تُقَدِّموا لأَنفُسِكُم من خيرٍ تَجدوهُ عِندَ الله، مُفتي قَضاياكُم بِمَوتِكم يُفتي فَقدِّمُوا خَيراً مِن قبل أن يأتي...

بَعضُنا أرحامُ بَعضٍ حَقُّنا والحَقُّ فَرضٌ، ما قَرأتُم قَولُ رَبّي، بَعضُهم أولى ببعضٍ إنّ مِن وظائِف إكرام الأرحام، لطائفُ إحِرام الاحترام، والأرحامٌ مَرحُومَة، وَالِّلئامٌ مَحرومة، وقَطيعةُ القوم عادةُ الغمر، وصلةُ الرَحْم زيادةُ العُمرِ، فمَنْ عَمَّرها عَمَّر عمره وأَعلاه ومَنْ دَمَّرها دَمَّر عُمره وأَبلاه. وخَدَشة القطيعة مُطوَّقة بالأَرش، والرَحمُ مُعلَّقةٌ بالعَرشِ فَمَنْ وَصلَها ارتفع ومَنْ أَهملها اتّضع، وأَكمَلُ الصداقة طَلاقَةُ البشر الراشح والاستقرار، وأَجمَل الصَدَقَة صِلَة الرحم الكاشح والاستمرار، وخَيرُ البر بُرُّ الأَرحامِ، وخُبزُ البُرِّ خَيرُ الطَعامِ، فَرحِمَ اللهُ مَنْ رَحِمَ رَحمَه فلم يطوِ عنه كَشحاً، وعَلِمَ لَحمه فلم يَلتَوِ عنه صَفحاً، ومَنْ تَوخّى الصواب وثميمه والثواب ونعيمه وتَوقّى الرجيم وَذَميمَه، والجَحيم وحَميمه، فَليَرحم حَميمَه، وليكرم كريمَه، فإنَّ حَميمَ الحُرِّ حمامةُ رُوحهِ فليُرحهُ، وحلاوةُ رَوحِه فليصلِحهُ، وأساسُ رأسهِ فليَسُسهُ، ورأسُ أساسِهِ فليُرسِه، وقفار ظهره فليُقدّره، ومنار ظهره فليُبدره، وقير نهره فليُهجره، وخَفيرُ دَهرِهِ فليُجبِرهُ، وتَوأمُ جَوزائِه فليوازِه، وأكرَمُ أجزاءِه فليجازِه، وعرض من عَرضَه فليُرضهِ، وبعض من طوله وعرضهِ فليُحظهِ، ورُوَحٌ من روحَتهِ فليتاحفه[1]، ورَوحٌ من فوحتهِ[2] فليفاتحه، وضِلعٌ من أضالعه فليضارعه وأصبع من أصابعه فليطالعه وجارحة من جوارحه فليراجحه، وجانحةٌ من جوانِحهِ فليناجحه[3]، وقطعةٌ من ذراعهِ فليراعِه،

(١) يتاحف: ((التُحفَةُ ما أَتحفتَ به الرجلَ من البِرِّ واللُّطف وكذلك التُحفَة بفتح الحاء والجمع تُحفٌ)) الصحاح: ١/ ١٣٧ مادة تحف.

(٢) فَوَّحته: ((فاحَتْ ريح المسك تَفوحُ وتفيحُ فوحاً، وفاحت القِدرُ تَفيحُ غَلت، وأَفاح دمه هَراقه، وبَحرٌ أَفيحٌ بَيِّنُ الفَيح أي واسعٌ وفيّاحٌ أيضاً بالتشديد، ودارٌ فيحاءُ أي واسعة والفيحاء أيضاً حساءٌ مع توابل)) الصحاح ٢/ ٢٦٤ مادة فوح.

(٣) يناجحه: ((النُجحُ والنجاحُ: الظَفَرُ بالحوائج ونَجَح أَمرُ فلان أي تَيَسَّر وسَهُلَ فهو ناجحٌ وسار فلانٌ سيراً نَجيحاً أي وشيكاً ورأي نجيحٌ أي صواب وتناجَحَتْ أحلامُه أي تتابَعتْ بصدق)) الصحاح ٢/ ٥٤١ مادة نَجَحَ.

وبِضعةٌ من لحمهِ فَليَحمَه، وحَاسَّةٌ من حواسِّه فليواسِه وكَنفٌ من أكنافه فليكافِه، وعافيةٌ من عوافِيه فلا ينافيهِ فإنَّ من دناءَةَ الطبيعة، شأمة القطيعة، وفي إعزاز الفصيلة، إحراز للفضيلة وأَشأمُ السريرة، وأَعظمُ الجريرة، سوءُ العشيرة، مع العشيرة، وأَجودُ الأقوات لعقبة العُقبى، أَعودُ الالتفات الى ذوي القُربى وأدفعُ ما يُدفع أَهوالَ يوم الحساب، أرفعُ ما يُرفع غمومَ الآهالِ والأَنساب، وكثرةُ كَرمِ الإنسان بعشايره وحرمةُ حَرم الرحمن بمشاعره، وإحساس شرف الإنسان بالعَرارة[1] وأساسُ غُرفِ البنيان على العمارة، فَظهرُهُ ببَطنِهِ يقوى فَيبقى وعَقبه بفخذه يبقى فيقوى، وذكره بحيِّه يحيى فيرقى، وشكره بطيِّه لا يُطوى فيشقى، وقِوامُ أَمرهِ بقومه يدوم، وإقبال قَدره بقبيلهِ يحوم، وفرقه بفريقهِ يُرفع، وخاطره بجمعه يُجمع، فاعطف على إخوانك فإنّهم أَعوانك، وألطف بأَعوانِك فإنهم إخوانك، وسامِحهم في جَوامعِ الأمور وراواحهم على قوارع الدهور فإنَّ المؤمن أَخوك قريباً كان أو غريباً، والمُوقِن أَبوكَ حبيباً كان أو رقيباً، ألاَ أن أَخاكَ وإنْ ناواك في بعض المهام مَنْ يَلتقي معك في سام وحام، واتّقوا اللهَ الذي تَساءَلونَ به وَالأَرحام والإيمانُ عُروَةٌ، وإنما المؤمنُونَ إِخوةٌ فَقُلْ لمَنْ يَتكَلفّون حقيقةَ الطريقة، وَيتَعسَّفونَ طريقةَ الحقيقةِ، عليكم بالتمسُّك بالعُروةِ الوَثيقة، والتَنَسُّك برعاية الأخوّة الخليقة، هذا قَولي فإنَّ قولي، للخَيرِ ودُرِّهِ لنِعمَ آمرا، نُصحٌ لكَمُ لِوجهِ رَبّي، لا أَسألَكُم عَليهِ أجراً...

(١) العرارة: ((العَرُّ بالضم قُروحٌ من القوباء، العَرارُ بَهارُ البَرِّ، وهو نَبتٌ طيّبُ الريح الواحدة عَرارَةٌ والعَرارَةُ بالفتح سوء الخُلق والعَرارَة الشدَّة)) الصحاح ٢/ ٩٦ مادة: عرر.

الجوهَرُ الثاني والستُّونَ

ما أَتـى كالتُّقى لذي اللُّب قُوتٌ فاتقوا اللهَ يا أُولي الأَلبابِ، التَّقيُّ مَنْ يهاجر الى طاعةِ رَبّي، ويُتاجر في بضاعة حُبّهِ، فَيتقلَّب في رفيع هذه البضاعةِ تَقلُّب المُستطيع في الاستطاعةِ، لا يَفزَع إلّا الى طلعةِ قُبابِهِ[1]، ولا يقعقع إلاّ حلقةَ بابِهِ، يسري في الرضاء، ويَجري في القضاء، لا تُدركهُ حِيرةٌ، ولا تُهلكه خيرةٌ، يَفِرُّ من الطَمَع فَرارَ الطَمعِ من الوَرَعِ، ويَقِرُّ في الوَرَع قَرارَ الطَمعِ في الطَمَعِ، يُفاتِشُ خُطاه في وطي اللَّقمِ فيرجو حالاً، ويناقشُ فاه في قضم اللُّقَمِ فينجو مآلا، ويُحاسِبُ نَفسَه على صغاير اللَّمم فَينمُو جمالاً، ويُعاتِبُ عُسَّهُ على خواطر النَهَم فَيسمو جَلالاً، ويضايقُ قلبه بضَمايرَ الهَمَم فَيحلو حالاً، ويُسابق لُبَّه على كبائرَ الكرمِ، فيغلو[2] كمالًا لا يَرغَب في الممدوق[3] فيسرب ولا يَطرَبُ على المَعروق[4] فيضرب ولا يشرب، إلاَّ الصرف فيطرب ويُشير الى الأَفـراح، ولا يركب إلّا الطرف فيرقب ويطير مع الأرواح، يرتفع من مرارةِ الحرامِ الى حلاوةِ الحَلالِ فَيتَطاولها وشرارة الضرام الى علاوة الزّلال فيتناولها، يخاف غواشِمَ الشهوات لمعرفته بشناعتها فيتقاعد، ويُعاف هواشم الشُّبُهات لدرايته بقطاعتها فَيتبَاعد، لا يُؤدّيه القَرمُ الى كل الجِيف فيدرج في سرف النجاسةِ ولا يُعدِّيه النهمُ الى شكل السَرَف فيخرج من شرف الكياسةِ، يفقد القوت فلا شرف فيشرف في الصَّلَف، ويجده فلا يسرف فيشرف على التّلَف لا تجبسه نُهيماتٌ تُغِمنَ قَلبَه، بل حَسبُه لُقيماتٌ تُقِمنَ صُلبَهُ، يأكل الطعام، ليَقوى على الإجتهاد في الطاعة فيجاهد

---

(١) الأصح قِبابه جمع قُبه.

(٢) في الأصل فيغلوا.

(٣) الممدوق: ((مَدَقَ الصَخرَةَ كَسَرها)) القاموس المحيط ٣/ ٢٩١ مادة مَدَقَ.

(٤) المعروق: ((العَرقُ بالفتح مصدر قولك عَرَقتُ العَظمَ أعرقُهُ بالضم عَرقاً ومَعرَقاً، إذا أكلت ما عليه من اللحم والعَرقُ أيضاً العَظمُ الذي أُخِذَ عنه اللحم والجَمعُ عُراقٌ بالضم ورَجلٌ مَعروقٌ العظامِ ومُعتَرِقٌ أي قليل اللحم)) الصحاح ٢/ ١٠٦ مادة عرق.

نفسَه لنفسِه ويَقبل النِيام ليرقي على السُّهاد في البضاعة فيشاهد خَمسَهُ لخَمسِهِ يحمل عملَهُ بخلاف نفسِه فيجعل يومه خيراً من أَمسِهِ، ليس وَجدُه خيراً من نَومِهِ، فَغَدُه خَيرٌ من يَومِهِ، يَنظُر بعد مقامه، الى طعامه من أَينَ حَصَل ومن أَين انفصل، وكيف إليه وصل وكيفَ به اتصل، ومَنْ حصده وزرعه ومَنْ داسه ورفعه، ومَنْ رَمَّه وجمعه، ومَنْ ضَمَّه ودَفَعه، وكيف ارتفق رفاعه وريعه، وأَين أَنفَقَ ابتياعه وبيعه، ومَنْ وزّانه وكيَاله ومَنْ طحّانه وحمّاله ومَنْ اعتبره فَأَحرَزَه، ومَنْ خَمَّره فَخبَزَه، وفي أَيّ رحىً كان طَحنُه، ومن أَي ماءٍ كان عَجنُه وكيف حَطبُهُ وغَيرَهُ، ومن أَين خَيرُه، وضَيرُه، فَلا يزال على هذا المنوال من التَفحُّصِ والسؤال، عن حقيقةِ الحال، حتى يَترَوّق في تخليص إبريز ذاتِهِ، على نار السَبك تَروَّقاً لائقاً، ويَتنَوَّق[1] في تكميل عيار صفاته على ظهر المَحَكّ، تَنوّقاً فائِقاً، بحيث لا يبقى لشوكة الشكّ صَكَّةُ شكٍّ، ولا لِصَكّةِ الفَكَّ شَوكة صكٍ، فإنَّ أَتقياءَ المَقام، من حقائق المَهام في دقائق الاهتمام، يَحفَلون كما يَحفلُ النِعامُ، ولا يَأكلون كما تأكل الأَنعامُ، ولا يعملون للأَنعام كما تَعمل العَوام، يحزنون فيحزنون ويخزنون فيرزنون، يردّون مشيئة الخمس عن وفود الإنبساطِ بعصام الإنخراط في الإرتباط، ويذودون مَطيَّةَ النَفس عن ورود النشاطِ بكعام[2] الإنسِراط في الإحتياطِ، وَيضمِرونَها لتَمُرَّ على الصراطِ بتمام الإنبساطِ في النشاط لعِلمهم أَنَّهم لا يَدخلونَ الجَنَّةَ حتى يَلجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخياط، فحافِظوا على التقوى المُقوَّمة باليقين، فإنّما يَتقبَّلُ اللهُ من المُتَّقين، لو بَذلتُم كُلَّ أَموالٍ لكم، لن تُصيبُوا الخيرَ حَتّى تَتَقّوا، أو تَناهَيتُم الى أَقصى التُقى لن تَنالوا البِرّ حتى تُنفِقُوا...

---

(١) يَتنَّوق: ((تَنوَّقَ في الأمر أي تأنّقَ فيه وَبعيرٌ مُنوَّقٌ أي مُذلَّلٌ مُروَّضٌ)) الصحاح ٢/ ٦٢١ مادة: نوق، وفي أساس البلاغة ٢/ ٤٨٢ مادة: نوق ((تَنوَّقَ في الأمرِ وفلانٌ له نِيقه وصناعة أَنيقة)).

(٢) ((الكِعامُ شيءٌ يجعل في فم البعير يُقال كعمتُ البعيرَ إذا شددتُ به فمه في هياجه فهو مكعوم وكعمتُ الوعاء إذا شَددتُ رأسَهُ)) الصحاح: ٢/ ٣٩٧، مادة كعم.

الجوهر الثالثُ والسُتُّونَ

تَباً لَهُم كُلُّ فَفي يَمِّ المعاصي مُنغَمِر، حتّى أتاهُم بأسُنا في يَومِ نَحسٍ مُستَمِر، فَهدَّهُم كأنَّهُم أَعجازُ نَخلٍ مُنقَعِر، وَيلٌ لهم فإنَّهُم لفي ضَلالٍ وَسُعُر، قُلنا وَهُم يَصلَونَهَا ذوقوا عَذابي ونُذُر، لبُكمُ في الرخاوة كالخيارةِ، بل كالعصيدة، وقَلبكُم في القَساوة كالحِجارة بل كالحديدة، وخُرمُكم في براري الغفلة هايم، وفي صحارى التيهة سايم، كأنّه إحدى البهايم، وعَزمُكم عن الاعتبار محطوطٌ، وعن الاختيار مشطوطٌ كأنَّه حمارٌ مربوطٌ وأَنتُم فيما يعنيكم أَشقياء، وفيما لا يعنيكم أَغنياء، كأنّكُم عَمَّا عند ربِّكم أَغنياء، في طبعكم لجاجة وأَيّ لجاجة، كأنّه لم يكن لكم الى ربَّكم حاجة وأَيُّ حاجة فلا يُعتنى[1] بأَحوالكم ولا يُعبأ بأَمثالِكم، فالعَجَب من هذه القامات الطويلة، والمقامات الجليلة والهامات العظيمة[2] والعلامات الوسيمةِ، والأَلقاب العريضة والرِقاب الغليظة والابتسامات البَهيَّة، والارتكابات الشَهَّيةِ، زُنوجٌ وطِغَتْ بكمال البياض وعُلوجٌ عُرِفَتْ بجمال الرياض، ما للجاهلِ دُعيَ بالفاضلِ ما استحيى من ذلك، وَلِمَ أكتُنِيَ ملكُ المَوتِ بأبي يحيى لا بأبي هالك، وكيف دُعِيَ العاذل لا بالجاهل، وَلِمَ اكتنى الجاهلُ بأبي العاقل لا بأبي ذاهل. وكيف دُعِيَ الحريص بالرافع لا بالجامع، وَلِمَ اكتنى الأَشعبُ بأَبي نافع لا بأبي طامع، وكيف سُميَّت المُهلِكةُ مفازةً، وَلِمَ لم تُسمَّ جنازةً، وكيف سُمِّيَ الأعمى بصيراً وَلِمَ لَم يُسمَّ حَسِيراً، وكيف لُقِّبَ الجائرُ بظل الله، وَلِمَ لَمْ يُلَقَّبُ بِذُل الله. يُلقَّبونَ بالصدور[3] وما أَفسقهُم فِعالًا، وبالبدور[4] وما أَغسقَهم جمالا، وبالرشداءِ[5]

---

(١) في الأصل يعتناء.

(٢) في الأصل العظمة.

(٣) يقصد الذين يُطلق عليهم لقب صدر الدين أو صدر الإسلام.

(٤) يقصد الذين يُطلق عليهم لقب بدر الدين.

(٥) يقصد الذين يُطلق عليهم الرشيد أو رشيد الدين.

وما أَخرقهم أثقالاً، وبالسُّدداءِ[1] وما أَحمقهُم قِلقالًا، وبالُأمناءِ[2] وما أَسرقهُم أَموالاً، وبالقُمناءِ[3] وما أَمزقهم غربالًا، وبالشجعانِ وما أَفرقهُم نِزالًا، وبالفُرسانِ وما أَقلقهم زلزالاً، وبالسُّعداء وما أَنحسهُم أَحوالاً، وبالجُهداءِ وما أَنجسهُم أقوالاً، وبالحُلماءِ وما أَشأمهم جِدالاً، وبالكرماء وما أَلأَمهم نَوالاً، وبالمصابيح وما أظلمهم ضلالاً، وبالمفاتيح وما أَهشمهم أَقفالاً، وبالقوارم وما أَذلّهم صُوّالاً، وبالصوارم وما أَكلَّهم عُمّالاً، خسايس اللوماءِ، ومكانِسُ الكرماءِ، اشتهروا بأحاسن الأسماءِ، وابتهروا بمحاسن ألقابٍ لم تَنزَل من السماء، وعرفوا بالكُنى العالية فما الفائدةُ، وشَرّفوا بالحُليِّ الغالية فما العائِدةُ، أَشباحٌ[4] خاليةٌ من أرواحٍ، كأَنَّهم صُورٌ كاينة على أَلواحٍ، وأَبدانٌ بلا أَذهانٍ كنقوشِ حيطان، وأَعلامٌ بلا أَحلامٍ، كتماثيل حَمّامٍ، وأَسماءٌ بلا أَجسام كالحارث بن همّام، بل بلا معنىً حقيق ولا معقولٍ كالصديق والغُولِ ما أَراكُم تَعشِقُون، ما أَراكم تَمشقُونَ، كَلمُوني عَلِّلُوني، ما لكُم لا تَنطِقُون، يَمرحون بمطارف الدعة، ويسرحون في زخارف السَّعةَ تَعوَّدوا تَرفيه الأَجسام، وتَسفيه الأحلام، وارتكاب المحارم، واجتناب المكارم، وجَوَّدوا تسديد القوالب، وتحديد المخَالِب لِتناوِش المطالب، ونهاوِش المغالِب، تركوا ما يدريهم لِما يُردِيهم، وما يَعنيهم لما يُعيِّيهم، وما يرفعهم لما يدفعهم، إنْ هبُّوا بَشَرٌّ وثبوا كالأُسُدِ تفوتُها الفرائس القويّة فيرتكبوه، وإنّ هَمَّوا بخيرٍ ماسُوا كما تَميس العرايس البَهيَّة ولا يرقبوه، فهؤلاء عريس شياطين الفسوق، وفرايس سراحين الغسوق، يأكلون النَفَائِس ويَعمَلونَ النَعايِسَ، يَلبسون الفاخرةَ ويَنسونَ الآخرةَ يرّكبون الجِياد المهاليج وَيَتَجَبّرونَ، ويتركونَ المُشاةَ المفَاليجَ يَتضَرّرون، لا تأخذُهُم بِحُفاةِ المُشاةِ رَأفةٌ، ولا تَعرضُهم على منافاةِ الموافاةِ آفةٌ، بل قائمونَ بِغرورِهم دائمون على سرورهم، فَيا مَنْ جَمَّلهُ اللهُ بجمالِهِ، وَجَلَّله بجلاله، قُم الى هذا المُتكبِّر بمالِهِ، والمُتجبِّر بحاله، والمُتبَختِر بمحالِهِ، والمتعثر بمَجالِهِ، وقُلْ له يا مَنْ أضَلَّه الرجيم

(١) يُقصد الذين يُطلق عليهم سديد الـ....
(٢) يُقصد الذين يُطلق عليهم أمين الدين أو...
(٣) يقصد الذين يُطلق عليهم قمين الإسلام والقمين الحافظ هنا.
(٤) في الأصل أشياح.

فخذلهُ الرحيم، إذا نُشِرَت الرميم، وبُرِّزت الجحيم، ونَأى عَنك الحَميم[1]، ودَنَى مِنك الحَميمُ[2]، ذُق إنَكَّ أَنتَ العَزيزُ الكريم، فإنَّكَ قَوامُ قَوم، كذَّبوا بآياتنا كِذَّاباً، فَذوقوا فَلَنْ نَزيدَكم إلّا عَذاباً، قُلنا وَهُم يَصلونَها، إذ كَذَّبُوا أَنباءَنا، ماجاءَكُم من مُنذرٍ قَالُوا بلى قَد جاءَنا.

(١) الحَميم: الله سبحانه وتعالى.
(٢) الحميم: أي العذاب.

الجوهر الرابعُ والسِتُونَ

المَرءُ من حَيثُ هذا اللسان، شَقيٌّ بَذيٌّ سَعيدٌ مَجيد، إذ لا يَمرُّ على لَفظةٍ إلّا لَديه رقيبٌ عَتيد، رُبَّ كلمةٍ وسَّعَتْ ذَنوبَ ذُنوبِك ونَوعَّتْ ذُنوبَ ذَنوبك، وَرُبَّ كلمةٍ حملت أخاكَ على طرحك بل جرحك، وأَباك على جرحك بل ذبحك، وَرُبَّ كَلمٍ يصير كلماً، فيوجب المَلكَ، ورُبَّ لَثمٍ يُثيرُ ثَلماً فَيعقِبُ ندمك، وَحَدُّ سنانِ اللِّسانَ أَحَدُّ من حَدِّ لسان السنان، وثَلمةُ خدشِ اللسان لا تَسَدُّ بمحاولةِ سادٍّ، وصدمة كلامهِ كالنَبلْ إذا طارت لا تَرتَدُّ بمزاولةِ رادٍّ، وحَصائِد الأَلسِنةِ قد تزرع العداوة، وترفع الحلاوة وتمنع العلاوة، وأَضرُّ المُضرّات بالإنسان أَمرُ طيَّارات اللسان، فلا تَرمِ كُلَّ حُسبانةٍ من حَنيَّةِ النيَّة وإنْ كان حَقّاً، ولا تهم كُلَّ صبابةٍ من طويةِ الطويَّة وإنْ كانَ صدقاً، ما كُلَّ حَقٍ يَنبغي ذِكرهُ، فأَنتَمُ في الأمرِ فارهونا، ألآ ترى أَنَّ الورى غالباً أكثرهُم للحَقِّ كارهُونَا، فَيَحلُّ نَدمُكَ حَيثُ لا تَثبُتُ القَدَم، فتسقط غائباً، وتخبط خائباً، فَتحفَّظ على ما دارَ في خُلدِك فَتجلَّ به، ولا تُحرّك بِهِ لسانَك لتَعجَل به، فَصبراً عن أمر اللِّسانِ صَبراً، فإنَّه أَمرٌ لَم نُحِط به خُبراً، وقُلْ لهؤلاءِ المُتَقلقِلينَ بغلاغِل الغُلغلَةِ مُتغلغلينَ، أَيُّ شيءٍ ذَا التَقلقُل، لَيس ذا مِنكم جَديراً، فاتركوا ما ليسَ يَعني واذكروا اللهَ كثيراً.

الجَوهر الخامِسُ والسّتُّونَ

أَخذتُم شَيئاً، أَهلاً لأن يُنبَذَ، واهاً لكم واهاً، فاليومَ لا يُؤخَذ أَيُّها العَبدُ العتيد، ما هذا البُعد البعيد، وأَيُّها الهمل المغرور أَينَ العَمل المبرور وأَينَ صرعت الطّاعةَ، وأين أَضعتَ البضاعة وأَينَ دفعت الاستطاعة وأَينَ الامتثال بأحاسِن الأوامر، والإتصال ببواطن الظواهر فأَنت مريضٌ يُخشى فراقُه، وحريض لا يُرجى إفراقه، قد أَلجَّ بِكَ الفالج فداوِه وعالج، ولا تَبنِ أَمَرهُ على رملٍ عالج، فارتعش من ضجعتك وانتعش من صرعتك. لقد تَشوَّك لُبُّك كالطالح العريق وتَهتَّك قَلبكَ كالغُصن الوَريق، وتَلوَّك جَليلُك بالنَعيق وتهوّك دَليلُك عن الطريق، وترجو الخلاص من الحريق هيهات هيهات، لِما فات، أَينَ الخلاص لغريق المناهي وحريق الملاهي، تَتَهتَّك فَتدفَعُ غاياتِ العنايات عن الظماء، وتَتَنَسَّك فَتَرَفَعُ راياتُ المُراآت الى السَماء، تُصلِّي لأجلِ الجِيران، لا لوَجَل النيران وتَصومَ لدفَعِ المقال لا لرفع الأَثقالِ، وتقول ليُقال، لا لتُقال فما من ذَميمةٍ إلّا ركبتَ عليها فطردتها، ولا كريمة إلّا وثبتَ عليها فطردتها، وما من فَسقَةٍ إلّا وأَنتَ قائدها، ولا غَسَقَةٍ إلّا وأَنتَ رائدها، ولا مَرقةٍ إلّا وأَنتَ رئيسُها ولا طَرقةٍ إلّا وأَنتَ إبليسُها فَمثلُكَ لا تقبِّلهُ الأترابُ ولا تشمّه، ولا يَقبُله التُرابُ ولا يَضمُّه، ولا يَرضيه شيءٌ من هَلكةِ الهلوكِ، فهل يرضيه مَلِكٌ الملوك وكيف يُرتضى من أنّ عَضَّه الكلبُ كَلِبَ وأَكلب بشامتِه، أو كَضَّه الذئبُ جرب وأَجرب بلأمته فأنى لك مزابل النواويس فكيف محافل الفراديس، فَبِمَ ترجو النجاة، يا عَديمَ المُناجاتِ اتَرجوها بذنُوبٍ وسَّعتَها وعُيوبٍ نَوَّعتَها ومآثِم ابتدعتها ومَظالِم اخترعتها، اتَرجوها بأوزارٍ أَنقَضَت ظَهرَك وأَظلَمت ظُهرك، كلا يا حليفَ الجحيم كلا، أَيطمَعُ كُلُّ أمرئٍ أَن يَدخُلَ جَنَّةَ النَّعيم كلا، وكُلٌّ يَدَّعونَ وصَال ليلى وليلى لا تَقرُّ لَهُم بذاكا، إِنَّما يَطمَعُ فيها مَنْ دَأَبَ بالطَّاعةِ على آدابِ السُنَّةِ، فَقُل لا يَستوي أَصحابُ النارِ وأصحابُ

الجَنَّةِ، وكُن من أَلباب الأبرارِ ولا تكُن من أصحابِ النارِ فالقَومُ فريقان يَحقهما حقيقانِ. فَقُلْ للفريق الدَنّي ذي الطريق الغَني، أَنتُم فَريقٌ ضَريرٌ، والغَيرُ بَرٌّ بَصيرٌ، بالله جُولوا فقولوا أيُّ الفريقينِ خيرٌ.

الجَوهرُ السادِسُ والسِتُّونَ

قَد جالَفَ[1] في الشكوى، مَنْ خَالَفَ عن أَمري، كم يشكو ولم يَتلُ مَنْ أَعرَضَ عن ذِكري، فيا أَيُّها النَّاجي لا تَغفَل عن ذكر الله، وأَيُّها الرّاجي لا تّذهَل عن شكر الله، فإنّ ذكره أَشرفُ الأذكار، فأذكِرهُ بالعَشِيّ والأَبكار فإذا ذكرته ذَكرك وإذا شكرته شكرك فإنَه يَذكِرُ مَنْ يذكره ويُريده. ويَشكر مَنْ يشكره ويَزيدُه فاذكر ولا تنفر فعقابٌ مديد، واشكر ولا تَكفُر فعذابٌ شَديدٌ فاذكره فإنَّ ذكرَهُ مَنجَحَةُ الأفراح المَهديّة ونَوحُها، ومقدحةُ الأرواح الصَديَّة ورُوحُها، كالصَبا مروحةُ الأقاحي ورَوحُها وأَحسِن اخلاصَ الذكر وأهجر الحَرفَ وَسِر، وأتقن تخليصَ السَّكر وأَكسر الظرفَ وَطِر، واترُكَ الجوارَ للعَجُولِ، وأَفرِك الخوار للعُجُول، فإنَّ الذكر أرفع من حركات الشِفاه، والسّجود أَمنَع من نقرات الجِباهُ، فيا مَنْ جَعَلَ يومه خَيراً من أَمسهِ وأَكمل خُمسِه قبل خَمسِه، وَذَكَرَ اللهَ في نفسه فذكره في نفسه، قد فُزتَ بخطاير قُدسِه، فَدُم في نعمتهِ، وعم في رَحمَتِهِ، وقُلْ لمَنْ يُرضي اللهَ بإحسانِه تبرعاً، ويذكرهُ بِلسانهِ تَورُّعاً، اذكُر رَبَّك في نَفسِك تَضرُّعاً، فهذا دِينٌ من يَدنو بِحُبِّه، ويَرجُو لِقاءَ رَبهِ، وَعافَ الهوى بِلبه، وَخافَ مَقَامَ رَبِّه وقُلْ لمَنْ يجيءُ بذكره جَليّاً ويُغني بشكُرِهِ عَلياً، خَلُّوا الجَليَّ مِنهُ، إنَّ الخَفيَّ أَظهَر، فآتوا به خَفياً، خيرٌ لكم وأَطهَر.

---

(1) جالَفَ: ((المُجَلَّف الرجل الذي جَلفَّته السنون أي ذَهَبتْ بأموالهِ)) الصحاح ١/ ٢٠٠ مادة جلف.

الجَوهرُ السابعُ والستُّونَ

مُفرِّطٌ ومُفرِط، فَما لَه من جَورٍ، فَمَنْ نُفاهُ رَبَّهُ، فَما لَه من نورٍ، فيا جَفيَّ العَمَلِ ويا حَفيَّ التشبيه بالجَمَل في قصر الأَجَلِ وطَولِ الأَملِ، عُنُقٌ طويلٌ وَذَنَبٌ قصيرٌ وجَسدٌ جليل وأُذنٌ صَغيرٌ، ويا مطرورَ الحال ونحيفَهُ، ويا مغرورَ المُحال وحَليفُه دَعْ جمالَ الآمال المَيَّالة فَيميلُ بِك مَيلُها، وَوَدِّع جَمالَ الأَموال السَيَّالةِ فَيسيلُ بِكَ سَيلُها، ولا تَربِط خيولَ الخيال في طويلة الضَّلال فَتُؤخَذُ عَنها مربوطةً، ولا تَنَشط بحمولة المحال في قليلة المجال فَتُنبَذ عنها مضبوطةً، واعتَبِر بالدَنيَّة وتُقلِّبها، والبليَّة وتَغلبها، وَبِرَدِّها لُخطَّابِها، وصَدِّها عن طُلَّابِها وبفعلها بفحولتها وقَتلِها لبعولتها والنَظَرْ الى الموتِ وأَمرِهِ، وشِدّة قَهرِه، وعدم تكلُّفِه في بَليَّتِهِ وتخلُّفِه في كُليَّتِهِ والى مَنْ آسره من أَعوانك وسَبا، والى أخوانك كيف تَفرَّقوا أَياديَ سَبا، والى أصدقائك كيف أقاموا وما داموا، والى أَحقائك كَيفَ ناموا وما قاموا، والى أَجلّايك كيفَ كانوا فبانوا، والى أَخلَّايك كيفَ بانوا كأَنَّهم ما كانوا، والى أَسلافِك كيفَ ذهبوا وبادوا، والى أُلّافِكَ كيفَ ركبوا وما عادوا، وافتكر بفناء آبائك وجُدُودِك، فَسَيَحطُّ الحمامُ بأَفنائك وَحُدُودِكَ، وبعناء فِتيانِك وفَتَياتِكَ، فَستأَتيك المَنيّة وإنْ لم تأتِكَ تباً لأَعبائِك، ففناء[1] بناءُ آبائك لم يُنبِئكَ بأَنبائِك، وفناء بناءِ أبنائك لم يُفتِكَ بفنائِك وَجَهتَ أَسباطَكَ وتَناسَيتَ، وجَعلتهُم أفراقَك وتقاصيت دَفنت تَوأَمِك ورجَعَتْ الى شقاق النسيان، فما آلامك في قَساوة جنانِ العِصيان، قَدَّمتَ أَعمامك أَمامك وكذا أَخوالك، ولم تَتَأَمل أَحوالك، نَفضتَ يَدَ السَلّوة الطامة عن تراب العامّة والسَامَّة، ونَهَضتَ الى المحافِلِ الأَنيسة فَتَتمايَس في السرور وَتركْتَهُم الأَكَلةَ التَامةَ، لشباب الهامّة والسامّة وَذَهَبتَ الى المآكل النفيسة فتتنافس في الغرور، ثم أَنْ أَقمتَ عَزاءَ الأَجِلَّةِ والأَعزَّة، فَبتغييرٍ

(١) في الاصل فبناء فناء آبائك.

الحِلَّة والبِزَّة لا تَأسُّفٌ ولا حَنينٌ، ولا تَلهُّفٌ ولا أَنينٌ ولا زَفيرٌ ولا عَويلٌ، ولا كثيرٌ ولا قليلٌ فما أَسفلك لاهياً، وما أَغفَلَكَ واهياً، وما أَقساكَ سالياً، وما أَنساك خالياً، تَنبُذُ شقيقك في العَراءِ وحيداً وصَديقَك في الصحراء فريداً، وتَعودُ مُنبسِطَ الحالِ، مُرتَبطَ البال بالمُحال سالباً عنه خالياً منه، كأَن لم يكن بينك وبينه صداقةُ علاقةٍ وما كان بينكما علاقةُ صداقةٍ، فيا مَنْ جَلَّ أَملهُم واختَلَّ عملهم، ما هذا التَفريط في الخَير والإفراط في الضَّير، إذ طالَ عليكم الأَمَدُ الزَّمانيُّ، فَتَربصتُم وارتبتُم وغَرتكَمُ الأَماني، فَلا يُسرنَّكم بالله الشُّرور، وَلَا يَغرنَّكُم بالله الغَرور، وَلا تَثبوا على النَاخِرة كالفاخِرةَ ولا تَستَجِبوا الدُنيا على الآخرة، فأخلصوا من آمالكم، وأخلِصوا في أعمالِكم، لا تُلهِكُم أَموالكُم، ما عِندَكُم يَنفذ وَما، خَلُّوا غُروراً غَرَّكم، يا أَيُّها الإنسانُ ما، لا تُلهِكُم آمالكُم، لا تُلقِيَنَكُم في العما، إنْ تَكفرُوا أَنتُم وَمَنْ، يا أَيُّها الإنسانُ ما.

الجَوهرُ الثامنُ والستُّونُ

دِرهَـمُ الهَمِ فادفَعُوا، مَرهَم الهمِ فأجمعوا، وأَعدِلوا عن هَواكُم، واتَّقوا اللهَ واسمَعوا، فيا عَبدَ الدِّرهِم، متى تكونَ عَتيقَهُ، ويا صَيدَ الأَدهَم متى تكونَ طَليقَهُ فاعتق نفسك بِشَمسِكَ قبل خَمسِكَ، وأطلق شَمسَك بنفسِكَ قبل رَمسِكَ، وكُن من أَكارم الأَمجاد، ولا تَسجِد لدَراهمَ الأَسجاد، ولا يَغُرَّنَّكَ غُرورَ عَبَدَةِ الدِّينارِ، وعَقَدَةِ الزُّنّارِ، وتَقلبُّهم في الأغوار الواهية وتَغلُّبهم في الأطوار الهاوية، فإنَّهم ثعابين الضَّلال وأَساطينُه، ورهابين الأضلال وشياطِينُه، فلا تذهب مَذهَب الذَهَب، وقُلْ تَبَّتْ يدا أَبي لَهبْ، فإنَّ الذهبَ أَصلُ الغُمَّة، وعِجل هذه الأُمَّةِ، فأحذر بلاياه وإيّاك وإيَّاهُ، بل فَرِّقه ثم حَرِّفه، ثم انسفه في اليَمِّ وفارقه، تَحِزُّ السلامة وتَجرُ الندامة، ولا تَحسَبَنَّ أَنَّ قصّة السامريّ سَمَرٌ مسلوبة الفوائد كلّا أَنّها شَجرٌ لها ثَمرٌ مطلوبة العوائد فإنّ السّامري مَنْ شَمَّر ذَيلهُ للجاه الزائل، وضمَّر خَيلَهُ للعلاءِ الحايل وخَدَعَ جمعاً من الجهول، المُنفصلة الوصُولِ، بقَبضةٍ من أَثر الرَّسولِ، فاشتمل بهذه النائرة ناراً، وحَمَلَ من زينَةِ القَومِ أوزاراً، ولَمَّ زبرجاً مستعاراً، وضَمَّ شناراً وعاراً، فَلفَّقَ لبداً ملبوداً لَهُ عُوارٌ، فصاغها عِجلاً مَعبُوداً لَهُ خُوارٌ، لا يرى عُواره الرَديّ إلّا عَينٌ ناظرة راعية فتخرف ولا يَسمعُ خواره الرَّدِيُّ إلّا أُذنٌ حاضرةٌ واعيةٌ فتنصرفُ، فلا تُلهِبُ التنانيرَ، ولا تَنهِبُ الدنانيرَ ولا تُقرِّب الزنابيرَ ولا تَطلبَ الزنانيرَ، ولا تنحرف عن الذريعة القَويَّة والشَريعة السويَّة، انحرافَ الفرقة المُوسويَّة[1]، فتبقى في الضلال، وتَشقى بالوَبال، ولا تَمدَّ يَدَ السّوال، الى مَنْ يشحُّ بالنوال، ولا يَدَ الالتماس الى مَنْ يَترَشَّح بالأبساس[2] وإذا لقيتَ هذا النَسناسَ، بَعدَ معرفتك هذا الأَساس فَعَليك أَن تقولَ لا

---

(١) الفِرقة الموسوية: ((أتباع النبي موسى عليه السلام)).

(٢) البَسبَسُ: ((القَفرُ والتُرهاتُ والبسابِسُ وهي الباطل وربّما قالوا تُرُّهانت البسابس)) الصحاح ١/ ٩١ مادة بسَّ، و((البسيسة: فُتاتُ الدقيق والسّويق ومن المجاز بَسَّ عليه عقاربه اذا أَرسَلَ عليه نَمائمه)) أساس البلاغة ١/ ٤٦ مادة بَسَّ.

مِساسَ، وأَقبِح بِقَومٍ قَبَّحوا برقصِهم وطَفرِهم بطنينِ رَقصِ الذهب على ظفرِهم، وأشربوا في قُلوبِهم حُبَّ العِجْلِ بكفرِهم، إنّ قَوماً للدنانيرِ على كُلِّ زُنّارٍ ونَارٍ طفروا، لا تَظُنَّ اللهَ يَهدي مِثلَهم، كَيفَ يَهدي اللهُ قوماً كفروا، وقُلْ لجمعٍ يَحلبونَ الى قُلوبِهم كُلَّ آنٍ غَمَّاً، ويَحبُّونَ المالَ حُبّاً جَمّاً توبوا الى رَبِّ الوَرى، يُصلِحُ لكم أَعمالكُم، يا أَيُّها النَاسُ اتقوا، لا تُلهِكم أموالكُم..

الجَوهرُ التاسِعُ والسِتُّونَ

خَلُّوا الهوى وشُقُّوا، على الهدى المرائر، لا تُهمِلُوا فَهبُّوا، قد جاءكُم بصائرِ، فيا مَنْ يَتمنَّى العَلِيَّة، ولا يَتعنّى البليَّة، ويُحبَّ الشَرفَ، ولا يُحبُّ التَرفَ، ويرومُ الصُعود، ولا يلومُ القعود، ويطلبُ النجاة، ولا يَقربُ المناجاة، ويريدُ الجَنَّة، ولا يُجيد الجُنَّة، ويَخافُ النارَ ولا يَعافُ الدينار، لا وصُولَ الى معانقة العُلاءِ إلّا بملاصقة البلاء، ومخالَقةِ الفلاءِ، ولا الى قُربِ مقامات السَّناءِ، إلّا بكربِ مقاسات العَناءِ، وشرب كاسات الغناءِ، ومن خَطَبَ الغوالي بَذَلَ المَهرَ وحاصَ ومَنْ طَلَبَ اللؤالي[1] دَخَلَ البحر وغاصَ، ومَنْ طَلَبَ الدُرَّ واستغلاه، شرب الأُجاج المُرَّ واستحلاه، ومَنْ أَرادَ المَجدَ وأَعجبه أَجاد الوَجدَ واستعذبه ومَنْ طَلَبَ المناصب، سكبَ المكاسب، وركَبَ السَباشِب، ومَنْ أَحبَّ الشيءَ الغالي والفيءَ الفالي والأَمرَ الخطير والقَدَرَ الكبير وكره الشيءَ الدّاني والفَيءَ الفاني والأمرَ الحَقير، والقدرَ النَقير، قَمَعَ المنافي وقطع الغيافي، ورافقَ المتاعب ووافق المصاعب وتركَ الأصحاب والأعوان وفرك الأَحباب والأخوان وفَارقَ الأتراب والجيران وعانقَ الأقتاب[2] والكيران[3]، وَودّعَ الضَجيعَ والسَميرَ، والتضجيعَ والتَقصِّير والجليلَ والحقيرَ والقليلَ والكثيرَ والنَقيرَ والقَطيرَ، أَتَظنُّ يا غُرّةَ السَرِف أَنَّ دُرَّةَ الشَرَف تُدرِكُ في غُرفةِ التَّرفِ أو في منافسة المغاني أو في مجالسة الغوافي؟ أو أنّه أَصرٌ يخطف: بالتواني؟ أم بَحرٌ يُغرَفُ بالأواني؟ أم قَفرٌ يُنسَفُ بالسواني؟ أو أنّه معنىً في عبارة فَيُتقَن أو مبنىً[4] في عمارة

---

(١) اللؤالي: أي اللؤلؤ والأدق اللآلي.

(٢) الأقتاب: ((القَتَبُ واحد الأقتاب وهي الأكُفُ التي تُوضَع على نقّالة الأحمال وهو الحمل ورجلٌ مُقتَّب الكاهل)) أساس البلاغة ٢/ ٢٢٧ مادة قتب.

(٣) الكيران: ((الكِران: العُود ويُقال الصَنجُ)) الصحاح ٢/ ٣٨٧ مادة كرن و((الكِران أي المغنية العُود)) أساس البلاغة ٢/ ٣٠٥ مادة كرن.

(٤) في الأصل معنى.

فيُسكَن؟ أو تُحفةٌ تُجلَبُ فَتُطلَب؟ أو تَحبةٌ تُطلَبُ فَتُجلَبُ؟ كلَّا فبالحركة تحلَّى وبالبركة تَجلّى هيهات لا يستوي النائمُ على فراشهِ في الدار والهايمُ على رأسه في القفار، ولا القاعدُ مع الأمن والأهلِ والجاهد في الحَزنِ والسَهلِ ولا الذَينَ يَزعُمونَ والذَّينَ يَرغُمونَ هَلْ يستوي الذينَ يعلمونَ والذَينَ لا يَعلمونَ، ألا إنّ رفعةَ الرَّجُلِ في أطيطِ الرِّجلِ، لا في غطيط النائم، ومطيط السائم، وصلوة القاعِد وإن كان قائِماً، نِصفُ صلاة القائم وإنْ كان حايماً[1]، فإن الَأمرَ مُقدَّرٌ بالشُقَّةِ والَأجرُ على قدر المَشَقَّةِ، أَفمَن تَحلَّى بالقصور، وتخلَّى في القصور وهاجَعَ البُدور، وضاجَعَ الحور وَجَوَّدَ هوَّة المباءَةِ وتَعوّدَ شهوةَ الباءَة، ولم يَتحرَّك عن الحِسانِ والكِنّ، ولم يَعرف غيرَ تحريكَ اللسانِ والسِّنّ وعلى نحو هذا دارتْ رحاه في الأمور، وهَبَّتْ هواهُ في الدهور، كمَنْ تَحلّى بالحَزمِ وتَجلّى بالجزم، وتكمَّل بتشمير الذيل، وتضمير الخيل، وتَجَمَّلَ بجمال المزوّة وكمال الفتوة وطَبَّرَ الغَّمة وكبِّر الهمّة فَفَرٌّ لا يفرع إلّا الجبال الرواسخ وقرّ لا يَذرعُ إلّا الأَميالَ والفراسخَ، يطوي فيافي البلاءِ ويحوي عوافي العُلاءِ يرعى حَشيشَ الغلاة، ولا يرعى نشيش المِقلاة، يَتحَلّى بحلاوة النبات، ولا يَتَملَّى بعلاوةِ النبات يَغرفُ جُرعَةَ الثمد فيشربُها، ولا يعرف قعقعةَ الجَمَدِ فيقربها، يَحومُ عايماً، ويعوم حايماً، يَستَقبِلُ بالاتراك بالتريكة ويَستظِلُّ بالآراك لا بالأريكة، يُبلبِلُ بالَهُ الى الوصول ويُحلِلُ حاله الى الحُصول، بل لا يَعرف لنفسهِ بالاً، ولا لشَمسهِ حالاً، فاسَمح بنفسِكَ إنْ أَرَدتَ وِصالاً، إلّا إنَّ مَنْ اتبط بالنقيض فقد سَقَطَ في الحضيض، ومَنْ ينوب المجامع فهو في العِباد غيرُ مَكينٍ، ومَنْ يجوب البلاقِع فهو غيرَ فطين، أَو مَنْ يَنشأ في الحِليةِ وَهوَ في الخِصامِ غيرَ مُبينٍ، كَلَّا لا يستوي الأَقواتُ والأَصواتُ ولا الأَحياءُ والأمواتُ قيلَ عَمروٌ ومالِكٌ، أَظهَر الفَخرَ مُعلِنا، قُلتُ فاقرأ عليهما، أَفمَنْ كان مؤمِناً...

---

(1) حايماً ((حوم: حام الطائر وغيره حولَ الشيء يَحوم حوماً أي دار والحَومُ القطيعُ الضَخمُ من الإبل)) الصحاح ١/ ٣٢١ مادة حوم.

ذَهَبَ العُمُرُ غفلةً فتلاشى بينَ مُستَقبَلٍ وحالٍ وماضٍ، ثُمّ جِيناكَ مَع رَجاء وخوفٍ، فَلَكَ الأَمرُ فاقضِ ما أَنتَ قاضٍ، العُمر عمارةُ الرُّوح وعِبارةُ الرَّوح جوهرةٌ كريمةٌ عاليةٌ، ودُرّة يتيمة غالية، بل أَيُّ جوهرة تعادله، وأَيُّ درة تبادله، فلا بُدَّ من معرفة قدره ودراية خَيره وشَرّه، فإنَّه مَهبَطُ الخيرِ ومَقرُّهُ، ومَحطُّ الشرِّ ومدرَّهُ، فلا يقوم مقامَه قائمٌ، ولا يروم مرامَه رايمٌ، والعُمرُ قَصيرُ الأَجَلِ فَتعنَّى ولا تَتَمنَّى، خطيرُ العَجلِ فتدنّى ولا تتأنّى، والعمرُ وإنْ طال فما الطائل تحت طولِه، وإنْ نالَ فَما الحائلُ عن حولِهِ، شيءٌ مبنيٌّ لم يَزَل في الإنهدام، وَفيءٌ مرمّى لا يزال في الإنعدام، أَكَلةُ الآناتِ والأيام والشهور، ولُقمَةُ الساعات والأعوام والدهور، سَفينةٌ تَسري وأَنتَ قاعدٌ فاسْرِ بمسراها ولا تَقعُدْ، وتجري وأَنتَ راقد فاجرِ بمجراها ولا ترقِد، وتَجوَّد للموت فلكُلِّ طالعٍ أُفولٌ فَترصَّد، وتَزوَّد للفوتِ فلكُلِّ غائبٍ قُفُولٌ فَتَفَقَّد واحقِر بأمرِ هذه المستلذات وأَكثِر من ذِكرِ هادم اللَّذات، واتَّخذ الدُنيا مَعبراً، يُعبر ولا يُعمر لا منظراً يعمر ولا يُعبَر، ومغرماً يُجاز ولا يُجاز لا مغنماً يحاز ولا يُجاز، واعتقدها ذِئباً مشنوقاً لا حَبيباً معشوقاً، وكلباً مخنوقاً لا لبيباً مغبوقاً، إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقاً، ولعَمري ما هذهِ الحَيّوةَ إلّا نفسٌ وانقطاعٌ تَردُّدِه ظاهِر الوصول، أو جَرَسٌ وانقماعٌ تُغرِّدُه باهِرُ الحصول، أو هامات تَتَمهَّد وسَتَنهَدِم أو قامات تَتَمدَّد وستَنعَدِم فاعتبر واعطِ الحقَّ عملَه، وانظر هل أَدركَ الرِكابُ أَمَلهُ، قَبلَ أَن يَبلُغَ الكِتابُ أَجَلهُ، كَلّا لا إدراك لَنَيلِ الأَملِ، قَبلَ بلوغ الأَجَل وهل مَلَاءُ الأَملِ إذيالُهُ وَفَرّه، إلّا مَلَاءَ الأَجَلِ مكيالُه وَكَرُهُ كَلّا لا مَفرَّ لفارٍّ، ولا مَقَّر لقارٍّ، فاغتنم العُمرَ العزيزَ بخَمسِك[1] قبل خَمسِكَ[2]، وأدرك العصرَ الوَجيزَ بنفيس نفسِك قبل غُروبِ شَمسِكَ، واقنِص الفُرصَ بالانتهاب فإنّها

(١) بخمسك: أي الصوات الخمس.
(٢) خَمسِك: أي أصابعه اليد.

تَمرُّ مَرَّ السَحابُ فالغصّةُ بئيس الغصّةِ، أَن تفوتَكَ القُرصةُ وتفوتك الفُرصةُ، فالنَيل كُلُّ النَيل، في إدراكها، والوَيلُ كُلُّ الوَيلِ في إهلاكها، فيا مَنْ يُخاطبُ الزمانَ بتقريره ويعاتبه بتقصيره، أَقصر فإنّه لا يتَوجَّه الى طريرِه، ولا يتجهجه[1] لضريرِه، ولا يُرأفُ بأَسيره، ولا يلطف بكسيره، ولا يقطف في مسيرِهِ قالَ اللهُ تعالى وَمَنْ أَصدَقُ مِنْ الله حَديثاً، يَغشى الليلُ النَّهارَ يطلبهُ حَثيثاً، فَكُن مِن المتقينَ، حَتى يأَتيكَ اليَقين، وارفِضَ مَلَامَ الأَمَل، وانهض عَن الغافِلينَ وافرِض دَوَام العَمَلِ، واعرِض عَنْ الجاهِلين، تَبّاً للغَفَلَةِ ما أَجهَلَهم بالمطلوبِ، وتَعساً للجَهَلَةِ ما أغفَلَهُم عَنِ المَحبُوب وجُوهُهم مُسوَدَّةٌ معكوسَةٌ أَفهامُهم، بكُلِّ ما عَنهُ نُهوا، تَأمرهُم أَحلامُهُم، قَومٌ فيما يُعميهِم، إنْ هُم إلَّا كالأَعلامِ، لكِن فيما يَعنِيهِم إنْ هُم إلّا كالأَنعام.

(١) يتجهجه: ((الزَجرُ والصياح للكَفِّ)) الصحاح ٢/ ٦٣٢ مادة هجهج.

كَمْ أُنادي كَمْ وَكَمْ، بالعلومِ اللَّامِعة، إنَّ داري جَنَّةٌ، إنَّ أرضي واسِعة، فَيا مَنْ تقاعَدَ عَمّا يُسعِده فغوى وتباعَدَ عما يُصعِده فهوى، ويا مَنْ هامَ في جهالة الضّلالة فاختلَ أرجَحُه، وعامَ في ضلالةِ الجهالة فاعتلَّ أصلحُه، ما أَجملكَ كَمالاً، وما أكملَكَ جَمالاً، ولو تَوجَّهتَ مِمّا لا يَعنِيكَ الى ما يَعنِيكَ، ومِمّا يُعيبك الى ما يُغنيكَ ومِمَّا يُعفيكَ الى ما يَعفيكَ، ومِمَّا يُحيِّرُكَ الى ما يُخيرِّك ومِمّا يُذلِك الى ما يُدلِّك ومِمّا يُردِيك الى ما يُدرِيك، ومِمّا يُهنيك الى ما يَعنيُك، ومِمَّا يُنيمُكَ الى ما يُقيمك، ومِمّا يُقرِحُك الى ما يُفرِحُك، وما أَقوم قناتُك لو استعملتَ أناتك، وما أَصلح شأنَك، لو أَصلَحتَ ما شانَكَ، وما أكثر خيرك لو واسيتَ غَيرَك، وما أَعظم ثوابك، لو فَتَّحتَ أبوابِكَ، وما أقرب سَفرتِك لو طَيَّبتَ سُفرَتَك، وما أحسنَ مآلك لو فَرَّقتَ مالَك، لكَنَّك عَرّيٌ عن فطنة العَمَل، جريّ في فتنةِ الأملِ، وَسَنانٌ كَسلانٌ، كأَنَّكَ ثملان، لا تقوم بالقيام من المنام الى يوم القيام تَصيحُ بكَ الصوايحُ فَتُلقِعُ رَأَسَك، وتَجيحُ بكَ الجوايحُ فتَقطَعُ أَنفاسَكَ، فلا سَيرَ في مِثلِكَ ولا حركة، ولا خير في فِعلكَ ولا بركة، يُنذرُك نذيرُ الموتِ، ويُحذِرُك مُديرُ الفوت، وتتصامم عن الصوت، أَفبهذَا تَفرُّ من مُلاقِيك وتَعرُّ عن ساقِيك، كلّا فبالقيام تَحلّى فلعمرك، يا ثمامَ الهمس لو مَلكتَ زَمامَ الشمس لسَلكتَ اليوم في الأمس، أَو زمامَ المنامِ لَمنعتَ يوم القيام فإنَّكَ لنّوامٌ بل نومٌ فَتحرَّك، وأنّى لَلَوّامٌ بل لَومٌ فَتبرَّك، فقد طَلعَ الصبح بسروره وتَحلّى بنوره وسطع بَنُّورِهِ، وتَحلّى بسروره، وَغَرَّدَ المُغرِّد، ووَرَّد المُورِّدُ وفاح الصبا وصاحَ الديك قُمْ حَبيبي بِمهُجتَي أَفديك، قُمْ قِياماً قُمْ فإنَّ الوقتَ ضاق، فالتلاقي بَعدهُ ما لا يُطاق، قَمْ فَقَد عَبرَتَ قوافِلُ عُمرِكَ، فما أَشدُّ هيامِك في منامِك وانكسرت عَوامِلُ عُصرِكَ فما أَمَدٌ ينامَك في هيامِك، فَسِر وإلّا يُسارُ بك راغماً فلا تجنح[1] وَطِرْ وإلاّ يُطارُ بِك غارِماً

(١) في الأصل تنجح.

فلا تَربح، أَتحبُّ أَنْ يُسرى بك زَحمة الى مَنْ يُريد اليُسرى بك رَحمةٌ فَسِر بنفسِك وَطِرْ بشمسِكَ وبادِر الى المسابقة تَبصُر مَرتعاً وشراً وَدَعَةٌ، وهاجِر تَجِد في الأَرضِ مَراغِمَاً كثيراً، وَسَعَةً أَتقيمُ في أَرضٍ مَضارُّها شاسِعةٌ، وَأَرضُ الله واسِعَةٌ، فهاجِر حَيثُ هاجَروا وَجاوِر مَنْ جاوَروا، قَد جاوَروا حيثُ جَدّوا، رَبَّاً رَؤوفاً رَحيماً، يا لَيتَني كُنتُ مَعَهُم فأَفوزَ فَوزاً عَظيماً، وَقُلْ لمَنْ كره المهاجرةَ، ونَوَّه المشاجَرة كَرِهتُم ما أَردنَاهُ، وخُلتُم نُورَهُ فَيأً، فما قُمتُم بما قُلنا، عسى أن تكرَهوا شَيئاً.

الجوهَرُ الثاني والسَبعُونَ

خُروجُهُ عَنْ مالِه، دَلَّ على كَمالِهِ، كَمالهُ لو قُره يَخرجُ مِن خِلالِه، العَاقِلُ عَليُّ النَّفسِ فمجيدُ العُمِر، جليُّ الشمسِ فَسعيدُ الأمرِ، خطيرُ العِلم، ففائزٌ بالسلامةِ، كثيرُ الحِلمِ فَحائِزٌ للكرامةِ، رَفيقُ الحِذر فسليمُ الحال، دقيق النظر فكريمُ المآل، يخطف أَنوارَ أَسرارِ الغَدِ من عنوان اليوم فيترَفَّع، ويَقطِفُ أَثمارَ أَشجارِ الغيب من صنوان اليوم فَيَتمَتَّع ويَستَنبِطُ العِظَةَ من الحرف الخفيّ ويستربط العبرةَ من الطرف الخَفيّ يرى موعودَ الله ناجزاً فَيُنجِزُ ما عليه، وموجودَهُ بارزاً فيُبرزُ ما لديه، فكُنْ عاقلاً كاملاً ولا تَكُنْ غافلاً خامِلاً وكُنْ فَطِناً حاذراً، يقظاناً ناظراً، ومَثِّل الغائب حاضراً، فاترك الاعتناءَ بشيء من الدرهم والدينار، لما فيهما من لحوق الهَمِ والنار فإنَّ الدنيا جيفة يفجؤها خِيفة، حَلاوتها سَمٌّ وعلاوتُها غَمٌّ، منحتها مِحنة ورحمتها زحمة، فدورها غرور وسرورها شرور وإلمَحْ تقلُّبها بعين الذكاء فإنَّكَ ذكيٌّ وإذا ضَحَكَتْ، فاجهش للبكاء فإنّكَ بكيٌّ وكُن في الساعةِ رفيعَ الطاعةِ وسيعَ البضاعةِ ولا تَقنَع من الحقِّ للقشور بالظواهر والقُشور، ومن الرقِ المنشور بالدواير والقشور، فتكون من الذين نزلوا بهذه المَرَبَلة الباليّة وغفلوا عن المنزلةِ العالية وشُغِلوا بالمُهلَة الدانية عن المرحلة الثانية وقطوفها الدّانية، وصُنوفها السانية، وتَعرَّضوا للمناهب النفسيَّةِ، وأَعرضوا عن المواهب القُدسيَّةِ فَهُم لما يعميهم عاملون، وفيما لا يعنيهم كاملون، ففي مهبط العَيّ رافلون، وفي مَسقَط الغيِّ سافلون، يَعملُونَ ظاهِراً من الحَيوة الدُّنيا وَهُم عن الآخرةِ هم غافِلونَ، فاهجرهم وَلا تَعدهُم قُلْ اللهُ ثُمَّ ذَرهُم، فإنَّهم لَيسوا مِن الأمر في نورٍ وَلا فَيءٍ، ويَحسَبُونَ أَنَّهُم على شَيءٍ إنَّهم أَقبَحُ قَومٍ، نُسِبَ القُبحُ إلَيهِم، قُبّحوا من كلِّ وَجهٍ، غَضَبَ اللهُ عَلَيهِمُ.

أَصواتكُم في رَفعِها، قد أَزعَجَتْ أمواتَكم، لا تَجهلوا لَا تفعلوا، لا تَرفَعوا أَصواتكم. مالَكَ شنيعُ الصياحِ فَضيعُ النِياح، وتَزعَم أَنكَ واعٍ لربِّك داعٍ، فيا هذا إنّه لا يَسمع بالصماخ، فارتدع عن الصُراخ، أَتُنادي مثلَكَ، فتنسب إليه جهلَك، أَتنادي غافلاً أم باعداً، أَتنادي ذاهِلاً أم راقداً، تعالى مَنْ لا يشغلهُ شأنٌ، ولا يَخلو منه مكانٌ ولا تأخذه السِنَةٌ ولا تُغلِّطه الأَلسِنةُ، ولا تُسهِيه الأدعيةُ بتنوِّعِها، ولا تُلهيه الأوعيةُ بتوسُّعِها، يَعلمُ لسانَ جَنانِ الطلب، كما يعلم سنانَ لِسان العرب، ويَعلم زَمَرةَ الخُرِس كما يعلم لُغةَ الفُرس يعلم ضمائرَ الصّدور، كما يعلم ظَواهرَ الأُمورِ، يَسمعُ دَبيبَ النَملةِ الخَرساء على الصخرةِ المَلساء، كما يَسمعُ بُغام الضّبيَّة الجيداءِ، على صحن البيداء، فسُبحانَ مَنْ تَجلَّى بأَسنى السناءِ، وتحلّى بأسمى الأسماء، ولا يَخفى عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماء فيا رافعَ اليد بالدُعاء، ويا داعيَ الأَحدِ بالنداءِ، اقصر فإنّ رفعَ اليد بالدعاء سُمعَةٌ، ورفعَ الصوت بالنداءِ شُنعَةٌ، فما هذه السُمعةُ الشَنيعةُ، وما هذه الشنعةُ الفضيعة، وما هذه الشهقةُ الناهقة، وما هذه النهقةُ الشاهقة. أَمِن أَلَمٍ تنادي وتتواجد؟ أم من صَلمٍ تفادي وتتناجد؟ أَم من ضَربِ الظالمينَ تَتَألم أَم من رَبِّ العالمين تَتَظلَّم؟ أَم مع أَعدائِك تتصاخب أَم مع أكفائك تتلاعب؟ فما أذهلك عن الأمر الأَحفى وما أَجهلك بعالم السِّر وأَخفى أَتحسَب أَنَّ مَنْ جادَ بخَلقِك لم يَجد برزقك وقد تَكفَّله ويقدِر، اللهُ يَبسُط الرِّزق لمَنْ يشاءُ وَيقدِر، وأنَّ مَنْ شَقَّ الأشداق، وفَرَّقَ الأَرزاق غَفَلَ عن اسمك وذُهِلَ عن قسمك كَلّا بل بليَّة تَتقَلقل تحتها الأحشاءُ، يَفعَلُ اللهُ ما يشاءُ، أَأَنت قائمٌ؟ والقيُّوم نَائمٌ؟ أَنَامَ عَمّا تريد من النيل التلِّيد؟ مَنْ هُوَ أَقرَبُ إليكَ من حَبل الوَريد؟ أَنَامَ مَنْ صَوَّرَ الأَنامَ، وقَدَّر الذِئابَ والأَغنامَ؟ أَم سهى مَنْ أَسنى النُهى؟ وأَنهى النُهى، فيا حُلفاءَ الشهيقِ ويا جلفاءَ النهيق، ويا ضَعَفَةَ الدُعاةِ، ويا صَلَفةَ النُعاة أتظنُّون أنْ لا تجمعوا أَقواتكم

دون أن ترفعوا أَصواتَكُم وأَن لا تنفخوا أَرزاقَكُم، دونَ أن تَنفَحوا أَشداقكُم، كلّا فاعبروا عن ذلك عُبُوراً، ولا تَدعوا اليومَ ثبوراً، وَظَنَنتُم ظَنَّ السَّوءِ وكُنتُم قوماً بوراً خُضتُم في نائرةِ السوء فَدارات عليكم دائرةُ السَّوءِ، لا تُمِلوا أَحوالَكُم، لا تَخمِلُوا أَفعالكم، لا تُجهّلوا في مَوطنٍ، يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم.

الى متى عَن أمرنا تَغفَلُونَ؟ فيما اشتَهَتْ أَنفسُكُم تَرفِلون، أَتحسَبُونَ الأَمرَ مِنا سُدىً؟ اليوم تُجزونَ بما تَعملُونَ، الى متى ترتع في فيافي الهوان؟ وتقنع بالرواية عن فُلانٍ وفُلان وتَتَّبِع في الصواب تقليدَكَ، وتُضيِّعُ وراءَ البابِ إقليدَك، وتتصكَّك بمطاولة الحِيطان، ولا تُمسِّك براية السُلطان، فتقوى بقوتِهِ وترقى بقدرتِهِ، فما الأَسَدُ المُرتجُّ في عرينه وغيرِهِ، أَعزُّ مِنَ الأَسد المُحتَج على قرينه في خيرِهِ، وما العَنزُ الجرباءُ تحت الشمال البليل بل تحت رماد السماد، أَذلُّ من المقلِّدِ بين يدي نَبيلِ الدليل وَمِجهادِ الاجتهاد، إلّا أنَّ مَثلُ المُستدِّل وَالمقابِل كالمُستَقلِ والمُحاوِل ومثل المُستَنبِطُ والمُتخلِّف كالمُنبَسِط والمُتكلِّف إلّا أن مثل المقلِّد عند الخبير المُحقق كالضرير عند البصير المُدقِق، فكُنْ يا هذا بصيراً، واتخذ المولى نصيراً، فَنِعمَ المولى ونِعمَ النَصيرُ، وَقُلْ لا يَستوي الأعمى والبصير إلّا أنَّ المُقلِّدَ هَمَلٌ[1] مَنشوس[2] أو جملٌ مخشوش[3]، لَه أَمَلٌ منفوشٌ وعملٌ مغشوشٌ، شأنُهُ لوحٌ منقوش يقنع بظهور الكلمات ولا يعرف النُور مِن الظلماتِ، يَكرعُ دَرَّ الغيرِ ولا يعرف الشَرَّ من الخَيرِ، يُركِضُ خيولَ الخيال في خيبةِ المحال، من بيعةِ الضَّلال الى ضيعةِ الارتحالِ، لا يَعرِفُ من تحفةِ الأَصلِ ونِعمةِ الوَصلِ، وَنُخبةُ العقلِ غيرَ نَكبة النقلِ فاشتَغَلَ بروايةِ الرواية عن دُرَّة الدّراية فيقول رُوِيَ عنهم ما لا يُحتَمل زَبَداً، أَنّ شهرَ رمضان لا ينقص

---

(١) هَملٌ: ((الهَمَلُ بالتحريك الإبل التي ترعى بلا راعٍ مثل النَفَش إلاّ أن النَفَش لا يكون إلاّ ليلاً والهَمَل يكون ليلاً ونهاراً يُقال إبلٌ هَمَلٌ وهامِلَةٌ وهُمّالٌ وهَوامِلَ، وتركتُها هملاً أي سُدًى والهَمَلُ أيضاً الماءُ الذي لا مانِعَ له)) الصحاح ٢/ ٦٤٨ مادة: هَمَلَ.

(٢) منشوش: ((نُشَّ الغديرُ يَنُشُّ نَشيشاً أي أَخَذَ ماؤهُ في النضوب)) الصحاح ٢/ ٥٦٩ مادة نَشَشَ.

(٣) مخشوش: ((خَشَشتُ البعير أَخشُّهُ خَشّاً إذا جعلت في أنفه الخِشاشَ ورجلٌ مُخِشٌّ أي جريءٌ على الليل)) الصحاح ١/ ٣٤٧ مادة: خشش.

أَبداً، وما هو شايع في البلاد إنّ الصَّلاحَ والفساد في الأموال والأولادِ، ولا يعرف من ذلك شيئاً، ولا يُرى له نُوراً، ولا فَيأً، سِوى ما يَبهرُه من الظاهِر من المَباهر، فَيتَمرَّطُ[1] بالاشتمار[2]، عَمّا في ذلك من النِّمار، ويتورّط هنالك كالحِمار، يروي صمى عن شيخٍ هَمٍّ، كمَنْ يَقودهُ أعمى في ليلٍ مُدلَهمٍّ، يُكثِرُ من الرواياتِ والخُطبِ لا دليلَ عِندَهُ كقوٍ أو قَرْ ظهرَهُ بحزَماتِ الحَطَبِ. وأغفَلَ زَنَدَهُ يَطلبُ العِلمَ من كوّةِ العَنعَنة والسَلَّسلة فينكبُّ في هوّةِ العَنَتِ والبَلبلة، فاعلم يا أَبا المَلالِ، إنَّ التقليد أمُّ الضَّلال وتوأَم الإضلال، والعلمُ أمنعُ مِمّا في الرقاع وأرفعُ، والحَقُّ أَرفعُ من صوافي السماع وأَمنعُ، فأسعَدُ الناسِ من هُدِيَ الى العلم عِلماً فَتَحلَّى بُعلاءِ كمالهِ، وَأُرِيَ الحقَّ حَقّاً فَتَجلَّى بضياءِ جَمالهِ، وأَبعدَهم جُهّال بُعِدوا عن ذلِك فَهُم مُبعَدُونَ وقلّدوا آباءَهم فَهُم على آثارِهم مُقتَدونَ، أَولَو كانَ آباؤُهُم لا يَعقِلُونَ شيئاً ولا يَهتَدونَ، قُلنا فما التقليد تَبّاً لكم وَما الذّي أَنتُم به مُقتَدونَ، قالوا كذا قد كان آباؤُنا إنّا على آثارِهم مُهتَدُونَ فيا مَنْ وفِّقوا للطريقةِ[3] وَوُقِفُوا على الحقيقةِ، لا تلتفتوا الى طُلوعِهم وغُروبِهم، ولا الى مَطلوبِهم ومَقلوبِهم، خَتَمَ اللهُ على قُلوبِهم، لا تَحوموا حَولَ مَغناهُم، لا تَهاوُوهُم بمَهواهُم، فاتركوهُم في مهاويهم، إنَّهُم رِجسٌ وَمأَواهُم...

---

(١) يتمرَّط: ((تَمرَّطَ شَعرهُ: أي تحاتَّ، ورجلٌ أمرَط بَيِّن المرَط وهو الذي قد خَفَّ عارضاه من الشعر والأمرَطُ من السِّهام الذي قد سَقَطتْ قُذَذُه ويُقال أيضاً سَهمٌ مُرطٌ إذا لم تكن له قُذَذٌ)) الصحاح ٢/ ٤٩٠ مادة: مرط.

(٢) اشتمار: ((الشَمُر الاختيال في المشي والتشميرُ الإرسال وانشَمَرَ للأمر أي تهيَّأ له وشَمَّرتُ السَهم أَرسَلتُه وناقةٌ شِمِّيرٌ أي سريعة)) الصحاح ١/ ٦٨٤.

(٣) اعتقد أنه يقصد ((الإخبارية)).

الجَوهر الخامسُ والسَّبعُونَ

تَطرُقهُم مِحنَةٌ وهُم لها طارقُون، تَسبِقُهم مِنحَةٌ وهم لها سابِقُونَ، تلك بهم لاحقة وَهُم بها لاحِقُون، فَهيَ لهم سابِقَة وهم لها سابقون، فطوبى لطائفة طَلَعَتْ أَقمارُهم وَسطَعَتْ أَنوارُهم، وَسَمَتْ أَسرارَهُم، وسَنَتْ أَطوارُهم، وَرَقَّت نُفوسُهُم، وأَشرَقَتْ شمُوسُهم، وأَثمرَتْ غُروسُهم، وأَزهَرتْ عَروسُهم، رَمَقوا شِقَّةَ العِشق فجابوها. وسَمِعوا دعوةَ الصدقِ فأَجابُوها بذلوا أَرواحَهم فلم يُغالُوا وقتلوا أَفراحَهُم فلم يُبالوا، سكبوا كواسِبَ المِنَحِ فلم يجبأوا، وَركَبوا غَواربَ المِحَنِ فلم يَعباؤا، شربوا كؤَس المتاعِبِ فلم يغلبُوا، وَنَهبوا رُؤسَ المصاعِبَ فلم يرعبُوا، صُبَّ عليهُم البلاءَ فلم يضطربوا، وأَصابت عليهم الآلاءُ فلم يطربُوا، نُفُوسهُم في صُنوفِ الصُّروفِ مُستكَنَّةٌ، وقلوبهم في حيوفِ الحتوفِ مطمئنةٌ، ضَمُّوا الى العلمِ كمالَه، والى الحِلم جَمالَهُ، وَجَمعَوا الى المجدِ زُهداً، والى الزُبدِ شهداً، والى النَقاوةِ حلاوةً، والى الحَلاوةِ علاوةً، تَمنطَّقوا بمَنطقةِ الشِكر على الخواصر فهم الشاكرون، وتَوفَّقوا رتيمةَ الذكر على الخناصر فَهُم الذاكرون، تجلبَبُوا بِجُلباب الطاعةِ فهم الفائِزون، وتَأَهبوا المُهماتِ السَّاعة فَهُم الحائزون، هَشَّوا جليلَ الانتفاع الى هوّةِ اللَّهوات فهم السَّالمون، وَرَشُّوا سلسبيلَ الانقطاع على حرّة الشهواتِ فَهُم الغانمون، تَضرَّعوا فارتفعُوا وتَعرَّضوا فانتفعُوا، فَرَّتْ أَبصارهُم وبصائرهُم فَطابوا، وَدَرَّت مَصادرهُم ومَصايرِهم فَغابُوا، تناولوا يسيراً فَتَولُوا كثيراً، تَعلقوا مُباحاً، فَحَولَقُوا صِياحاً، تَكلَّفوا آناً، فَتأَسَّفُوا زماناً، تَمتَّعوا دقيقةً، فَتَقطَّعوا حقيقةً، نامُوا أحياناً، فهامُوا حَياءً، وقامُوا أَمواتاً، ونامُوا أحياءً، خَلّصُوا لله أَحوالهم، وأَخلَصُوا لله أَعمالَهُم، هَبّوا بخيرِ الأُمورِ، وذهبوا بالأجور، فَنَشَأ من بَعدِهَم نَشوٌ لَبُّوا بشرِّ الشُرورِ، وَرَكبوا على الفجور، فكِرامٌ وراؤهم لِئامٌ وَأَعلامٌ يتراهم ظلامٌ، وأَمجادٌ خَلفهُم أَوغادٌ، وأَجوادٌ عَقبهُمُ رمادٌ، هُم القَومُ كُلُّ القَومِ قُوموا فَقَبِّلوا، قومٌ قامُوا بالعبادات، وعاموا في السَّعادات ودعوا الله

بالعشايا والغَداة وَذَكروا بأسنى الذكر في الخَلواتِ، فَخَلفَ مِن بَعدِهم خَلفٌ أَضاعوا الصلَّوات واتَّبَعُوا الشهواتِ، فَتبًّا لهذِه الفِتنَةِ وتَعسًا لهذِه الفِتيَةِ فَخلَّهُم وَما لَديهم، غَضِبَ اللهُ عَلَيهِم، كَمْ كَمْ تُنادِيهم، وُلْدي اهتدوا وُلدي، فَخلِّهم هَلكى، إِنَّكَ لا تهدي، إذا خَلَوا عَضُّوا فَالنُّصحُ لا يَجدي، فَلا تُخاشِنهُم إِنَّكَ لا تَهدَي...

الجوهر السّادسُ والسَّبعُونَ

ماذا بذي ذَميمٌ، ماذا شَقِيٌّ زَنَيمٌ، ماذا لَئِيمُ الورى، هذا عذابٌ عظيمٌ، الَّلئيمُ عليلُ الذاتِ الهاويةِ، قتيلُ اللَّذاتِ الواهيةِ، عَينُه جاريةٌ بالمَدامعِ ونفسُه ساريةُ المطامعِ، لا يَنفكُّ عن وساوِسِها، ولا يَندكُّ عن فسافِسِها، يَبكي بكاءَ اللَّهيف الضرير، ويَجعَلَ ماءَ وَجهِه الكثيفِ الشرير، ووجهِ الحليف والعشير ثَمنَ الرغيف أَو العشير، يَنبَحُ لهفاناً، فَيَربَحُ رغفاناً يَنثرُ دُرَّراً، فَيُبَرُّ طُرَّراً، ويَرشُّ لؤلؤاً، فَيهش جؤجؤاً، ويَصبُّ ماءً، فيصيبُ نماءً، فَاللّئيمُ لا يَنثرُ مَجَّاناً، يجرُّ تبراً ويَنثرُ مرجاناً، يَمرُّ على الصافي ولو كان خِبراً، فيجذب ثَفلَهُ، ويَكرُّ على الحافي[1] ولو كان بشراً فَيَسلِبُ نَعلَهُ، يَخطِفُ الكُحلَةَ من العَين وإنْ كانت مضمومة ويقطفُ النُقطةَ مِنَ الغينِ وإنْ كانت موهومةً، إذا سألَ ولو أَرمَلَةً فبكاءٌ وتعزيةٌ، وإذا تَناوَل ولو حَرملةً فمكّاءٌ وتصديةٌ، فَتَباً لمَنْ باعَ مذهَبَه بذهبِهِ أَو غيرِهِ، وابتاعَ ذَهَبهُ بمذهَبِهِ وخيرِهِ، وتَعساً لمَنْ أَكل دِيَّةَ كريمته، وبذلَ هِمَّةَ عَظيمَته، بأَوكَسِ قِيمتِهِ، وسَحقاً لمَنْ تَقلَّلَ فَشكى وتَذلَّلَ، وبكى وتَعلَّلَ فما كُلَّ باكٍ، وَلا كُلّ مُعطٍ مثابٌ، وما كُلُّ طالبٍ فَقيرٌ، ولا كُلَّ فقيرٍ حقيرٌ، ولا كُلَّ حقيرٍ سائلٍ، ولا كُلَّ سائِلٍ عائل، ولا كُلَّ عائلٍ صابرٌ، ولا كُلَّ صابرٍ شاكرٌ، فَربّما يَتكفَّفُ المُوسِرُ الطامعُ، وَيتعفَّفُ المُعسِرُ القانعُ، وربّما يترنَّنَ المخذول عن كَثرٍ، ويَتمَسكَنْ وهو مُثرٍ، وربّ مَعرُوفٍ بالمكارم والمساعي وهو مَوصوفٌ بالمكارِهِ والمَساوي، وَرُبَّ عامل أَعماله تُرفَع، وفاعلٌ أَفعاله لا تَنفَع، فلا اطلاع بالعبائر والظنِّيات على السّرائر والنِيَّات، والَّلئيمُ لا يُبالي بِشَرّ الأمورِ في الورُودِ والصدور واللهُ يَعلَم خائِنَةَ الأَعينِ وما تَخفي الصُدور، فانتَبِذ يا عبدَ الكريم الرَّحيم، قَصيّاً مِن هذا الَّلئيم الذَميم، واستعِذ بالله مِنَ الشيطانِ الرَّجيم، وقُلْ إنْ أَتاكَ، وبُرؤَيته ابتَلاكَ، قد أَتانا آتٍ، ما نَراهُ مِنّا، رَبَّنا ما هذا، رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا.

---

(١) المقصود بشر الحافي الصوفي المعروف.

اتّقُوا اللهَ على قُدرتِه، واشكروا الله على نِعمَتِهِ، وأَلزَمُوا العليا، وَخلُّوا ضِدَّها، يُؤتكم كِفلينِ من رحمَتِه، أَيُّها البَرُّ الأَتقى، وَالحُرُّ الأرقى، إنَّ الدنيا لا تدوم وأَنتَ لا تبقى، فإيّاكَ أن تروم ما به تشقى، فاعرف نَفسَكَ وقدرك ولا تكسف شمسَك وبدرَكَ، فَعَمِّر دُنياك بقدر مُحيّاك، ودبِّر عُقباك بقدر مثواك، فإنّها المثوى الدايم، والمأوى القايم، فَعمِّر قصورَها فأنها أَحَقُّ بالتعمير، ودبِّر أُمورَها فإنّها أَخلَق بالتدبير فما الدُنيا إلّا عِمارةٌ مُموَّهَةٌ، وعُمّارُها عمارةٌ مشوَّهَة، أو دارٌ بنعيمها حائلة، وبمقيمها زائلة، أو مَعبَر يُعبَرُ ولا يُعمَّر أَو مَمَرَّ يُمَرُّ عليه، ولا يُلتفت إليه، فتحذر من شرورِها، ولا تَغتَر بغرورها فقراحها نَهبورٌ ومراحها عاثور، ورحمتها زَحمةٌ ومنحتها مِحنة، وخَيرُها شرٌ ومَيرُها ضرٌّ، وطَولُها هولٌ وقَولُها بولٌ، فلا تَسمَع مقالَها، ولا تَرفَع قِلقالَها، ولا تَرقَب مآلها ولا تَقرَبْ ضلالَها ولا تَترَك بَعدَكَ دِرهماً ولا ديناراً، ولا أَدهماً ولا زُنّاراً، ولا هَمّاً ولا ناراً، ولا جُبّة ولا قِباءً، ولا حَبَّة ولا هَباءً، ولا تضع لِبنَةً على لِبنَةٍ، فَكم تعقد لهذه الدَنيّة وتقوم، وكَم تَرقِدُ لهذه البَلية وتَحومَ، وتَروم الجِيفَةَ من مناسِر النُسور، وتَرُمَ السقيفةَ على معابر الجسور، تَجوزُ عن مجازِ الجواز فلا تَحوزُ، وتُخيِّمُ على جِسرِ المجاز فلا تجوزُ، والقعودُ على مجاز الجائرة لا يجوز، أَنَّعَمِّرُ الطربالَ في بوادي الرَّملِ فَتسكّن، وتَدَّخرُ الزَبالَ في وادي النَملِ فَتطمَئنَّ فإنّ مَنْ أَسعده اللهُ وأَمدَّهُ، يَعرفُ أَنَّ شقاوةَ مَنْ أَبعدهُ اللهُ وَرَدَّهُ، في دِرهِمٍ عَدَّةُ أَو أَدهَمٍ أَعَدَّه، أو في بيتٍ يَبنيهِ، ويَثنيه لِبنيهِ، فَيَتزلزَل بزلزلةِ الـزَّوالِ، ويَنزِلَ بزاوية الوَبالِ، فَأتِ بالطَّاعةِ الصَفيَّة، بقدر الاستطاعة الوفيَّةِ، وأَتمِم من الفانية مَرامَ الضرورةِ، واحرم الى الباقية إحرام الصرورة، وتَوكَّل على مَنْ خَلَقَك وَقَوّاكَ وَرَزَقَكَ وكُلٌّ بقدر ما يَسدُ رَمَقَك، ومِلْ بالباقي الى مَنْ رَمقَكَ، وأرغب فيما بعافيتهِ ينفعك، وأرهب مِمّا بعاقبتهِ يَصفعُكَ وانتفع بهذه الحُريرَة

انتفاعَ المُصطلي وإيَّاكَ الجَمرةَ وإحراقَها، وتَمتَّع بهذهِ البُحيرَةَ تَمتُّعَ المُغترِفِ وإيَّاكَ الغَمرَةَ وإغراقَها، فإنَّ الدُنيا بالاختبارِ لدى الاعتبار، كَبِئرِ هاروتٍ، أَو نهر طالوتٍ، وأنّ مَنْ بالآيهِ أَولاكم، بِه ابتلاكُم فَمَنْ تَربَّص قصياً، ولم يصعب ريّاً، شَرَبَ هَنيّاً وطَرَبَ مريّاً، وعَبَرَ جَريّاً، وَقَرَّ حَريّاً، ومَنْ كان على الخِلافِ في الاعتساف فأسرَفَ فارتوى، أَشرفَ على النوى[1]، فالتوى بأَلمِ الجَوى، الى النوى، إلاَّ مَنْ قَذَفَ نَفَّاضَةً على كبدهِ واغتَرفَ غُرفَةً بيده، فإنَّهمُ بنَعِيم هذه الغُرفَةِ كامِنُونَ في الغُرفاتِ آمنونَ، أَثمارُهم باسقةٌ وأَنهارُهم دافقةٌ، وَسُرُورهُم مَرفُوعَةٌ، وأكوابُهم مَوضُوعَةٌ، خَلُّوا سَبيلي فإنّي، صَبٌّ لَهُم لم أَدَعهُم لا تَجعلوني أُنادي، يا ليتني كنتُ مَعَهُم.

(1) في الأصل التوى.

الى متى يَطمَعُ، والنُّصحُ لا يَنفَعُ، فَمِنْ هُنا يَجمَعُ، وَمِنْ هُنا يَرفَعُ، هذَا لَهُ يَدفَعُ وَذَا لَهُ يَصفَعُ، كُلٌّ لَهُ خَصيمٌ مَنْ ذا الذي يَشفَعُ، انظر الى هذا الذي يقمعُ ويَمور، ويَطمعُ ويَجور، ويَجمَعُ ولا يَحُور، فيأخذ عمامةَ عبد الوحيد فيضعها على رَأس عبدالحميد، ويَرهن جُبَّةَ عمرو بن عُبيدٍ[1] على جُنَّةِ فِهرِ بن زُبيدٍ، يَتكلَّف فضلَ تَصنّعٍ وارتياضٍ فَيخطِفُ رِداءَ الفُضَيلِ بن عياضٍ، يَجرُّ الأموال بالآمال الكاذبة ويَضرّ الأَحوالَ بالآجال الخائبةِ[2]، يَمسِكُ خيراً لَأخيهِ، ويَهتِكُ عليه سِتراً يُرخيهِ، لا يوافيه في حقوقهِ ولا يكافيه في غبوقة، بل يأكل خَيرَهُ، ويُنيله ضيرَهُ، يأخذُ الدَّينَ بالدانق والدَّبّةِ ويقضبه بالدانق والحَبَّة، وقد يَتوجَّه الى العدل وينجحه الى البَذلِ فَيأَخُذهُ بالوَسَقِ وَيَقضِيهِ بالرطل، ويَسُوف صاحِبَه بالتسويفِ والمَطَلِ، إنْ جَانَبه أَكَلَهُ، وإنْ طَالَبَهُ مَطَلَهُ، وإنْ جاذَبَهُ قَتلَهُ، يَتحيَّل على الأُسُودِ، يَتَميَّل على الفُهُودِ، ويَتوجَّه الى السُجود، فَيُوجَّهُ الى القاضي بالعمود، فيواجُهه بالجحود، ويَتعَمَّد عهدةَ العهود، وَيَتقلَّد عقدة العقود، وتقوم عليه شهادةُ الشهود، وتحومُ لديه بَيِّنةُ الوجود، فيؤدّيه صاغراً كاليهود، فَيُؤخَذُ منه ويُصفَع، ويُنبذُ خارجاً ويُدفَع، ولا يَنفَعِل في ذاتهِ من أَي شَيءٍ طَرَقَهُ، سُبحانِه مِن خالقٍ من أَي شيءٍ خَلَقَهُ فلا يُمثَّل مِثل هذا الطريد، إلّا بالكلب الشَريد العاضّ على اللَّحمِ القَديد، بالنابِ الحَديد، والجدّ المديد، فَيَنهرُه صَاحِبُه ويَزجُرهُ وهو طالبه، فَيقرَعَهُ بالعصا ويَتبَعهُ بالحَصا ويَحاولُه بالخيلِ أيّ الخيل، ويزاوله بالويلِ كُلَّ الويل، ولا يَفتر عن محاولته وطَلَبهِ حتى يَستَخلِصُه من نابه ومِخلَبه، فَيَقذِفُهُ بمُعايَنه حَتفَه

(١) عمرو بن عُبيد: ((هو عمرو بن عُبيد بن باب التيمي بالولاء أبو عثمان البصري (٨٠-١٤٤ هـ) شيخ المُعتزِلة في عصره ومُفتيها وأحد الزُهّاد المشهورين كان جَدهُ من سبي فارس، اشتهرَ بزهده وبعلمه تُوفي بمران قرب مكة له كتاب في الرد على القدرية وتفسيرٌ للقرآن)) الأعلام للزركلي ٥/ ٨١.

(٢) في الأصل الخائبة.

رَغمَاً على أَنفهِ، مُلَّوثاً بِلعابِه وأَرجاسِه مُشَوَّهاً بِنابِهِ وأَنفاسِه، فَأَيُّ كَلبٍ لا يَستَعفيه، وأَيُّ ذِئبٍ لا يَنفيه، وأَيُّ دُبٍّ يَرغَبُ فيه، وقَد خَرَجَ من فِيه، فَبَينَ مَنْ يُؤدَّي الحُقُوقَ طَوعاً، ومَنْ يُؤدِّيها رَوعاً، مثل ما بَينَ السماءِ والأَرضِ، والعَطاءِ والقَرضِ، وما بَينَ أَكياس الناس وأَرجاس النسناس، والدِّينُ كالخالي من ثِقاتِه، وأَينَ مَنْ يَتَّقي اللهَ حَقَّ تُقاتِه، وأَكثر الأمورِ مُموَّهةٌ بالشرورِ مُشوَّهةٌ والناسُ أَجناسٌ، منهم أَكياسٌ ومنهم أَرجـاسٌ، بل أنواعٌ منهم طَمَّاع ومنهم مِطواعٌ، بل صنوفٌ منهم عسوفٌ، ومنهم عَطوفٌ، ومنهم مَنْ يخافَ ولا يُخيف دائماً، ومِنهُم مَنْ يُخيف ولا يَخافُ لائِماً، ومِنهُمُ مَنْ إنْ تأَمنه بدينارٍ لا يَرُدَّهُ إليكَ إلّا ما دُمْتَ عَليه قائماً، فيا لَهُ في غُمَّتِه من مَغمُورٍ، وويلٌ له في ظلمتهِ مِن مطمورٍ، فَمَنْ لم يَجعَل اللهُ لَه نُوراً فَما لَهُ من نُورٍ. فَأَدّوا الدِّيانات على أَصلها، وَرُدُّوا الأمانات الى أَهلِها، أَمانَةُ الحَقِّ فَقوموا بِها، فإنَّها فَذلكَةُ المَعركَة، إلاّ فَردُّوها إليه ولا، تُلقوا بأَيدِيكم الى التَهلُكَة.

الجَوهرُ التاسِعُ والسَّبعُونَ

رِزقهُم من عِندنا، ما لهم لا يُوقنونَ، حَقُّهم مِن وجدِنَا، ما لهم لا يؤمنونَ ما لَكَ كثيرُ السّفر، يسيرُ الظَفَر قليل البضاعة جليلُ الاضاعةِ عظيم الحَركة عديمُ البركة، مُفَتَّتُ البالِ، مُشَتَّتُ البلبالِ، ضَعيفُ الحالِ، حليفُ المُحالِ، فيا هبّاق الأشداق[1]، في انطاقِ الأرزاق، الى كَمْ تقطع الأَرضَ وَتذرعُ الطولَ والعرضَ، والى كم تسيح كإنَّك مَسّاح، وتحدُّ أنيابَكَ كأَنَّكَ تِمساحٌ، أَتطلِبُ رِزقاً يُنادِمُك، ويُعانقك الى الموت. وَحَقّاً يُلازُمك ولا يفارقك الى الفوت، فَرزقُكَ ضَمينُكَ، وحَقُّكَ قَرينُك، قاعِداً كُنتَ أَم قائِماً، راكداً أَم هائماً، أَتَظنُّ الرِزقَ فَيداً يُختَلَسُ مِنَ القِفار أَو صَيداً يُقتَنَصُ في الأَسفارِ، أَو تُحفَةً تَتكوَّن في بعضِ الأَمصارِ أَو طُرفةً تكون في بعضِ الأَعصار، أَو أُعجُوبَةً تَحصَلُ في قُعورِ الجِبال، أَو أُكْرُومَةً تُنقَلُ على ظهور الجِمال، كَلّا ثم كَلّا، فَتحلَّى ثم تَجلَّى، واقعد ولا تُسفِر، وارقُد ولا تَنفر، واذكُر ولا تَطفُر، واشكُر ولا تَكفُر، وانفق ولا ترهب، من ذئبِ الفاقة، وأَفِق ولا تُتعب قَلبَ الناقةِ وارغب في موطن الأمان، وحُبُّ الوطن من الإيمان، الوطن عُشُّك فاسكنهُ، والمُتوكِّلُ ضيفُ الله فَكُنهُ، وبضاعتك ماءُ الوجه فَصُنه، واضاعتهِ صبّه فَحصِّنهُ، واهجر ما نُهيتَ عنه تكن مهاجراً، وأبرر ما أُمِرتَ بهِ تكُنْ تاجِراً، وانفر من الدُنيا تَحُز ما يَنفَعك ويُرضيك، واسفر الى الآخرة تَفُز بما يرفعك ويحظيك فَترقَّى عن الزّحمَة والحركات، وتَبقَّى في الرحمةِ والبركات، طالما تَحرَّكتَ وما تَبرَّكتَ، وتَهوَّكتَ ولا تَنسَكتَ، لقد ظَلَمتَ نَفسَكَ بضيم الحلول والارتحال، وأَظلَمتَ شَمسَكَ بغيم المُحالِ، والمِحال تدقُّ بسنانك المُورياتِ قَدحاً، وإِنَّكَ كادِحٌ الى رَبِّك كَدْحاً، فَمِثلُك لا يَستوهِبُ مَدحاً، بل يَستَوجِبُ قَدحاً جنابُك يرفِلُ في بَيداءِ المشيب وشَبابُك يرقِلُ بالرداءِ القشيب

---

(١) الشِّدقُ: ((جانبُ الفم والجمع الأَشداق والشَدَقُ بالتحريك سِعةُ الشِدقِ يُقال خطيبٌ أَشدَق بَيِّنُ الشَدَقِ والمُتشَدِّقُ الذي يلوي شِدقهُ للتَفصُّحِ)) الصحاح ١/ ٦٥٣ مادة شدق.

أَتستَعمِلُ قَشيباً، واشتعَلَ الرأسُ شيباً، تَتحتّى[1] تبواك[2] وتَتمنّى، ويَتمطَّى المَشيبُ بفناكَ وتَتفتَّى، وَيَتشتَّت هواكَ ليَجمعَ شملَك ولا يتأتّى، أما ويُونس بن مَتّى[3] إن سَعيكُم لَشَتّى، أَما قرأتم يا أَهلَ المُروّةِ إنَّ اللهَ هُوَ الرزَّاقُ ذُو القُوّة فما لكم بالتوكّلِ لا تُسعَدونَ وَرِزقُكمُ في السَّماء وما تُوعَدونَ، فالى متى يتقلقل مِنكُم الحَشا؟ واللهُ يَبسِطُ الرِزقَ لِمَنْ يشاء، وَعَدلُهُ قد فَشَا، يَفعلُ اللهَ ما يَشا على أَنه ذو الفضلِ الواسع، والطوالِ الشاسع، إنْ صَحَّ عِند الله إيمانكُم وكَونكُم من جُملَةِ المُوقِنين، فلا تكونوا حُيراً في الورى، واللهُ ذُو فضلٍ على المؤمنين.

(١) تحتّى: ((التُّحُوتُ أي السِّفلَة)) أساس البلاغة ١/ ٧٧ مادة تحت.

(٢) تبواك: ((باكت الناقةُ تَبوكُ بوكاً، سَمِنتْ وناقةٌ بائِكٌ إذا كانت فتيةً حسنةً والجمع البوائِكُ)) الصحاح ١/ ١٢٧ مادة بوك.

(٣) يُونس بن متَّى: ((يونس بن متَّى ذو النون صاحبُ الحوت ورد ذكره في القرآن غيرَ مرةٍ باسمه تارة (النساء، الأنعام، يونس، الصافات) وبوصفة تارة أخرى (الأنبياء، القلم) من أنبياء بني إسرائيل آمن به قومه ثم انصرفوا عنه فَرَّ الى مركبٍ مشحون فسقط منه، فالتقمهُ الحوت، ولما صبر على بلائه نَجَّاهُ اللهُ ونَبذهُ الحوتُ بالعراء وهو سقيمٌ، أَنبتَ اللهُ فوقه شجرةً من يقطين، وما أن بُرئ حتى أُرسل الى أقوامٍ عديدين....)) الموسوعة العربية المُيسَّرة: ص ١٩٩٧.

في حِرصهِ شِدَّةٌ بها تَعدَّى الحُدودَ، في قَلبِهِ لَوعةٌ، النَّار ذاتَ الوقُودِ، تَبّاً للحريص ما أَقبَحَه وعلى الجِيفةِ ما أَنبَحه، يَنبحُ نَبحَ الكلابِ وتقوته القُرصةُ ويَمسَحُ مَسحَ الذِئابِ، وتَفوتُهُ الفُرصة، يَحرصُ حِرصَ النَملة، وَيَقرِصُ قَرصَ الحلمة، قلبهُ يَلهبُ كالتَنُّور، ومثله كمثلِ السنور يَصحَبُ الدار، ويَطلِبُ المَدارَ، ويَرقبُ الفَارَ، ويُهذِّبُ الأظفارَ، يَجرُّ ذَنَبهُ، ويطرِّ مخلَبَهُ، ويتغافَل غادراً، ويَتذاهل ماكراً، ويَتَجاهَل فاجراً، ويَتساهَلَ تاجراً، ويتناعس ساهراً، ويتناكس ظاهراً، ويَتَعفَّف عاهراً ويَتصفَّف صابراً، ويتعامى ناظراً، ويترامى حاضراً، حتى إذا أَدركَ الظَّفَر، تَحرَّكَ وطَفَر وإذا مَلَكَ الوطَر، تَهتَّكَ وغَدَر، فيثور فيمزّق ويجور فيخرق، كذلك ذو الحِرص الهاوي والخَرصِ الواهي، يَتزَهَّد زماماً، ويَتَمهَّد أَحياناً، فَيُريك من ظاهرِ حالِهِ ما تُريد ويَزيدُ، فَتَظنَّ أَنَّه في حُسنِ حالِهِ بايزيدٍ لا يَزيدُ، فَيملك مالَكَ، ويُهلِك حالَكَ، وينزع لبيسَك، ويُفرِّغ كيسَك يُصلِّي ركعةً ليُخلي بقعةً، ويَصوم يوماً لِيرَومَ قوماً، ويُقَم ليلاً، لينالَ نيلاً، ويمرّ متذلِلاً لِيفُرّ متموِّلاً، والطَمعُ عَناءٌ، لا لَهُ فناءُ، والحرصُ داءٌ لا لَهُ دواءٌ، وضرامُ الطمعِ لا ينطفي برشحة الآبارِ، وهيامُ الحُرصِ لا يكتفي بنضحة الآسارِ، إنّما الحِرصُ مرضٌ شديدٌ وجرضٌ[1] مديد، إلاّ أَنَّه فالجٌ من فادحة الغوى، دارج في راجحة القُوى، بل مارجٌ من هاوية الهوى، والِجٌ في زاوية النوى، كلا إنَّها لَظى نَزّاعة للشَّوى، فلا تُوثِروا الحيوة الدُنيا، فإنَّ الجَحيمَ هي المأوى فَفِرُّوا من عَذابِها وانهُوا النَفسَ عنِ الهوى فإنَّ الجَنَّةَ هي المأوى فَقِرّوا في ثَوابِها، ألاَ تَبّاً لكم تُوبوا ففيكُم، نَصُوحٌ صَاحَ واعمراً تَقَضَّى وفي الدينارِ دَوّارٌ يُنادي، لقد أَنذرتُكم نَاراً تَلظّى.

---

(١) جَرَضَ: ((الجَرضُ بالتحريك الريقُ يُغَصُّ به ويُقال جَرَضَ بريقه يَجرِضُ وهو أن يبتلع ريقهُ على هَمٍّ وحُزنٍ بالجهد قال الأصمعي: يُقال هو يَجرِضُ بنفسهِ أي يكاد يقضي ومات فلانٌ جَريضاً أي مغموماً)) الصحاح ١/ ١٨٥ مادة جَرَضَ.

سُبحانَه من قادرٍ لَهُ الجوار المُنعِشات، لَهُ الجَوارِ المُنعِظَة، لَهُ الجوارِ المُنشّآت، انظر الى عجائب قدرة تقدير المُقدِّر ونَجائِب حكمة تدبير المُدبِّرِ، والى غرائب آثار صُنعِ الصانع، وترائِب أطوار وضع الواضع، قَبلَ أن يَنال مِنك بَينُ القَدِر، ويُحال بينك وبين النَظَرِ، فانظر الى هذه المواكب الحواري والكواكب السّواري، المُنشآتُ في طُرَرِ أقاليم البحور، كالدُّرِر على حيازيم النُّحور، أَنوارُ إدراك لبُوبِ أُولي الاعتبار وأَقمارُ أَفلاكِ قلوبِ ذَوي الاختبار، حُورٌ مَقصُورتٌ في الخِيام مَغمُوراتٌ بالغرام مَعمُوراتٌ بالمَرام، مُبشّراتٌ بالسَّلام، عن فُرج الظَّلام نفوسٌ زاهرة، وشموسٌ باهِرة وأَرواحٌ طاهِرة، وأَفراحٌ ظاهرةٌ، يَذرَعنَ بالسَّلامة ويَشبرنَ بالنشاط ويُسجنَ بالكرامة ويُعبِّرنَّ[1] بالإنبساط، سابحاتٌ سالماتٌ سائحاتٌ غانماتٌ، عرايسُ الفِطرة، ونفائس العِبرة، وأَعلامُ الأَحلام وأَحلامُ الأعلام، ولَوامعُ الحركة، وجَوامعُ البركة، ورَوافِعُ الخُلقِ وطَلايعُ الحَقِ وعُمّالُ الأَرزاقِ، وعُمّارُ الآفاقِ وسُعاةُ الأعصار، وجُباةُ الأمصار تجني ثمراتِ كُلِّ شيءٍ، وتجيئ بخيراتِ كُلِّ نُورٍ وفيءٍ ما مِن رحمةٍ إلّا حَمَلَتَها وما أَهملتها، ولا زحمةٍ إلّا أَهمَلتها فَتَدبَّر في سَيرِها وحَركاتِها، وَخَيرِها وَبَركاتِها وَنُزولِها وانتّقالِها وَحلولِها وارتحالِها وَهبوطِها وَصعودِها، وسقُوطِها وسُعُورِها، وغُروبِها وطُلوعِها وهُبوبِها وسُطوعها واستقامتِها ورُجوعِها واستدامتِها ونُجوعِها، فإنَّ ذلك من أَنواع العجائب الغريبة وأوضاع الغرائب العجيبة ولا تَظنَّ أَنّها في مَسيرها، تَسيرُ بسيرها وتَطيرُ بطيرها، وتَتَحرَكُ بحركتِها وَتتبرَّك ببركتِها كلا إنما يُحرّكُها مَنْ يُحرِّك ساكن غيرِها ويملك كامِنَ خيره وخيرها، ولعمر الذي خَلَقها فَسوّاها ما يَسوقها إلّا أَمرُ الذي أَمارَ هَواها، وأَدارَ رَحاها، وبِسمِ الله مُجراها ومَرساها، والى رَبِّكَ مُنتَهاها،

---

(١) في الأصل يعيرن.

فَقُلْ لمَنْ غَفَلَ عن هذه الحِكمة، وَذُهِل عن هذه النِعمةِ، لِمَ لَمْ أَراكُم بتدبُّرها تَسمَحُونَ وبتذَكّرها تُفلِحونَ، فسبحانَ الله حِينَ تُمسُونَ وحَينَ تُصبحونَ، أُعجُوبةٌ مُعجِبَةٌ لَدى النَّهي البَهي، فَنشأةٌ بالِغَة، فاعتَبروا يا أُولي...

الى مَتى كالهُدى، على الهَوى يَجعَلونَ، واللهُ رَبُّ الورى يَعلَم ما يَفعَلونَ، فيا مَسلوبَ الخَبطِ[1]، ويا مَسلوبَ الرَّبط[2] دَع السَّهوَ وَوَدِّع اللَّهوَ، واحذر من اللسان وافرر من السنان وَتأَمَّل في المرام والمَقال، وتَمهَّل في المقام والانتقال ولا تَغتَر بالفطنَة، فَتعرَّك الى الغطنة، ولا بالتقوى فَتَقرَّك في الشقوى ولا بالزَّكاءِ، فَيَجرُّك الى البكاء، ولا بالتَنَسُكِ فَيهرُّكَ[3] بالتَهتَّكِ، ولا بالفضيلةِ فَتضرُّكَ بالرذيلةِ ولا بالنباهةِ فَتَطرُّكَ بالسَّفاهةِ ولا بالتَموّل فيضطرك الى التَولُول، فَرُبَّ فِطنةٍ تَهبُّ الى فِتنةٍ وَرُبَّ طويّة تَدبُّ الى بليَّة، وَرُبَّ ذكي زَكي أَحرَقهُ جَمرَةُ طلوع ذَكائهِ، وَرُبَّ تقي نقي أَغرَقَه غمرة دُموع بكائهِ، وَرُبَّ نبيهٍ عابدٍ ما له من نباهته غير الانتحاب والنَصَبِ وَرُبَّ غَني سَني مالَ بهِ ما لهُ الى العَناء، وَرُبَّ مليٍّ جلي حال به حَالُه الى الغناء، فَخَلِ خِلعَةَ الاختلاط وَصلِّ ركعةَ الاحتياطِ، واتقِ هفوات العثرات وكبواتها وارتَقِ عن جَفواتِ الفَلتاتِ ونكابتها، وسَيغتمُّ[4] الزُّهاد يَومَ تَقومُ الأَشهادُ، وَسيَعلَمُ العلماء، يَومَ تَمورُ السَّماءَ وَسَيتكلَّم المُتكلِّمون بكلامِهم، يَومَ نَدعُو كُلَّ أُناسٍ بإمامهم، فَذَاكَ يَومُ المُهَذّبين وَيلٌ يَومئِذٍ للمُكذِّبينَ، وسينُشِرَ عُبّادٌ أَعمالُهم أَربادٌ، وَنُجباءُ أَعمالُهُم هَباءٌ، وأَعلامٌ علومُهم ظلامٌ وكرماءٌ، رَيُّهُم ظِماءُ، ويُحشَرُ أَساطينُ، هاماتُهم طنابيرُ، وقاماتهُم قناطيرُ، ومقالاتهُم أساطيرُ ومُراماتهُم دنانير، وخُصورهُم زنانير، وظهورهُم تنانير وَفلتاتُهم زَنابيرُ فابدر أَخي مَحرُوساً قريراً، واحذر يَوماً

(١) الخَبطِ: ((خَبطتَ الرجلَ إذا أَنعمتَ عليه من غير معرفةٍ بينكما)) الصحاح ١/ ٣٢٩ مادة خبط.

(٢) الرَّبط: ((من المجاز ربطهُ الله على قلبه صَبَّره ((لولا أن ربطنا على قَلبها)) ورجلٌ رابط الجأش وربيط الجأش)) أساس البلاغة ١/ ٣١٦ مادة: ربط.

(٣) في الأصل يهزك.

(٤) في الأصل سبغتم.

عَبوساً قَمطريراً، ويَوماً كان شَرَّه مستطيراً، ذَلِكَ يَومَ تُبلَى السرائِر، وتُجلى البصائر، وتَبدو السَّرائر، وتعدو الجرائر وَتمورُ الكبايرُ وتفور الصغائر، وتَدورُ الدَوائِر، وتَثورُ الثَوائِر، وتَطيرُ الطَوائِر، وتَغيرُ الغَوائِر، فيُرى في ذلك اليَوم أعمالٌ كأنَّها زلالٌ في شريعةٍ، أو شرابٌ في وقيعةٍ، فإذا هيَ سَرابٌ في بَقيعَةٍ، هيهات إنما هي هَباءٌ من مهاوي خطراتٍ، كذلِكَ يُريهُم اللهَ أَعمالَهم حَسَراتٍ، فلا تخبط في الغرور واحتَط في الأمورِ في الورودِ والصدورِ، فإنَّ الله عَليمٌ بذاتِ الصُّدُورِ، ولا تَتكِل على مُقتضى العَمَلِ، وتَوكَّل على مُنتهى الأَملِ. أَعمَالُنا مِن قَبلُ يا حَبَّذا، أَعلامُ نُورٍ أَو مصابيح، لكنَّها الآن هَباءٌ غَدَت، كَرمادٍ اشتدَّتْ به الريحُ.

قد حاقَ بِهم نَومٌ، حتى أَتَت الصُّغرى، تَبّاً لَهم تَباً، أنى لَهُم الذّكرى، فيا مَنْ فرض النِّيامَ وأَقامَهُ، وَرَفَضَ القِيامَ وأَنامَهُ، ويا حالف المضجَع وفاداه وخَالَفَ المنجَع وعاداهُ، ويا مَنْ قارَفَ الزحمةَ ببلائِها، وفارقَ الرَحَمةَ بُعلائها، ويا مَنْ تَعرَّض للبلاء وزحمتِهِ، وأَعرضَ عن العلاء ورحمته، أَراكَ خائباً، فمتى أَراكَ تائباً، والى متى أراك شَقيًّا والى كم أَراكَ تَقيّاً، سُبحانَ الله ناظرٌ يَتَرقَّد، وَخاطرٌ يتَفقَّد، وكدحٌ في الأمل ولوازمه فسيحٌ، وقَدحٌ في العمل وعوازمه سَفيحٌ، ففي الأَملِ طلعةٌ قبعةٌ، وفي العمل قعدةٌ ضخعةٌ، فكم يهتفُ بِكَ داعي الشوق فلا تَتَحرَّك، وكم يلطف بك واعي الذَوق فلا تَتبرَّك فَأَنتَ عَيٌّ فهل أَنتَ حَيٌّ فما أَنحَسَك عَيّاً، وما أَتعسك حيّاً، فما يعدّ أَهل الإحياءِ، قليل الحَياءِ من قبيل الأحياءِ، بل من قبيل الموتى، وذليل الفوتى، فما لهذا الخَلَف كأصحاب الكَهفِ، أَطبَقَ عَينَيهِ، وأَغلَقَ أُذنَيهِ، وكلبُ هوى كِراعَيهِ، باسطٌ ذراعيه، وما لهذا العقيم في النوم المُقيم كأَصحاب الرقيم، وَلَيلُ المُستَقيم لَيلُ السَّقيم، فطوبى لطائفةٍ يطوفون بكعبةِ النَواجِع، وَيَضجُّون ضَجيجَ الورق السواجع، وتَتجَافى جُنُوبُهم عَن المضاجِع، طاعةٌ أَيُّ طاعةٍ قَد حَوتَها ذَنُوبُهم، لا يَنامُونَ لَحظةً تتجافى جُنُوبُهم يَعجُّونَ بمطلوبهم ويَهجُّونَ بمحبُوبِهم، ويَذكرُونَ الله قِياماً وقُعوداً وعلى جُنوبِهم، يقولون يَفعَلُ اللهُ ما يَشاءُ وَيتلونَ اللهُ يَبسُطُ الرِزقَ لِمَنْ يَشاءَ، ويَطوونَ النَّهار على طوى الأحشاء، ويسوّونَ بينَ الغَداء والعَشاء، ويَصلُّونَ الفَجرَ بوضوءِ العِشاء، فَهُم لله قائِمونَ، ولله هائِمونَ، ولله صائِمون، ولله سائِمونَ، عِند الله فطُورهُم وعلى الله سحُورهم، ومن الله سُرُورهم والى الله أمورهُم، فهو يطعِمهُم ويَسقِيهم ويَعصمهم ويَقيهم ويُغنيهم بما يُرقيهم ويُنعِمهُم بما يُبقيهم، فَيحلُّ جنونَهُم في موارد الاجتهاد، ويُكحِّلُ عُيونَهُم بمراود السُهَّاد، حتى يَتبيَّنَ الحقُّ من الباطِل والصدقُ من العاطِل، ويتَعيَّن لهم العلمَ من الجهل، والحَزَن من السَّهل، ويتَّضِحُ لهم نورُ الإيقان

من غُمَّةِ الشَكِّ، وفجر الإيمان من ظلمةِ الشرك، وسرورُ الصُبح بأَنواره، وظهُور الربح بأَطواره، فَيمُدَّ لَهم من فوائِد الأمرِ، وعَوائدَ العُمرِ، مَوائدَ الأجرِ، ويَردَّ لهم عن مواضع الذِكر، ومواقع الشُكرِ، محائدَ الحِجر، ويقال كُلُوا واشرَبوا حتى يَتَبيَّنَ لكُم الخَيطُ الأبيَضُ مِن الخَيطِ الأَسودِ من الفَجرِ، مَرحَباً أَهلاً وسَهَلاً بالكِرام الماجدين، هذِه جَنَّاتُ عَدنٍ، فادخُلُوها خالدينَ فأولئِكَ عُبّادُ الله الرابِحُونَ أُولئِكَ عِبادُ الله الصَّالِحُونَ، أُولئِكَ حِزبُ الله المُصلِحونَ، إلّا إنَّ حِزبَ الله هُمُ المُفلِحُونَ فكُونوا منَ حِزبِهِ وادنوا من قُربِهِ، وفُوزُوَا برحمَتِه وحُوزوا من نِعمَتِه، واهاً لَكُم لا تَجهلُوا، لا تُعرِضُوا عن نِعمتِهِ، فَأووا الى كهفٍ لَهُ ينشر لَكُم من رَحَمتِه.

ماذا وَقَد عَلِمتُم، جلالُنا رفيعاً، احسانُنا قَديماً، أفضالُنَا وسيعاً كَلَّا فلا تُبالوا أنْ تأكلوا جميعاً، خَالقٌ رَؤوفٌ، ورازقٌ عطوف وكفيلٌ رحيم ووكيلٌ كريم، ومتفضلٌ أَبديٌّ ومتطوّلٌ سرمديٌّ وأعلاق وحدود، وأرزاقٌ وجدود، ورواقٌ مقصود، وبساطٌ مصمودٌ وسماطٌ ممدودٌ، نفايسهُ وافرةٌ، وفرائسه متظافرة، عليه أَنواع كلهم جياع وأصناف، كلهم أضياف، هذا يَأكلُ بسيراً[1]، وهذا يحمل كثيراً، هذا يلقطُ البَسَّات[2]، وذاكَ يضبط الفُتات، ذا يجمع بِجُمعَةِ الصاع، وذاك يَلطِعُ[3] ركحة[4] القِصاع، وذا ينهش اللحم فسيخاً وآخر يشلش[5] الشحم مَسيخاً[6]، ذا يختار الثريد، وذاك يتناول بالتأنّي وذاك يتطاول بالتَجنّي ذا يسقطف الملامة وذاك يخطف بالوقاحة، بعضهُم يقَنَع بالقليل وبعضهم لا يشبع بالجليل، بعضهم يترَوّى بالغَلالة، ويَتجزَّى بالخَلالة، وبعضُهم يَتملَّى كالخمرِ الخَمَّالة والبقر الجلّالة، بعضم يتناول بالآداب الشايعةُ وبعضُهم يَأكلُ كالكلابِ الجائعة، بعضهُم يَشكُر الأدنى، وبعضهُم يكفّر الأَسنى، بعضهم يحمد سائر الأحـوال، وبعضهم يجحدُ ظاهر الأفضالِ، وكُلٌّ خليقٌ بما أُطلِقَ لَهُ، وكُلُّ حقيقٌ بما أُغلِقَ له، وكُلُ مُبصَّرٌ لِما فُلِقَ لَهُ، وكُلٌّ مُيسَّرٌ لِما خُلِقَ لَهُ، كُلُّ الخليقةِ ضيفٌ وما في الحقيقةِ كَيفٌ، ولا في النعمةِ زَيفٌ، ولا في القِسمة حَيفٌ،

---

(١) بسيراً: ((البُسُر أوله طَلَعٌ ثم خلالٌ ثم بَلَحٌ ثم بُسرٌ ثم رُطَبٌ ثم تَمرٌ الواحدة بُسرَةٌ وبَسُرَةٌ والجمع بُسراتٌ)) الصحاح ١/ ٩٢ مادة بَسَرَ.

(٢) البَسّات: ((فُتات الدقيق والسَّويق ويُقال له البَسيسَة)) أساس البلاغة ١/ ٤٦ مادة بَسَّ.

(٣) يَلطِعُ: ((لطعهُ بلسانه أي لَحَسه)) أساس البلاغة ١/ ٣٤٢ مادة لَطَعَ.

(٤) ركحة: ((الرُكحَةُ قطعةٌ من الثريد تبقى في الجَفنةِ وَجنفةٌ مُرتكحَةٌ أي مُكتنزةٌ بالثريد)) الصحاح ١/ ٥٠٤ مادة ركح.

(٥) المُتشَلشِلُ: ((الذي تَخَّددَ لحمهُ)) الصحاح ١/ ٦٨٣ مادة شَلشَلَ.

(٦) السيخ أو السَّفود ((حديدة مبرومةٌ تُنَظَّمُ فيها قطع اللحم ثم تُوضَع على الشِباك)) الصحاح ١/ ٦٣٥ مادة سيخ.

يجمعهم في المحاطِ المنيع على السماط الوسيع، ويَنزِلهُم على نُزلٍ مَقسوم، وما نُنَزِّلُه إلّا بِقَدرٍ مَعلوم، ويُبسط لَهُم من لُطفهِ ما يشاء ويقدر، ويتلو عليهم اللهُ يَبسِطُ الرزقَ لِمَنْ يشاءُ ويَقدِرُ، لا شَحيحٌ ثم ولا مُعتاز، ولا ترجيحٌ[1] ثَمَّ ولا امتياز، وإنْ تزاحَمت الأرذالُ على المُقدَّر وتَلاطَمَتْ الأَنذالُ على المُصدِّر، وتَراكَمَت على رِزقِ الدَيّانِ بتقاحُمٍ وتَهافُتٍ، فَما تَرى في خَلقِ الرحمن من تفاوتٍ، فإنَّ شأنكَ شَيءٌ من خُطُورٍ، فَارجِعِ البَصَرَ هل ترى مِن فطورٍ، فَليكُنْ عَمَلُكَ مَبرُوراً، وَسَعيُكَ مَشكُوراً، واتلُ عِندَ ذاكَ مَسروراً، إنَّما نُطعِمكم لوجهِ الله لا نُريدُ مِنكُم جَزاءً، ولا شكوراً، ولا تَكُنْ مِنَ الأَرذالِ، فَتهجمَ على الأَفضال، فَتَأخُذَ ما قُسِمَ لك في دهرك، وتنبذ شكرَهُ، وراء ظهرك، كُلُّ إفضالٍ أتى مِن صَوبِنا، صَوبَهُ لُطفاً به أنكرَهُ لَيسَ إلّا مُعرِضاً عن حَقِّنا، قُتِلَ الإنسانُ ما أكفرهُ.

(١) في الأصل نَمَّ.

أَنتَ تَدري ما الذَّي، كان مِن كونٍ وما، مَا الذَّي أَدريك ما، ثُمَّ ما أَدرَيك ما، شموسٌ مُنكَسِفةٌ ونفوسٌ مُتَخسِّفَةٌ، وأَقمارٌ مُتفتِّتَةٌ، وأَنوارٌ مُتَشِّتتَةٌ، وأَزهارٌ هاوية، وأَطوارٌ واهيةٌ وأَحوالٌ متناقِضةٌ وأَفعالٌ مترافضةٌ، وأَعمالٌ متزاحمةٌ، وآمالٌ متقاحمةٌ وأَعلامٌ غايرةٌ وأَحلامٌ حايرةٌ وأُمورٌ عجيبةٌ ودهورٌ غريبةٌ، لا يُدرَى ظاهِرُها مِن باطِنها، ولا حاضِرُها من كامِنها ولا جَليُّها من خَفيِّها، ولا مليُّها من خليِّها، ولا خفيُّها من أَخفاها، ولا صفيُّها من أَصفاها، وقد تَبلَّجَ الغَسَقُ بأسراره، وتَبَهَّجَ الفَلَقُ بأنوارِه، ولاح الصباحُ وراح المصباحُ، وفاح الفلاحُ وصاحَ الصَلاحُ وهَدَرَتْ الحمائم وظهرت الضمايم، وَرُفِعَتْ الغمائم، وَوُضِعَتْ العمايم، وَلا يَدري أَينشَقُّ عَمودُ الصُبح ويَتفتَّقُ صَمودُ الربح عن يومِ خَيرٍ وعَلاءٍ أَو يَومِ خَيرٍ وبلاءٍ، أو عن يومِ عيدٍ وسرور، أَو يوم كيدٍ وغرورٍ، أو عن يومِ إسعادٍ وسُعودٍ أَو يومَ عادٍ وثمودٍ، إلّا أَنَّ الغَيبَ لا يدركه ذو العَيب، ألاَ أنّ عبدَالله، لا يعلم ما عِندَ الله، ألاَ وإنَّ علم المَعاد لا يُدرَكُ بالاجتهاد ألاَ إنَّ كنوز مَصابيحَ العلم الأسنى لا تُفتَحُ برموز مفاتيح العِلم الأَدنى، ما للحمأ المَسنون، ذي العلم المَضنُون، والعِلَم المكنُونَ وما سيكون بعد المَنون وما للترابِ الأَبلى والعَلَم الأَعلى وما للواهي اللّاهي والعِلم الإلهي، وما لهذا المَقصوص، والعِلم المخصوص، هَيهات لقد انقطعت الأَلبابُ وتَقَطَّعت الأَسبابُ، وكَلَّت الأبصارُ وَوَلَّت الأَنصارُ، وَطَمِسَ أَعلامُ الوادي، وَرُكِسَ اعلامُ المنادي، وغارَ عَصفُ الحادي، وَحارَ طَرفُ الهادي وَصاحَ الصايحُ وَناحَ النايحُ وَضَلَّتْ القافِلةُ، وَهَمَّتْ الهامّةُ وهَلَكَتْ الراحِلةُ وطَمَّتْ الطامَّةُ فعامُوا بِنفُوسِهم وهامُوا على رؤُوسِهم وتَفرَّقوا أَشتاتاً عَباديدَ، وتَمزَّقوا بين أَوهادٍ وأَخاديد، يَدورونَ بالحَيرة سكارى ويمورونَ[1]

(١) مارَ: ((أي تَحرَّك والمَورُ الطريق والمَورُ المَوج وناقةٌ مَوّارةُ اليد أي سريعة، والمُورُ بالضم الغُبارُ بالريح)) الصحاح ٢/ ٥١٩ مادة مور.

بالسكرةِ حَيارى، يرمى بهم إمضاءُ حَدِّ القضاءِ في فضاءِ ضِد الرضاءِ، فيخبطون بِمَرمى الويل والثبور، خَبطَ الأعمى في الليل الديجور ويُنادونَ الدَليلَ العَليمَ ويَضجُّونَ تَأسفاً ويُناشدونَ الشَفيعَ الحَميم ويَعجُّونَ تَلَهُّفاً وهو يجيب مُلتَهباً ويقولُ مُنتَجِباً إنّي تَطيَّرتُ بكتابي وكتابِكُم، وتَحيَّرتُ في حسابي وحِسابِكُم، فَالصَبرُ أَجملُ بي وأَكمل بكم ولا يُدرَى ما يُفعَلُ بي لا بكُم، فَسُبحانَ الذي بيدهِ مَلكُوتُ كُلِّ شيءٍ وعِلمهُ أَحاطَ بكلِّ نورٍ وَفيءٍ، فَبادَرُوا الى طاعَتهِ، وَتَاجَرُوا في بِضاعَتهِ، وأَخلِصُوا لَهُ أُمُوركُم فإليه تَصيرُ الأُمُور، وَيَعلَمُ خائِنَةَ الأَعينِ وَما تَخفِي الصُّدُورُ، قالوا أُمُورٌ بَلبَلتْ بالَنَا، وفَرقَّت عَنّا فَريقَ السّرُور، قُلنَا اتَّقوا ثُمَّ ارتَقُوا وَإقراؤُا، ألآ الى اللهِ تَصيرُ الأُمُور.

لا تَعجلوا في حالَةٍ، تَستحكِمُوا أَفعالَكُم، لا تَترقُوا، لا تَخرقُوا لا تُبطِلوا أَعمالَكُم، لا تَنزَق في عملٍ فَتَتمزَّق، ولا تَخرق في أَملٍ فَتَتخرَّق، ولا تَعجَل في حالٍ فَتَتفرَّق، ولا تَخجَل في مالٍ فَتَخرَّق، فيا أَيُّها النزق العُجول، الى مَتى تَنزُو وَتَجول، وتَشتَغلُ وتَضطربُ وتَشتَعلُ وَتَلتَهِبُ، أَنتَ ماءٌ مَهينٌ، وكُلُّ امرِئٍ بما كَسَبَ رَهينٌ، أَتَحسَبُ أن نزقَكَ، هُوَ الذي رَزَقَكَ لا الذّي خَلقَكَ وبقدرتهِ فَلَقَك وأن عجلَكَ هو الذي يُنجِّم أَجَلَك لا الذي أَجَلَّك، وبحكمتهِ أَجَّلَكَ وإنَّ طَيشَكَ يُطيِّب عَيشَكَ، فَيُهذّب جَيشَكَ وأنَّ تردُّدَكَ يجمع تبدُّدك وينجع تَودُّدَك وإنّ جَولانَكَ، يُوفِّر أَفنانَكَ، ويُكثِّر أَغصانَكَ، ألآ إن العَجول والوقور نَجلانِ وليس الوقور كالعَجلانِ والشيطان والنبهان مَلوان[1]، والعِجَل والعُجِل صِنوانِ، والغَسَقُ والفَلَقُ صِنفانِ، والنَزق والخرق نِصفانِ، والهايش والحايِل نوعان، والجايل فرعان، ألآ إنَّ مَنْ عَجِلَ أَخابَ المأرَبَ، ومن تأنّى أَصابَ أو قارَبَ، إلّا أنّ مَنْ تَعجَّلَ أَخطأَ المرادَ، ومَنْ تَأمَّلَ امتطاءَ أو كادَ، ألآ أنَّ الوقورَ ينال بذوقِ التَأَنّي، ما لا يَروقه طَوق التَمنّي، ولا يذوقه شوق المُتعنّي، والعَجُول أَخفُّ وَضَعاً من البرغوث، وأَطيَشُ طبعاً من الفَراشِ المبثوثِ، وَرَزينَ الميادين أَمينُ الدّينِ، وزَينُ العابدين وكفَّة الرِزين، لا تَجفيها خِفَة الموازينِ، والرزين أوزَنُ الحصاةِ، أَقمَنُ[2] الجناة، أَوقرُ الأناةِ أيسرُ الهناة، والنَزِقُ كالقُطنِ المَشلوش والعِهن المَنفوش، يَتقَلَّبُ في البراري الهاوية والصحارى الخاوية والطايش كالشِيّح تَكفَحهُ يَدُ الريح في المها الفيح، إنّما الوقور كالذَهَب الصّافي، والعَجُول كَاللَّهبِ الجافي، والمتأَمِل

(١) الملوان: الليل والنهار قال الشاعر (أَملَّ عليها بالبلى الملوانُ) يُنظر: معجم شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ٩/ ٦٣٦٧.

(٢) أَقمَنُ: ((يُقال أَنتَ قَمَنٌ أن تَفعَلَ كذا بالتحريك أي خَليقٌ وجَديرٌ لا يُثنَّى ولا يُجمَع ولا يُؤَنَّث فإنْ كُسِرَت الميم أو قلت قَمينٌ ثَنَّيت وَجَمَعتَ وأَنَّثتَ)) الصحاح ٢/ ٣٤٤ مادة قمن.

كالدُرّ الخافي والمُتعجِّلِ كالجري الطافي، والنَزِقُ إنْ قُلت لَهُ تَأمّل يا رجُل، وتَمهَّل يا عَجَل، طارَ في الفلاء مُتوقِّلاً وغارَ في البلاء مُتوَغِّلاً، والخرق إنْ حَرَّكته شاش كالشذى، وإن أَزعجته طاشَ كالقذى، وكُلُّ نزقٍ هاوٍ وكُلُّ خرقٍ خاوٍ، وكُلُّ عجول ناقصٌ وكُلُّ بَرعُوث راقصٌ، وكُلُّ متأَمِّلٍ مُتكمِّلٌ، وكُلُّ مُتَمَهلٍ مُتأهِّلٌ، وكُلُّ مُتَأَنٍّ مُتَهَنِّنٌ، وكُلُّ وقورٍ شكورٌ، والخَلقُ فريقان لهما طريقان بل قِسمانِ لهما حُكمانِ فأمّا مَنْ خَفَّتْ مَوازينُه فَيَقُولُ يا ليتها كانَت القَاضِية، وأَما مَنْ ثَقَلَتْ موازينَهُ فَهُوَ في عِيشةٍ راضِيَة، فَثَقِّلْ ميزَانَك وحَلِّل أَحزانك ولا تكن في نَزَقٍ وَحَجلٍ كأَنَّكَ في فَرقٍ وَوَجَلٍ وَتَمكَّن مِن مَعنى خُلِقَ الإنسانُ من عَجَلٍ، وَاقتَصِد في الأحوال ولا تعتضِد بالظِّلالِ، قالوا أَعمالَنَا، قُلنا انظروا أَحوالَكُم لم تَقصِدُوا فيها فَلَم، يُصلِحُ لكُم أعمالَكُم.

الجوهَرُ السابعُ والثمانُونَ

مُنادي شَيبكُم كَمْ كَمْ، يُنادي في بَوادِيكم، ألآ تَبًّا لكم تُوبُوا، ولا تُلقُوا بأَيديكُم شابَ رأسُكَ وعابَ أساسُكَ وتَقوَّسَ قَدُّكَ وتَهوَّسَ جِدُّكَ واعتلَّ نَفَسُكَ واختَلَّ جَرَسُكَ[1] وَضَعُفَتْ نفسُكَ وَنُسِفَت خَمسُكَ وكَسُفَتْ شَمسُكَ وفنى عُمرُكَ ودنى أَمرُك وبقيتَ بِسماً واهياً وَرَسماً هاوياً، فالى متى تَطمعُ ولا تَسمعُ وتَلعبُ ولا تَتعَبُ وتَجورُ ولا تَحورُ، وتضور ولا تنور، وتَتعَسَّف ولا تَتَأَسَّف، قال تَبَسَّمُ الشَّيبِ بِوَجه الفتى، يُوجِبُ سَحَّ الدَّمعِ من جِفنهِ وكيفَ لا يَبكي على نَفسهِ مَنْ ضَحِكَ الشَّيبُ على ذَقنهِ، فيا مَنْ ابيَضَّ فُودُهُ وفُؤاده، فاحِمٌ وانفَضَّ وجُودُه، وعِنادِه جاحم، وخَمَدتْ ناره وحرصُه هاويةٌ وهَمَدَتْ آثارهُ وخُرصُهُ داهيةٌ، وذَهَبَ دَهرُهُ، وفَسيلُ هَواهُ فتى، ونَضَبَ نهرُه وسَيلُ مناهُ أَتى، الى متى لَعَلَّ ومتى، فما فتى هذا الفَتى فتى، أَترغَبُ في البَقاء والشَقاء وتَهبُّ عنِ اللقاءِ والارتقاء، وأَينَ الوَقاء؟ وقد نَشَبَتْ وأَنَّى البقاء؟ وقد شَبَتْ ولا يعانق الشيبةَ إلّا القبرُ، ولا يوافق المصيبةَ إلّا الصَّبرُ، تَنفَّستَ فَتَهوَّستَ ولم تعلم أَنَّك للموتِ تَنكَّستَ، ولِلفوتِ تَقَوَّستَ، لقد طارَ لُبُّكَ وغارَ قَلبُكَ وحاجَ دَقُّك وماجَ عَقُك، وتَطَوَّحَتْ نُصرتُك، وتَصَوَّحَت[2] زهرَتُك وانفكَّ نُورُكَ، واندكَّ طُورُك وَهُوِّنَ عليكَ كُلَفُ التكليف رفعاً، وَنُوِّنَ منكَ أَلِفُ التَأليفِ طبعاً، جَفَّت أَفنانُ عَواليكَ المؤرقات، وانتفت أَعيانُ لَيَاليكَ المُجتمعات، ولاحَ صَباحُك وطاحَ مِصباحُك وناحَ فصاحُك وفاحَ رواحك. صاحَ بهِ شَيبُه، أَنا الصديقُ الأَمين، أَنا البَشيرُ المُنير، أَنا النَّذيرُ المُبين تَبرَّكتَ بفنون الثمانين[3]، وما تَركتَ مَجونَ المَجانين، كأَنَّ وافَد الشيبِ لم

---

(١) أي سمعك.

(٢) تَصوَّحت: ((التَصوُّح: التَشَقُّق في الشَعَر، قال أبو عمرو: تَصوَّحَ البَقلُ إذا يَبس أعلاه وصَوَّحتهُ الريح أَيبَسَتْه)) الصحاح ١/ ٧٤٢ مادة صوح.

(٣) أي عمر مُهذِّب الدين البصري.

يَخطِمكَ وراقِدُ العَيب لم يحطمك، سُبحانَ الله أَما يَروعَكَ ما بُدِّلَ مِنكَ وحُوِّلَ عَنكَ، وما زُمِّلَ إليك، وحُمِّلَ عليكَ، أَما يَردَعُكَ مَدُّ دَارَ بالعيون وخَطَه الشيبُ خوطاً، وَقَدٌّ صارَ كالعُرجُون وقد كان خوطاً، أَما يَهولكَ مَوتُ الاخوانِ، وفوتُ الأعوانِ، وانتقالُ الشُّبَّانِ قبل الإبّانِ[1]، وارتحالُ الصبيانِ قَبلَ العِصيانِ[2]، ونُزول الأَحداثِ في الأَجداث، وحلولُ الأَترابِ في التُرابِ. كَمْ لَكَ في الرَمسِ من بَدرٍ كالشَمسِ، وكم لَكَ في الدَّمسِ من وسيطٍ يافعٍ، وكم بالأَمس من فَرَطٍ شافعٍ، تُودِّعُ كُلَّ زمانٍ أَديباً، وتُشيِّعُ كُلَّ أوانٍ لبيباً، وَتُودِّعُ كُلَّ آنٍ حبيباً، وتَهرَعُ أو تَدُبُّ على ظَهرِه دبيباً، أَتظنُّ أَنَّ هادم اللَّذات لا يَهدم لَذَّتَكَ، وأَنَّ صادم القُذَّات لا يصدم قُذَتكَ، وإنَّ هادم بناء الأمورِ لا يهدم بناءَكَ وأَنباءَك وأَنَّ قادمَ فناءِ السرور لا يَزورك كما زارَ آباءَك وأبناءَكَ، هَيَّهات أَينَ المَقَّر وأَنَّى المَفّر الى رَبِّكَ يَومئذٍ المُستَقَّر، كلا هُوَ الدَّهرُ يُهلِك الوالِدَ والوُلد، وما جَعَلنا لِبَشرٍ مِن قَبلِكَ الخُلدَ، فَمُتْ قَبلَ أن تَموتَ تَنقى، وَفُتْ قَبلَ أنْ تَفوتَ تَلقى، واندرِج في أكفّان تَرقى، وابتَهج بكُلِّ مَنْ عليها فانٍ تَبقى، وَقُلْ لمَنْ جاءَ يَتمَطّى بالضدِّ، وباءَ يَتخَطّى بالَّصدِ، أَتيتُمُ بضِدِ الذَّي يَنبَغي. فَتَبّاً لكُم ثم تَبّاً لكُم، فإنْ شِئتُم العَفوَ عمَّا مَضى فَفِرّوا الى الله أَنّى لكُم.

---

(١) الإبان: ((قال الأصمعي: أَبَنتُ الرجلَ تأبيناً إذا بَكيتُه وأَثنيتُ عليه بعد الموت)) الصحاح ١/ ٥ مادة أُبنَ، و((يُقال أَبَنَهُ إذا عابه وأَبَّنَه مَدحَهُ وعَدَّ محاسِنَه وهو من باب التفزيع وقد غَلَبَ على مدح النادِب تقول لم يَزَل يُقرّظُ أحياكم ويُوبِّن مَوتاكُم)) أساس البلاغة ١/ ٢ مادة أبن.

(٢) العِصيان: أي التقدم في العمر وتكاثر المعاصي عند الإنسان.

الجوهر الثامنُ والثمانُونَ

ألآ فِرُّوا الى الله، أَطيعوا ساعِيَ الله، فَكَمْ يَدعُوكم كَمْ كَمْ، أَجيبُوا داعَي الله، ألآ أُخبركَ بالسعيد حق السّعيد، مَنْ صَعَدَ الى ذَروةِ الوعدِ والوَعيد، وبَعُدَ عن هَفوة الضّلال القريب البعيد، فَقَامَ بنصاعةِ حُبِّه وهامَ في طاعةِ رَبِّهِ، رُغِّبَ في الفضائل فَرَغِبَ وغابَ وَرُهِّبَ من الرَّذايلِ فَرهَبَ وذابَ، فهذا سعدٌ بنجابةِ الإجابة وصعدٌ[1] بإصابة الإنابة، والشَقيُّ مَنْ رابَ فلا أَجابَ وخابَ فلا أَنابَ، بل نَظَر فتوخّى العُجابَ، وأَبصَرَ الحقَّ فارخى الحِجابَ، والناقصُ قليل الحذر، كليلُ النظر سَخيفُ الحال، حَليفَ المُحالِ والخالص عَليُّ التَأَملِ، جَليُّ التَجمُّل واسِعُ الأَدم راسخُ القَدَم مأمورُ الأَمرِ، مَعمورُ العُمرِ، بادَرَ الى إجابة مَنْ خَلَقَه سَويّاً، وَرَزَقَهُ قَويّاً، والى عِبادة مَنْ نفعه رضيعاً وَرَفَعَه وضيعاً، والى سَعادةٍ مَنْ أسفه برحمتهِ واتحفه بنعمته. لابل شغله لذّةُ النداء عن تُحفةِ الجواب ونجائبِهِ، وذهله حَقِّيةُ الدُّعاء عن بُغيةِ الثواب وعجائبه، إلّا أنَّ السَعيدَ مَنْ سَعُدَ بالطاعةِ والبَعيدُ مَنْ بَعُدَ بالإضاعةِ، ألآ أن الطريقَ ظاهرٌ، والحقيقُ باهرٌ والحُصول واضحٌ والوصول لايحٌ فاسلكوا الطريقةَ تَملِكوا، ولا تَتركوا الحَقيقةَ تَهلِكوا، فمَنْ سَلَكَ فمرحباً بالسالكين، ومَنْ تَركَ فَتَّباً للهالكين وإنْ فَرِحَ المُخلَّفُونَ بِمَقعَدِهم فهنيئاً للمُسافرين، وإنْ مَرَجَ المُلَهَّفُونَ بمفقدِهِم فمريئاً للظَّافرين، وإنْ يَكفُر بها هؤلاء فَقَد وَكَلَنا بها قَوماً لَيسُوا بها بكافرينَ، فاظفر بها، ولا تَكفُر بها، وأَسلكها ولا تتركها واحفظها ولا ترفضها، وتَعلَّق بنطاقِها وتَخلَّق بأَخلاقِها، تَكُنْ مِن السُّعداءِ السالكين، والصُّعداء المالكين[2] وقُلْ للقعداء الشاركين والبعداء الهالكين، ألآ فارقوا الى هذه الفَذلكَةِ، ولا تُلقوا بأيديكُم الى التَهلكَةِ، عَرَّفناكُم إيّاها كيلا تُبقوا ضُلّالاً فارقُوا تَتَقوا لا تَشقُوا، إنَّ لَدينا أَنكالاً.

---

(١) صعدٌ: ((تَصعَّدني الشيء إن شَقَّ عليَّ وعذابٌ صَعَدٌ أي شديد)) الصحاح ١/ ٧١٩ مادة صعد.

(٢) في الأصل المالكين.

الجَوهَرُ التاسِعُ والثَمانُونَ

اللهُ خَيرٌ وأَبقى، والكُلُّ للكُلِّ عِندَه، لَنْ يُعجِزَ اللهَ شَيءٌ لَنْ يُخلِفَ اللهُ وَعدَه، فمالك تَثِبُ على هذه الكَثِيفةِ الزائفة وثُوبَ الكلبِ على الجِيفة الجايفة، وتَطوفَ حولها وتسوفَ بولَها، وَيلَّكَ إنّها جِيفةٌ يجنّها خِيفة، فَولِّ عَن دنيَّةِ هذه الجِيفة، فإنّ كِلابَها كثيرةٌ ومنازعتها عليها كبيرة، ما صُنْعُ كلبِ البُستان مع سائر كلاب الشيطان، ولَعلَّكَ تظنُّ أن لها بهجةً مَحبُوبةً، ولهجةً مطلوبةً، كلّا فإنها بهجةٌ موهومة غرورية ولهجة مَشئُومة شروريَّة، فلا تَغتَر بزخارفها الخالية فإنّها بلاء، ولا بمطارفها البالية فإنّها خلاء، ولا بِدُولِها فإنّها حِوَلٌ ولا نُجولِها فإنّها صُوَلٌ، ولا بسرورها فإنَّهُ شرور، ولا ببخورِها فإنَّه غرور، ولا بإحسانها فإنَّهُ سنانٌ، ولا بإنسانها فإنَّهُ لسان، ولا بدنانيرها فإنَّها زنابير، ولا بزنانيرها فإنّها تنانير، ولا بدوائها فإنّهُ داءٌ ولا بغذائها فإنّه بلاء، ولا بمائها فإنَّه ظماء، ولا بنمائها فإنه صَمَّاء، واعتَبِر بدنيةٍ طَولُها ونَولُها هَوَاء، وبليَّةٍ قَولُها وبولُها سَواء، فما لَذَّة السَّالِك في دار عُسرِها ضرٌّ ويُسرِها شرٌّ، وعَنيُّها[1] حَقيرٌ وغَنيُّها فَقيرٌ، فاقدُها خَميصٌ، وواجدُها حَريصٌ، طالبُها مُخِفقٌ وصاحبها مُشِفقٌ، آمِلُها ساغبٌ، وحامِلُها لاغِبٌ، مُؤتي يَسيرِها مستقلٌ، ومُعطي كثيرِها مستقيل، فهي أَمّا مفرَّطة طَولاً ومَيلاً، أو مُفرِّطة نولاً وَوَيلاً، فاتصافُها بالإنصاف اعترافها بالاعتساف فَمثلُها لدى أكياسِ الناسِ، كَمَثلِ المَداسِ، أمّا ضَيِّقٌ حَرجٌ فَيَغِيرُ بالجفاء دون الوفاء، يُضرّ الكُعوبَ وَالعرقوبَ، فيبلبل البالَ، وأَمّا واسعٌ منفرج فَيُثير العفاء على القفاءِ، وَيُغبِر الذيولَ والجيوبَ، فيصلصل البلبال، وكُلٌّ أَتعَسُ من صحيبه وأَنحَسُ من رَقيبه، فاستعمالُ هذه المكاعب، والانتقال بهذه المَتاعِب من مصائِب المصايب، ومصائب المصاعب، فطوبى للتارك الوافي في

(١) الأعيان.

هذه الهوافي، وبُشرى للسَّالِك الحافي في هذه الفيافي، فاترك وافياً، وأسلك حافياً ـ واستتر صافياً واعتبر خافياً، وتَجرَّد نافياً، ومنفرد لافياً، واتَخِذ رَبَّكَ وكيلاً كافياً ومِثلَكَ كليلاً هافياً، فهناك تَرى الهَلكةَ كافّينَ والتَركَة صافّينَ، والسَّلكَة خَافّينَ، والملائِكَةَ حافّينَ. فاصعد في صاعد البقاء وأَسعد بمقاصد الإرتقاء ولا تنزل بمُعرِّس الفناءِ فَبِئسَ المُعرِّس، ولا تعتزل بِمُضرِّس العَناءِ فَبِئسَ المُضَرَّس وأَضمُم إليكَ من جَناحِكَ المُهَوَّسِ فإنَّك بالخافِق المُقوَّسِ واخلع نَعليكَ إنَّكَ بالوادي المُقدَّسِ، فَتَقدَّس بقُدسهِ واستأنس بأُنسهِ، وتطوّر بطُورِه وتَنوَّر بنورهِ وقُلْ لهذا المُطاعِ الذليل الجاني، أَلهذا المَتاع القليل الفاني، كُلُّ هذا الصراع الطويل العاني، فارغَب ياعَبدَ الله فيما عِندَ الله فإنَّك سالِكُ الطَريقةِ، هنالكُ الحقيقة، ألآ وبياضِ الأكفانِ وحِياضَ الأجفانِ، إنَّكَ مَيِّتٌ وإنَّهُم مَيِّتُونَ وكُلُّ مَنْ عَليها فانْ، كُلُّ نَفسٍ ذائِقةُ، فَاختَبر يا سالِك فاعتبرها واعتَبِر، كُلُّ شيءٍ هالِك.

الجَوهر النِسّعونَ

ذي حِكمَةٌ ترامَتْ آراؤكم إليها، فُزتُم بِها وأُخرى، لَم تَقدِروا عليها، هُوَ الحكيمُ العَليمُ هو اللطيفُ الخَبير، هو العَزيزُ المَجيدِ هو العلي الكَبير، هُوَ الغَنيُّ الحَميدِ هُوَ السَّميعُ البَصير، هُوَ العَليُّ العَظيم هُوَ الحكيم الخَبير، رُبَّ ذي مِحنةٍ شكور وَرُبَّ ذي مِنحةٍ كفورٌ، وَرُبَّ مُعسِرٍ كريمٌ، وَرُبَّ مُوسِرٍ لئيمٌ، وَرُبَّ مضطرٍ مُؤثِر، وَرُبَّ معترٍ موسِرٌ، وَرُبَّ شاكٍ شاكرٌ وَرُبَّ باكٍ ماكرٌ، وَرُبَّ طاوٍ مُتشَبِّع وَرُبَّ خاوٍ مُتَقبِّع، وَرُبَّ جايعٌ مِطعامٌ، وَرُبَّ ضايعٌ مقدامٌ وَرُبَّ صادقٍ مُكذَّبٌ، وَرُبَّ ناطقٍ مُعَذَّبٌ وَرُبَّ عالِمٍ تقيٌّ مغمورٌ وَرُبَّ ظالِمٍ شقيٍ مَعمُورٌ، وَرُبَّ حسناء حوراء مردودةٌ وَرُبَّ خرقاء عوراء مَحسُودةٌ، حركاتٌ متناقضةٌ وأَخلاقٌ متعاكسةٌ وملكاتٌ متناقِضَةٌ، وأعراقٌ مُتشاكِسة وحُدودٌ متباعِدة وجدودٌ متجاهدةٌ أمرٌ واحدٌ وأحكامٌ متعددةٌ، وقَدرٌ مفردٌ وأرقامٌ متجَدِدَة، وحدة واحدة وكثرات متكاثرة، وعِلةٌ واحدة، ومَعلولاتٌ متناثرة، وقِدرةٌ غالبة وأَقدارٌ مُتبادِرة وحِكمةٌ بالغةٌ وأطوارٌ مُتَصادرة، وفيضة مضمونة وأَرواحٌ مُتغايرةٌ، وَبَيضةٌ مَكنونةٌ وأَفراخٌ مُتطايرة، وكلمةٌ قُدسيَّة تُبرج الإيمانَ والكُفرَ، كخابية المَسيح تَخرُجُ الحُمرانَ والصُّفرَ، ونِعمةٌ فَيضيَّة تعم الأعلى والأخفض كمائدةِ الكريم تَلُمَ الأَحلى والأَحمض، والنَيِّرُ بنوره، يُلوِّنُ الحجر[1] والياقوتَ والنجار بَقدُّومِهِ[2] يُدوِّر[3] السَّريرَ والتابوتَ، والقَمرُ يُنمي ويُمزِّق والماءُ يُنجي ويُغرِق، والنارُ تَشوي وتَحرِق، الفاعلُ واحدٌ وإنْ تفاعلت المَفعُولات، والعاملُ فردٌ وإنْ تقابلت المَعلولات، والدعوةُ واحدةٌ وإنْ تغايرت مقالاتُ الرُّسُلِ، والوجهة واحدةٌ وإنْ تنافرتْ جهاتُ السُّبُلِ ثِمارٌ تُسقى بماءٍ واحدٍ، وتُفضَّلُ بَعضُها على بَعضٍ في الأُكلِ، فسبحانُ مَنْ

(١) في الأصل الخبرَ.
(٢) القَدوم الفأس.
(٣) في الأصل يدوّن.

برحمته يُطعِمُ ويَسقي، وبرأفته يُنعِمُ ويُبقي، وبحكمَتهِ يَتفَضَّلُ ويُجمل، وبنعمتهِ يَتَطَوَّل ويُكمِل، فكُنْ عَبدَهُ، تَنَلْ ما عِندَه، واعرِفهُ وَحَدهُ، فَكلُّ شيءٍ عِندَهُ، وكُن مَعَهُ، تكُن سَمْعَهُ، وقُل لمَنْ تخلَّف وبتعسُّفِه تَكلَّف، قَرَّبَني حُبّي هَذَّبني قُربي، يا بَهجَتي دُومِي، إنَّ مَعي رَبّي، قُومُوا وخَلّوني، ومَنْ لَهُ حُبّي، لا تَقرَبُوا وَلوَّاه[1]، إنَّ مَعي رَبيّ.

(1) قد تكون ويلاه.

سُبحانَ مَنْ عِلمُه في كلِّ نُورٍ وَفى، وَهُو العَلِيُّ العَظيم، وَهَو على كُلِّ شيءٍ، أُمورٌ مربوطةٌ، وشهورٌ مضبوطةٌ، وأَحكامٌ مضروبةٌ، وأعلامٌ منصوبة ومقاصد مرصودةٌ، ومراصدُ مَقصودةٌ، وأُصولٌ مقررةٌ، وفصولٌ مُحَرَّرةٌ، وحدودٌ مَرسومةٌ وجُدودٌ مقسومةٌ، وأَعلاقٌ مُدبَّرةٌ، وأَرزاقٌ مُقدَّرةٌ، ولِكلِّ واردٍ حقٌّ من الزمان أَما ساعَةُ أو سُويعَة، ولكلِّ وافدٍ رزقٌ على المكان أَمّا قَصعَةٌ أَو قُصَيعةٌ ولِكُلِّ ناعمٍ نعمةٌ أَمّا طُعمَة أو طُعَيمة، ولُكلِّ طاعمٍ طُعَمة أَمّا لُقمةٍ أَو لُقَيمة، أَما يَعجبُ أَهلُ الحُبِّ من حَسدِ الكلبِ للدُّبِ، وحسد الحَملِ للجمل، والسَنُّور للثّور، والعصفور لليعفور، والغُراب للعُقاب، أَما يَعجب أُلوا الألبابِ، من الذياب للكلاب، والكلاب للذِئَاب والذئابُ للدوّاب، أَما يَطربُ ذو الرأي الجزلِ، من غصَةِ[1] الطليح[2] على القلايص[3] البُزلِ[4]، حسداً على ما أُتيت من بسطةِ النُزل، أَيحسِدُها على القوتِ الذي به لا تَموت أم على ما حُمَّ لها من حَقِّها، وقُسِمَ لها من رزقِها، أَم على ما يُوافِق أَحوالَها ويُطابق فِعالها، أَيحسِدُها على طعامِها وشرابِها، ولا يَنظُر الى قوةِ مَطعامِها، وقدرةِ مِشرابها، ولا الى رحبة أَرجائها، وفُسحةِ أهابِها، وكُثرة إيّابها، وذَهابها وَشدَّة كرابها أَو عذابها، ولا يرى سِعة بطانها وأَغلافها ولا عَظَمةِ أَركانها وأَجوافها ولا مَنفَعة أَلبانها وأَصوافها، يَرى

---

(١) غصّة: ((االغَصَّةُ الشجى والجَمع غُصَصٌ والمنزلُ غاصٌ بالقوم أي مُمتَلئ بهم)) الصحاح ٢/ ٢٠٠ مادة غصص.

(٢) الطليح: ((طَلَحَ البعير: أَعيّا فهو طليح وناقة طليح أسفارٍ إذا جهدها السير وهَزلها والطَلَحُ بالكسر المُعيي من الأبل)) الصحاح ٢/ ٤٥ مادة طَلَحَ.

(٣) القلايص: ((القلوص من النوق الشابّة وهي بمنزلة الجارية من النساء، وجمع القلوص قُلصٌ وقلائِص وجمع القُلصِ قِلاصٌ وربما سَمَّوا الناقة الطويلة القَوائم قلوصاً)) الصحاح ٢/ ٣٣٥.

(٤) البُزل: ((بَزَلَ البعير فَطر نابُهُ أي انشق فهو بازلٌ والجمع بُزلٌ وبُزَّلٌ وبوازِلٌ)) الصحاح ١/ ٩١ مادة بزل.

أَقواتَها وأَعلافَها، ولا يُرى نُعوتَها وأَوصافها، فيا مغلوبَ اللُّبِّ ويا مَقلوبَ القَلبِ، ويا مَحجوبَ الاختبارِ، ويا مجبوبَ الاعتبار، لا تَحسِد أَخاكَ في الله ولا غيرَهُ مِن عباد الله، على شيءٍ من نِعم الله، فَلَعلَّه أَصلح لحاله لا لحالك، وأَفلَح لِمالِه لا لمالِكَ، ولا تغبطه على متانة الطعمة، ورَزانة اللُّقمة، فَلَعَلَّ وعاءَهُ أَجمَع من وعائِك، وأَمعاؤه أَوسع من أَمعائِك وهاضمته أَهضم من هاضِمتِك وَقاضمتُه أَقضَم من قاضِمتِك، فلا يعلم خَفيّات الأمورِ، إلَّا العَليم بذاتِ الصدورِ، فلا تَعمَل وَتَجرِ فيما لم تعلم وَتَدرِ، وإيَّاك أن تَنظر مَضامِنَ أَحوالِ الحقِّ بناظر الحالِ الأَحول، أَو تحفر مكامن أَغوال الرزق بحافر المِعولِ الأَهولِ، وإذا رأَيتَ مَنْ يَجذُبَ الحَقَّ بتماوتٍ، ويطلب الرِّزقَ بتَهافت، فما تَرى في خَلقِ الرحمنِ من تَفاوتٍ، وإذا رَأَيتَ الغَنيَّ والعَنيَّ يَرتفقانِ في دحورٍ وخطورٍ، وَيَتَّفقانِ في سُحُورٍ وفطورٍ، فارجَع البَصَرَ هل ترى من فُطُورٍ، فسُبحانَ مَنْ خَلَقَ الأَشياءَ وَرَزَقَ الأَحياءَ وأَحاطَ بكلِ شيءٍ عِلماً وأَناطَ بكلِّ نورٍ وَفَيءٍ حُكماً، فلا تَحسِدْ خَلقاً ولا تُفسِدْ خُلقاً، فإنَّكَ عَبدُ الله ورزقَك عِندَ الله، وَقُلْ لمَنْ حَسَدوا ويَحسِدونَ، ما تَلوناهُ عليكَ وَفَسدوا ويَفسِدون ما أَلقيناه إليك، فَإنهُم قَبَّحُوا بتجويد طَبلِ الحَسَدِ وقُبحوّا التقليد حَبلِ المَسَدِ، لَقَد قَصَدُوا قَتلَ أمرءٍ حَسَداً لَهُ، على نِعَمٍ ما قَدْ بها أَنعَمَ اللهُ. فَقُلتُ لهم وَلُّوا سبيلَهُ وَخَلُّوا ولا تَقتُلوا النَّفسَ التَّي حَرَّم اللهُ.

تَوجَّهتم وَوَجَّهتُم الى الدينار والدُّنيا، ما أَنذَرتكُم ناراً، أَلَم أَعهَد إليكُم يا، فما تَصنَع ببلبال هذه البَلِيَّة وما تَدفَعُ بخلخال هذه الخلية، فَهَلَ عَرفَتَ شأنها، وهل وَقَفتَ على ما شأنَها، ويك إنّها أُمُّ الأرذال، وغَمُّها غَمُّ الأَنذال، سَحّارة الدهرِ ومَكَّارتُهُ، وعَيَّارةُ العصر وغدّارته، سالبةُ الأَفراح بغرورها جالِبةُ الأَتراح بشرورها، قَالِبةُ الأَقداحِ بِتقلّبها غالبةُ الأرواحِ بِتَغلّبها، فاتركها لأولادِها، وأفركها لأفلاذِها، فإنَّها أُمٌّ عارة ولا يَطمعُ في العائرة إلّا ذِئبٌ عارٍ، ولا يقلع الى الغارة إلّا كلبٌ ضار، نَبّاحٌ وثابٌ، ضبّاح ثَوابٌ نذل ملاء ذَنوبه من الذَّنوب، وخبوبه من العيوب، مالٌ فتمَوَّلَ وحالٌ فَتحوَّلَ، حارٌ فتذلذلَ ذَيلُه، ومار فَتَولوَل ويله، أَلِفَ النِفاقَ فَفاقَ، وحالَفَ الفسادَ فَسادَ، ونَهَبَ الذهَبَ فَذَهَبَ عن المَذهَب، وَسلبَ اليَسارَ فسارَ الى الإعسار، يَملك عَشَرةً أَو مائَةً فَيُهلِك عشيرةً أو فئةً، ينقِدُ ديناراً، فيعقدُ زُنَّاراً[1]، وَيُلهِج دنانير، فيهَّيج زنابير، ويُأَجِجُ تنانير، ويأكلُ لُقمةَ حرامٍ فَيُبطل طعمة كرام، ويكتسي حُلَّةَ جفاءٍ، فَيَستغوي ثُلةَ ضُعفاءٍ، ويُجملُ لَبُوساً فَيحمِلُ دَبُّوساً، ويَغزُّ ثُيوساً ويسخِّر جاموساً، ويَحلِفُ غَموساً فَينسِفُ فلوساً، ويعسف غَرُوساً ويَخطِفُ عَرُوساً، ويَفوقَ بعيراً فَيُسوقَ عِيراً ويَركبَ تَيساً، فينهبُ عِيساً، فَبئساً له من مردود، وتَعساً له من مطرودٍ، فاعتبر بأَمثالِه ولا تَنظر الى تِمثالِه، نِسناسٌ عليه لِباسٌ، كأَنَّه ناسٌ، دنيٌّ عليه بردٌ عَدَنيٌّ، كأَنَّهُ مَدنيٌّ وفتانٌ[2]،

---

(١) زُنَّاراً: ((الزنانير: مفردها الزنار، كلمة يونانية النجار يُراد بها الحِزام أو المنطقة)) مدارس العراق قبل الإسلام، روفائيل بابو إسحاق: ص٦٠، وقال الدكتور ابراهيم السامرائي: ((الزنار: منطقة تُشَد في الخصر وقت الصلاة مُشتَمِلة على صليبٍ وقد وردت في أدب الديارات كثيراً وفي شعر أبي نواس بخاصةٍ)) الألفاظ النصرانية في العربية، مجلة الأستاذ عدد ١٤ سنة ١٩٦٧م.

(٢) فتانٌ: حمار.

عليه كتّانٌ، كإنَّهُ تيانٌ[1]، وجِدارٌ عليه صِدارٌ كأَنّهُ حِمارٌ، وقامَةٌ عليها هامَة، وهامة عليها عِمامَة، مِلؤُها قُمامَةٌ، دُبٌّ يسود غمراً مُستَنكَرة، وَذِئبٌ يذود نُمُراً مُستكثَرة، وكَلبٌ يقود حُمُراً مُستَنفَرة، فَبُعداً للمُغوِّيّ والغاوي والمُعوّي والعاوي وسُحقاً للمَتلوِّ والتالي والمَقلوِّ والقالي وتَعسَاً للتابعِ والمتبوع والطابع والمطبوع، ولا بُورِكَ للزارع والمَزروع، ولا للأَصلِ والفروع إِنَّهم عَبَدةُ الدينار، وعَقَدةُ الزُّنَّار، وَوَفَدَةَ النَّارِ كلابُ الجَهالة وذِئابُ الضَلالة، أَنذالُ الواهية وأَرذالُ الهاوية، يَتَّخذونَ الفانية تجاهَ صدورهم، ويَنبذونَ الباقية وَراءَ ظهورهم، يَجولون تَكبُّراً على الكُلِّ وغروراً، ويَقولونَ مُنكَّراً من القَولِ وَزوراً، يَفرحونَ بالزخارفِ الخالية، ويمرحونَ بالمطارفِ البالية، إذا حَضَرتَ بمخارفِ الحِرمانِ تَحلُّوا، وإذا ذَكَرتَ رَبَّكَ في القرآن وَحَدَهُ ولُّوا، يُصرُّونَ على النِفّاقِ ويَقرُّونَ بالوِفاقِ يَفرُّونَ من الفُرقان، ويَخرُّونَ للأَذقان، لا يَنقَبُّونَ في مأمنٍ إلاَّ، ولا يَرقَبونَ في مُؤمِنٍ إلاَّ فَويلٌ للقاسيةِ قُلوبُهُم عن ذكرِ الله، الجافِية جُنوبُهم عن أَمرِ الله، فَهؤلاء والله، أَعداءُ الله، أَشقى جَميع الأُنسِ والجِنَّةِ فَلَيبشِروا بالنَّارِ لا الجَنَّة، لأَنَّهُم مع كُفرِهم نافَقُوا، واتَخَذُوا أَيمانَهُم جُنَّة فكُن تاركاً، تكن مالكاً، وكُنْ خالِصاً تكُن مُخلِصاً، وكُنْ سَنيّاً مُوافِقاً ولا تكن دَنِياً منافِقاً، صَحِبتُ قَوماً بقَفرِ أَرضٍ وقُلتُ كُونوا على السَّكينة، فَنافَقُوني بها، وقالوا، لَئِن رَجَعنا الى المَدينَة، وقُلْ لمَنْ نافقوا أَربابَ الوفاقِ، ووافَقُوا أَصحابَ النِفّاقِ، لَقد عَلِمنا بِما فَرَضنا، ألاّ فَكُونوا على السَّكينَة، ولا تَخُوضُوا بأن تَقولوا، لَئِن رَجَعنا الى المَدينة.

---

(١) في الأصل: تيانٌ.

الجَوهر الثالثُ والتُسعونَ

لَمّا عُيونٌ مِن عُيوني جَرَتْ وَصَاحَ بي إنسانُها واشتَكا، قُلتُ فَما الشكوى ومِنكَ الهوى، يا أيُّها الإنسانُ ما غَرَّكا، فَمَنْ لِأَمرٍ تَمرمَر، وعُمرٍ تَدمَّرَ وزمانٍ طارٍ، وأوان غار وحالٍ تَحوَّل، وقالٍ تَحلَّل، وسَرورٍ فَرَّ، وغرورٍ قَرّ، ثم مَنْ لِدينٍ خَرِبٍ، وَرَهينٍ مَضَطربٍ، وأَملٍ جائرٍ، وعملٍ بائرٍ وهم زائرٍ وغم غائر، وَلبٍّ حائرٍ، وقلبٍ طائرٍ، لم يَزَل مِني فؤادي هائماً، في كُلِّ وادي، كم أُناديه الى كَمْ، وَهَو لا يَصغي التَّنادي، كَمْ أُنادي كَمْ أُنادي وافُؤادي وافُؤادي، واهاً لِقلبي فَواهاً لَمْ يَكُن مَعبُودُ قَلبي دائماً إلّا هَواهُ، فَانبُذْنَهُ يا مُهذِّب[1]، واتَّخِذ قَلباً سِواه ثُمَّ مَنْ لِذهنٍ لا يَجتَمع، وأُذنٍ لا تَستَمع ونَفسٍ لا تَرجع وشَمسٍ لا تَنجَع، وناظرٍ لا يَنظُر، وحاضِرٌ لا يَحضُر، والوَيلُ لمَريضٍ لا تُرجى عافيتُه وحَريضٍ لا تُرضى عاقبتُه وطايعٌ[2] أضاعَ طاعَته، وجائعٌ أَجاع ساعَته، وراضِحٍ[3] نَجَر طاقته، وصالحٍ[4] عَقَرَ ناقَتَه، ثم الويلُ لحريقٍ مَسَّتهُ النار، بعَذابِها وَرَضَّتُه الدّارُ بتُرابها وغريقٍ نبذه المَلّاحُ فَراحَ وأَخذَه التِمساحُ فَساحَ، وسائِمٍ استندَمهُ السُّلطانُ فَقَرَّبَه، واستخدمه الشيطانُ فَعَذَّبَه وهائمٌ استغواهُ الكبريت بتحويله واستهواهُ العفريتُ بتسويله، ومُكبَّلٌ خَبطه القاموس بخابطه، وضَغطَهُ الكابُوس بحايطه، ومُخبَّلٍ ضَرَبه النَّوى بعنايه وغَلبهُ الهوى بفنائِه، فما أَنا إلّا مريضُ العَيّ، حريض الغَيّ كُلَّما لاحَ لَهُ الشفاءُ، صاحَ به الجفاءُ، وكُلَّما قامَ به القيامُ، هام به السُّقامُ، تركه الطبيبُ

---

(١) يا مَهذِّب أي المؤلف نفسه.

(٢) في الأصل ضايع.

(٣) راضِح: ((الرّضحُ بالضم وهو النَّوى المَرضوح والمِرضاحُ: الحَجَر الذي يُرضَح به النوى أن يُدَقَّ)) الصحاح ١/ ٤٨٦ مادة رضح، و((هم يتراضحون ويتراضخون بالنشاب يَترامونَ به)) أساس البلاغة ١/ ٣٤٤ مادة رَضَحَ و((رضح: الحصى والنوى)) القاموس المحيط ١/ ٢٣٠ مادة رَضَحَ.

(٤) في الأصل طالح.

لتَعذُّر عِلاجه، وفركه الحبيبُ لتدمّر مزاجه، مَذبذَبٌ بين النجاة والوفاة، مُعذَّبٌ بَينَ الحياة والمَمات فهذ حالُه، والى الله مالُهُ، قالوا ترى الصحة مِن بَعد ما بانَتْ قُلتُ فَما الصِّحَة، يا لَيتها كانَتْ، ولا أجدني إلّا مَسبوتٌ[1] يَتخبَّطُه شَيطانُ الطُّغاة مِن المَسّ، أو مَسكوتٌ يَتشوَّطُه سُلطانُ الحياةِ في الرَّمسِّ، يَصرخُ وينادي وقد انطبقَ القَبرُ فأَينَ الصُّراخ والنداء، ويَستَصرخُ ويُفادي وقد استَبق الأمرُ فأَينَ الصريخ والفِداء، فيموت في مطرحه، مُكبَّلاً مَسجوناً، ويُنشر من مصرعهِ مُخبَّلاً مجنوناً، ولا أَراني إلّا جسمٌ خالٍ، ورسمٌ بالٍ، غارت عليه الحمقاء بعنقائِها وطارَت به العنقاء بحمقائها، يقول الى أَينَ بهذا الطيران فتقول الى النيرانِ، فيقول متى حان، فَتقول الآن فيقول الله الله، فتقول أَنّى أَمرُ الله، فيقول لا حَولَ ولا قُوةَ إلّا بالله، فَتَقول اصبر وما صَبرُك إلّا بالله، ولا أَحسبني إلّا زَنجيٌّ زَنا ولاطَ، وجنا وشاط وخصى وخان، وعصى وبانَ، ومَرَقَ وخَرقَ وسَرَقَ وأَبق، فانتَبَذَ دهراً، فَأُخِذ قهراً، وَرُدَّ الى سيّده، مكتوفاً، فمُثِّل بينَ يديه موقوفاً، بما عليه ملهوفاً ما يَدري ما يَؤُلُ إليه حالهُ، وما يَحولُ إليه مالُهُ، يتَمنّى الخلاصَ وأَنّى له الخلاص، ويُترجّى المَناصَ ولاتَ حينَ مَناصٍ، قَلبُ المُعنَّى شَجيٌّ أَنّى لَهُ من خلاصٍ، رامَ الشَجِيُّ مَناصاً، ولاتَ حِينَ مناصٍ، نَعم الأَمرُ كُلُّه لله، إنْ الحُكمُ إلّا لله، لَهفي على مريضٍ أَمراضُه حادّةٌ مُتزاحِمةٌ، وحريضٍ أحراضَهُ مُتَضادّة متقاحمةٌ، وسَقيمٍ أَسقامَهُ مُتباعِدةٌ متقادمةٌ، وآلامُه متقاعِدة، متصادمةٌ، وَهِينٌ والمزاول أَوهَنُ، ومَهينٌ والمحاول أَمهن، كَلومٌ والطبيبُ مَسمومٌ، مرحومٌ والطبيب محمومٌ، محمومٌ والورُودُ يحمومٌ، عجاجٌ والثملُ أُجاجٌ وفُجاجٌ والحِمل زُجاجٌ عليلٌ والعليلُ غليلُ، غليلٌ والغليلُ عليلٌ، حمرةٌ والدواء رماد، وقرحةٌ والهواء ضماده حِيرةٌ والغُراب دليلٌ، وسكرة والعَذابُ وبيلٌ، وما أَشدُّ تَأَسُّفِي وأَمدُّ تَلهُّفِي، على شبابٍ ذابَ وشابٌ شابَ، وَأَمرٍ أَمَرَّ وعصرٍ إصفَرَّ ودَهرٍ فَرَّ، وزمانٍ تولّى، وأمانٍ تخلّى، ونَفسٍ نُسِفَتْ وشَمسٍ كُسِفَتْ وما أَعظَم صَبابَتي، وأَضرَم كآبَتي، على هُدى انتبذتُه وَهَوَىً اتخَذتُه، وعرفانٍ أَضَعتُه وشيطانٍ أطعتُه، ودينٍ بعتُه وشينٍ ابتعتُه وريحٍ صرعته،

---

(١) مَسبوتٌ: ((قال أبو عمرو: المُسبِتُ الذي لا يَتحرَّك وقد أَسبَتَ والسَّبات: النوم، والمَسبوتُ: الميِّت والمغشيُّ عليه وكذلك العليل إذا كان مُلقىً كالنائم يَغمِضُ عينَه في أكثر أحواله مَسبوتٌ)) الصحاح ١/ ٥٦٢ مادة سبت.

وقُبحِ تبعته وخيرِ دَفعتُه، وشرِّ جَمَعتُه، فَبِئساً لحالي، وتَعساً لمآلي، وسحقاً لأمثالي، فيا لَيتني إذ كُنتُ عيّاً، لم أكن حَيّاً، فآتي طَرَحتُ الشهدَ وجَرحتُ الزُهدَ، وما اتخذتُ الرحمنَ وكيلاً، واتخذتُ الشَيطانَ دليلاً، وما اتخذتُ مع الرسولِ سبيلاً، واتخذتُ فُلاناً خليلاً، فيا ليتني إذ طرحتُ الشهَد لَم أَشرب السُّمَ الناقِع، وإذ جَرَحتُ الزُّهدَ لم أَقربَ السَّهمَ الصاقع، وإذ لم[1] أَتَخِذَ الرَحمنَ وكيلًا، فياليتني لَمْ أَتَخِذ الشَيطانَ دليلًا، ولم أَتَخِذَ مع الرسولِ سبيلاً، فيا ليتني لم أَتخِذَ فُلاناً خَليلاً، إنه أَشقى خَليلاً، فاترُكَنَّهُ وانتَبِذ قائِلاً يا ويلَتي، لَيتني لَم أَتَّخِذهُ فَتُبْ الى ربِّكَ، وثبالى[2] حُبّك وصحْ بنفسِك ونُح على أَمسِك، ليغفر لَكَ ما كانَ سَقيماً، وَينجبَ لك ما كان عقيماً ويَهدِيكَ صِراطاً مُستقيمَاً، فَدعْ فَوراً هَوَ النَّفسِ، وَنُحْ بالجَهرِ والهَمسِ على أَوقاتٍ انقضَّت، كأَن لم تَغْنَ بالأَمسِ، وَقُلْ لمَنْ أَجابَ من ألباب الأَحباب، وَأَنابَ من أَحبابَ الأَلباب، قُلْ للَّذينَ ضَيَّعُوا، والعمرُ مِنهُم قَد تَلف، لَم يَنتَهُوا إِنْ يَنتَهُوا يُغفَر لَهُم ما قَد سَلَف.

(١) حذفنا إذا فقد كانت الجملة ((وإذا لم)) في الأصل.
(٢) قد تكون تُبالي (فثب الى).

الجوهر الرابعُ والتِّسعُونَ

أَموالكُم خَيرٌ فَقَد، قامَتْ بِها أَحوالُكُم، أَعمالكُم خَيرٌ لكُمْ، لا تُلهِكُم أَموالكُم نِعمَ المالُ الحَلال، ونِعمَ الحالُ الكمال، ونِعم العِبادة التَمسُّك بالثروة الأتقى، ونِعمَ السعادةُ التَمسُّك بالعُروة الوُثقى، والمالُ يُنجِحُ الآمال ويُصحُّ الأعمال، ويُنقِّحُ الأقوال ويُصلِحُ الأحوال، ويَجلِبُ السرور، ويُذهِبُ الشرور، ويَنفي الذلَّة، ويُشفِي العِلَّة، يَنبُذ بالغَمِّ والهَمِّ، ويأخذ بالأَتمِّ والأَهمِّ، يَرفَعُ الوضيعَ وإنْ كان خُرؤاً، والرضيعَ وإن كانَ جُرؤاً، لَعمرُكَ أنَّ المال قَد يَجعلُ الفتى سَنيّاً، وأَنَّ الفَقرَ بالمَرءِ قَد يُزري، فما رَفَعَ النَّفسَ الدَّنية. كالغِنى، وما وَضَعَ الغَنيَّة كالفَقرِ، والقُدرةُ راقية الجسدِ، والعَفرةُ زِينةُ الأَسدِ والمرءُ بثروتهِ والنِمرُ بَفرَوتِهِ، والغَنيُّ بمالهِ، والعَنيُّ بآمالهِ، والخَيريُّ بديناره، والدَيريُّ[1] بزُنَّاره، والحَبيبُ بدرهَمهِ واللبيب بأدهمه، والطبيبُ بِمَرهَمه، والمُروَّة بمالها، والمرأةُ بجمالِها، وقوةُ الحالِ ملواحُ المَصالح، ونِعمَ ثروةُ المالِ الصالح للرجل الصالح، والمال منهر الضَنّا، ومُظهِرُ السَنّا، وَنِعمَ العَونُ على تقوى الله الغني، وهو ذخر الآخرة وبذر السَّاهرة، وَنِعمَ العَونُ الدنيا على الآخرةِ، قُلتُ لَمّا أَدبَرَت دُنيايَ مَنْ، لَم يُجبني بل نَأَى مَنْ قَد دَنا، قُلتُ مَهلاً ثُمَّ لما أَقبَلَتْ قَال عِفريتٌ من الجِنِّ أَنا، ألاَ إنَّ حُرمَةَ مال المسلم كحرمةِ دَمِهِ، فلا تَتعنَّاهُ، وعصمةَ رياشه كعصمةِ أدمهِ فلا تَتَمنَّاهُ، فلا تأكل مالَهُ بالباطل فَيَبطُلُ صَفاؤك، ولا تَحمِلُ أَثقاله تحت الأباطلِ فَيطولُ جفاؤك، ولا تخطِف رياشَ الغَيرِ فَتَغيُر عَليكَ الحمقاء بغرورها، ولا تَنتِفُ ريشَ الطّيرِ فَتطيرُ بك العَنقاءُ بشرورها، يا أَيُّها الناسُ اتقُوا، لا تأكُلُوا أموالكَمُ لا تَرفَعُوا أَصواتَكُم لا تُبطِلُوا أَعمالَكُم، وارغب في علاوة العليا، ولا تَقرَب من حَلاوة الدُنيا، وَخُذْ بالطاعةِ واحتفظ بالبضاعة، وأَدِّ الفروضَ عند الاستطاعة، وَردَّ

(١) الدَيريُّ: صاحب الدير رجل الدين النصاراني، والزُنَّار شرحناها.

القُروضَ قبل الساعة، فما كان من خصمٍ فارضِه، واشتَغِل الآن بأداءِ فَرضِه، ولا تَقُلْ إيَّانّ مُلاقي الديَّان فإنَّك ملاقيه عن قَريبٍ فيحاسبك وكفى به من حسيب وأنَّه الخَصمُ الألَدُّ، والمُنتَقِمُ الأسدُ، ولَه المِحال الأَشَدُّ، وإنّه الفَعّال لما يُريد، فَلا تفعل ما تُريد، ففي حالِ عَرضِكَ عليه ووقوفِك بَينَ يَديه لم يكن لَكَ شيئٌ لا نورٌ ولا فَيءٌ، أَلَكَ هناك قِنطار، أو معك قسطار، أو وَفر وكَنز، أَو جِفر وعَنز، أو حمار وحَمَلَ، أَو حِوار وجَمَلَ أَو خَيلٌ وشاة، إنما الخَلقُ مَشاة، فَقُم واقضِ الحقوقَ، وارضِ الخالقَ والمَخلوقَ فشقاوة المرءِ أَن يشتغل بما لا يُعنيه ولا يَحتفل بما يُغنيه وأنْ يُعمِّر كيسَهُ بِكسِّه ودَسِّهِ، ويُثمِّر خيسَهُ بِحسِّه وبَسِّه، يرتكبُ العظايم والبلايا، ويَحتَقبُ المظالم والخطايا، هَمُّهُ ضبط الدِرهَم والدينار، وغمّه ربط الأَدهم والزّنار، لا يُبالي إذا سَلَمَتْ ثروةُ فلوسِه، أنْ تَمزَّق ناموسُه، وإذا شَبَعَتْ خزائُنه غاره، أن تَجوعَ خزانة داره، فهذا فتنةُ المفتونَ والمعذول وغبنةُ المغبون والمخذول، ذو العَرض المَصون والعِرض المبذول، وهذا يلقي رَبَّ العالمين، وهو دُبّ الظالمين، كأس بأسهِ على رأسهِ وجميعُ أَعبائِهِ على عَليائِهِ، فَيُوتى به كسارقٍ مهلوفا، أو آبقٍ مكتوفا، وكجائرٍ موقوفاً، أو طائرٍ مَتُوقا حامِلاً على رقبته حملاً له قفا، وجملاً له رغا، وعلى عِلبته أموالاً وأَعراضاً، ومنازِلَ وغرقاً، وعلى عَطفِه صلاصِلَ وأعلالاً، وسلاسِلَ وأَغلالاً، وعلى ظهره دنانير كأنّها زنابير، وعلى خصره زنابير كأنها تنانير، فيا مَنْ لم يَحتَسِب بربِّه خصماً فَزادَ عليه خصوماً حَسبُكَ به خَصماً فاحذره مُطِيعاً، وَيا مَنْ لم يكتفِ بعصيانِهِ إيّاه وصَماً فَمُدَّ إليه، وصوماً كفاكَ به وصماً فذره ذريعاً، واشتغل بفكاك ذمَّةَ نَفسِكَ النَفيسَة فإنَّكَ رهينُها، واحتَفِل بادراك همّة شمسك الأَنيسة فإنكَ ضَمينُها، فَفكَّ الذمةِ قَبلَ الفكاك وأدرك الهِمَّة قبلَ الهَلاك، واحفظ طَمَرَكَ لمَعلُومٍ لا مَربَعٌ فيه ولا طِلال، وَخُذْ حِذرَكَ ليَومٍ لا بَيعَ فيه ولا خلال، فإنّه يوم التطبيق والجَمع، والتفريقِ والرفع وَيَومَ الحسابِ والصوابِ والعقاب والثّوابِ. يومَ لا يُرفَعُ فيهِ حالٌ ولا فنونٌ إلّا مَنْ وافى اللهُ بِحُبٍ مُقيم، يَومَ لا يَنفعُ فيه مالٌ ولا بَنونَ إلّا مَنْ أَتى اللهَ بقلبٍ سَليم، يا ليتني اتَّخذتُ في حُبِّهِ مَقاماً، وَيلٌ لما دَهاني، يا حَسرَتي على ما، وقُلْ لمَنْ تعامى الى الردَّى الى متى التَّعامي عن الهدى وَتَرامى، عَن الهُدى الى ما، فَقُم وَتُب ونَادِ يا حَسرَتي عَلى ما.

الجَوهر الخامِسُ والتِّسعُونَ

طُوبى لهم كُلُّهُم بِكلِ خيرٍ حقيق، هَبُّوا الى كُلِّ خَير، من كُلِّ فَجٍّ عميقٍ، الجاهِدُ مُصاحِبُ المصاعِبِ مُلاعِبُ المتاعِبِ، والهاجِدُ معانقُ السُّهاد ملاصقُ الجهاد. والماجدُ مرافِقُ الشرف، مُفارِقُ السَّرف يَدرِجُ مَدارِجَ البَلاءِ فلا يَغولَهُ جَمرةُ أَمرها، ويَعرجُ مَعارجَ العَلاءِ فلا يَهولَه وعُورةُ غمرها، ويحمل أَعباءَ المجدِّ فلا يَؤدُه، رزانةٌ حمزها ويَجمل أَنباءَ الوجد فلا يَردّه متانةُ رمزها، يجيب الأَخطارَ المهولة فَيَسلَم ويجوبَ المجاهِلَ المَجهُولة فَيَعلمُ، يَسلُكَ مَسالكَ الوَجدِ والبَلاء، فَيَملِكُ ممالِكَ المَجدِ والعَلاءِ، يُومي بنظرهِ في أُمورِ الدهور الى خواتِمها دونَ مَباديها. فَينظرُ المَقصَدَ فيَقصُد فيحوز، ويَرمي ببصَرهِ في غرايم الأمور الى عَواقِبها دونَ هواديها، فَيُبصِر المَرصَد فيرصده، فيفوزَ، يركَب مَطيَّةَ الاحتياط فلا يَنكَبُّ عن وطيَّةِ الصّراط، يَلذُ مرارةَ الزُّهدِ لحلاوةِ عافية عاقِبتِهِ، وينبذ حلاوَةَ الضِّدِ لمرارة عاقبة عافيتِهِ، يُراقب شوارق العشق لعلوّ بَدرهِ، ولا يُقارب غَواسِق الفسقَ لغلوّ غدره، لَهُ بنصر الله باصرةٌ ناقدة وبصيرةٌ واقِدة، فَيعرف أَنّ أَيّام البلاءِ قصيرةٌ فانيةٌ، وأَعلامُ العناءِ كسيرةٌ بالية، وَرُبَّ دواءٍ كالصَبر مرارةً والجمر حرارةً، فإذا اتَّفَق بَلعُهُ بجفائهِ، تَحقَقَ نَفعُه بشَفائِه، وَرُبَّ دواءٍ كالزَقُّوم بين اللُّهاةِ والحُلقوُم، فإذا جاوزَ اللَّهاة وغيرَها أجازَ الحَيوةَ وخيرَها. والعاقِلُ لا يَخالُ النُّورَ فَيئاً وهو يَتلُو عَسى أن تكرهوا شيئاً، ويبني أُمُورَ مَرامِهِ على الحَزمِ، ويَصبِرُ كَما صَبَر أُولوا العَزمِ والكامِلُ لا يُبالي بالعَناءِ، وهيمُ الهَمِ سَريعُ الفناءِ، ولا ببلابل البلاء وغَيمُ الغَمِّ ذريعُ الإنجلاء ولا يَعبأ بالزلزال، وبلاءُ البلبال تمثالُ الزوال، ولا بجفاءِ الحالِ وبقاءُ الأَحوالِ لقاءِ المُحالِ، فاستر نازلةَ الوَيل تحت الذَّيلِ الوسيع وقَصِّر طائِلةَ الليلِ بحُبِّ النَيل الرفيع، فيطلعُ الفَجرُ بجمالهِ ويَسطعُ الآجُر بكماله. وسيلوح الصُبحُ بنوره ويَفوحُ الربحُ بسروره، فترى بمصباحِ الفلاحِ ما تَرى وعِندَ الصَباح يَحمِدُ القَومُ السُّرى، فطوبى للذَّين عَلَتهُم جفواتٌ في حُبِّهم.

وَزَحمةٌ[1] أُولئِكَ عَليهم صلواتٌ من رَبِّهم وَرَحمَةٌ، أُولئِكَ الصائِمونَ عَن منافي السَّناء السائِمون في هوافي العَناء، الهائِمونَ في فيافي الفناء، أُولئِكَ الصَّابرون على تَوالي البَلاء، فهم الجائزون الصائرون الى عَوالي العلاء، فهم الحائزون، سَيَظِلُّهم اللهُ برداءِ عِزَّته يَومَهُم بارِزُونَ، وَيقول إنّي جَزيتُهم اليومَ بما صَبَرُوا إنَّهُم هم الفائزونَ، فازوا بِما يُحظيهم، وَحَازوا ما يُرضيهم فاصبِر كَما صَبرُوا، تَفُز بما فازوا، وانظر كما نظروا، تَحُز ما حازوا، وانفر كما نفروا، تظفر بما ظَفروا، فانفِر تَكُنْ من الصائرين، إنَّ اللهَ مع الصَّابرين، واسفُر وقُلْ إنَّا لله، واصبِر وَما صَبرُكَ إلّا بالله، وقُلْ لمَنْ قَدَّر جليلاً، فلم يَنفُرْ وصَبرَ قليلاً، فلم يَظفُرَ اصبِر جليلاً وَصَبِّر صَبراً جميلاً جَنابَك، وافرر الى الله رَبِّكَ، واصبِر على ما أَصابَكَ.

(١) الأصح ورَحمَةُ.

الجَوهرُ السّادِسُ والتّسعونَ

قالوا السُّهى[1] أُمُّ العُلى، تَهواكَ يا عَبَدَ الأحَدِ، قُلتُ الهَوى مِني كذا، إنْ لم يكن لَها وَلَد، الدُّنيا سَمٌّ ناقِعٌ أو سَهمٌ واقِعٌ، لا لطلوعِه دافعٌ، ولا لوقوعه رافعٌ، لكنَّه سَمٌّ مُحلًّى بالحَلاوةِ، وسَهمٌ مَطليٌّ بالطّلاوةِ وما لها عَرَض صاد، وحالُها مرضٌ حادّ، وجَمالُها كمال التَشوّه، وكمالُها جمال التَموّه، حالُها في مَحالِها، وحلولُها في ارتحالها، صَلَفةٌ تصاريف دُوَّلها على أي مجالٍ سِجالٌ، رمكةٌ[2] سَيَّبَها[3] ركبانٌ، ورَكِبُها رِحال، تَخطَّاها خيارُ الناس فملكوا، وتمطّاها شرارُ النِسناس فهلكوا، طروقةٌ[4] تعني الأفواج، وتفني الأزواج، وتُفسِدُ الأمشاج، وتكسدُ المدلاج، تُهلِكُ البعولة والأحباب، وتَملِكُ الحَمولة والأسباب، فاتركها فإنّها هلوكٌ، وافركها فإنّها فروك، ودَعها فإنّها غَرَّارة، وودِّعها فإنها طَرّارة، مُشوَّهة المنظر، مُموَّهة المَحضَر، مُشؤومةُ الحَركةِ، معدومة البركة، كثيرةُ الهتكِ، كبيرة الفتك، عجوزٌ عقيم، إلّا من ضَجِيعها سقيمُ العُمرِ، مراقبتها مرضٌ مديدٌ، ومقاربتها حَرضٌ شديدٌ، عناقُها داءٌ جاف، وفراقُها دواءٌ شافٍ، رؤيتُها عناءٌ، وَرَوّيتُها فناءٌ، فَفارِقها تَسلَم، وطَلَّقها تَغنَم، فإنّ بَعلَها مصروع بكلفةِ المَرض، فإذا فارقها شُفِيَ في لحظته من صرعتهِ، وأنّه مَلسوعٌ بآفةِ الحَرض، فإذا

---

(١) السُّهى: ((السُّها: كَوكبٌ خَفيٌّ في بنات نعشٍ الكبرى والناس يَمتحنونَ به أَبصارَهم وفي المَثل: أُريها السُّها وتُريني القمر)) الصحاح ١/ ٦٢٤ مادة سها.

(٢) رمكَةٌ: ((الرَّمكَةُ: الأنثى من البراذين، والرَّمكةُ من ألوان الإبل، يُقال جَملٌ أَرمَكَ وناقةٌ رَمكاءُ)) الصحاح ١/ ٥١٠ مادة رمك.

(٣) سَيَّبَها: ((سابَ الماء أي جرى وسَيَّبْتُ الدابةَ تَركتُها تَسيب حتى شاءت والسائبةُ الناقةُ التي كانت تُسَيَّب في الجاهلية لِنذرٍ ونحوه، وكانت الناقةُ إذا وَلَدت عَشرة أبطنٍ كُلُّهنَّ إناثٌ سُيِّبت فلم تُركب ولم يَشرَب لبنَها إلّا ولدُها أو الضيف حتى تموت)) الصحاح ١/ ٦٣٤ مادة سيب.

(٤) طروقةٌ: ((يقولون: أتانا فلانٌ طروقاً إذا جاء بليلٍ وقد طَرَقَ يطرقُ طروقاً فهو طارقٌ، ورجلٌ طُرَقَة إذا كان يَسري حتى يَطرقَ أهله ليلاً وطَروقةُ الفحل أُنثاه، ويُقال ناقةٌ طَروقةُ الفحل للتي بلغت أن يضربها الفحلُ)) الصحاح ٢/ ٣٧ مادة طرق.

طَلَّقها عُوفِيَ في ساعَتِهِ من لَسعَتِهِ وإنْ يتَفَرَّقا، يُغنِ اللهُ كُلاًّ مِن سَعَتِهِ، فإنَّهُ غَنيٌّ حميدٌ، وَليٌّ مجيدٌ، فاحذرها فإنها داهية هاوية، وهاوية داهية، فلا تُبقها في حبالك وأَرشقها بنبالِك، فإنّها ليست من الأزواج الرضيَّة، ذوات الأَمشاج المَرخيَّة، فيُقالُ لَكَ في حَقِّها، لِعلوّ خَلقها وَخُلقها، أَمسِك عَلَيكَ زَوجَك، واصِفح وقُلْ سلاماً، أَتَشتَهي تُنادي يا حَسرتي على ما.

مَجدكُم مِن مَجدِنا، وَجدُكُم من وَجدِنا، لُطفنا قد عَمّكُم، رَحمَةٌ من عِندِنا، سعادةُ الإنسانِ باكبريه إيمانُه وإحسانُه، وشَرافته بأصغريه جنانُه ولسانُه، الجنانُ منبعٌ واللسانُ مربعٌ، ذاك مطلعٌ، وهذا مَسطَعٌ، ذاكَ مُعيَّنٌ وهذا مُبيِّنٌ، ذاك قابلٌ وهذا قائلٌ، ذاك يُنشي وهذا يُفشي ذاك أميرٌ مُنيرٌ، وهذا وزيرٌ مديرٌ، ذاكَ عارفٌ مستقرٌ، وهذا مُعترِفٌ مُقرٌّ ذاك موكّلٌ وقورٌ، وهذا وكيلٌ ذكورٌ، ذاك يُبدي وهذا يحرّره، وذاكَ يُفتي وهذا يقرّر، ذَاكَ غديرٌ، وهذا سابحٌ، وذاك بئرٌ، وهذا ماتحٌ، ذاكَ مُبتَدِعٌ، وهذا عاملٌ وذاك مُخترَعٌ وهذا حاملٌ، فَتوصَّل بأصغريكَ، وتَحصَّل بأكبريك، فَما يُغني عنكَ الأصغرانِ، إذا خانَكَ الأَكبران، فليكُن جنابُك معموراً بالفِكر والذِكر، ولسانك مغموراً بالذِكر والشُكرِ، حتى تتعادل كفَّتا، وتتقابل حافَّتا جلالِك، فَيصِيرُ صَحوُكَ مَحواً، ومَحوُكَ صحواً، فيرقى أَمرُكَ، ويَبقى عُمرُكَ، إنْ نَطقتُم بقليلٍ وكثيرٍ، فَالزمُوا الحَقَّ هُبوطاً وصُعُوداً، أو هَمَمتُم بجَليلٍ وحقيرٍ فاذكروا اللهَ قياماً وقعوداً، فَتوكَّل على الله وَكفى بالله وكيلاً، وذاكُروا اللهَ فَهوَ أَقومُ قيلاً، واخلص العَمَلَ وإنْ كانَ قليلاً، ولاَ تكن فيماَ يَنفَعُكَ عَليلاً، وفيما يُنجِعُك كليلاً، وفيما يرفعك ثقيلاً، واصحِب الحَزمَ أَمَلهُ، والعَزمَ عملَهُ، حتى يَرفَعُ السَحابُ ثملَهُ، وحَتى يَبلُغَ الكِتابُ أَجَلَهُ، ولا تَنمْ منامَ النائِمِ، ولا تَروم مَرامَ الهائِمِ، ولا تَعمَل عَمَلَ السَّائم، وتأَمَّل أَملَ الصايم، وإيّاكَ أَنْ تَهجُر صِمصامَ العزمِ، المُصمَّم في قِراب القلبِ فَتكلّه، أَو أَن تتركَ الهَديَ مَعكُوفاً أَنْ يَبلُغَ مَحلَّهُ. فأَنِض صِمصامَ العوالي وَامضِ مَهامَّ المعالي وانتهز فُرصةَ الأمانِ، قبلَ قَرصةَ الزمانِ، فَلِقُرصَتهِ قَرْصةٌ، ولِقُرصته مَصَّةٌ ولمصَّتهِ غُصَّةٌ، ولا تكن مِمَّنْ لم يُبالوا، وهمّوا بِما لَم ينالوا، وقُلْ لمَنْ فَرَّطوا، وأَفرطُوا فَتوَرطُوا، مَنْ أَنتُم ما كُنتُم، فاستَسلِمُوا لا تُنكِرُوا، لا تَبطَرُوا لا تَهجِروا، يا أَيُّها الناسُ اذكرُوا.

الجوهر الثامنُ والتِّسعُونَ

قد أَتَتْ بَلقيسُنا نِعمةٌ مِن حَيٍّ طيّ، مَنْ يُدانيها وَقَد، أُوتِيتُ مِن كُلِّ شَيّ. خُذ المرأةَ بحُصِنها لا بِحُسنِها وبأَعمالها لا بأَموالها وبأخلاقِها لا بأَعلاقِها فإن كان كُلَّ ذلك، فالكمالُ هُنالِك، وإنْ عِشتَ حَصوراً، فما أَنشَأتَ قصوراً ولو عَمَّرت عُصوراً، بل كُنتَ منصوراً، وغيرك محصوراً، والمروّةُ الراجحةُ أَندرُ من نوادرِ الندور والمرأةُ الصَّالحةُ كالغُراب الأبيض في الطيور، قالَ إنّي بكيدِهِنَّ خَبيرٌ، قُلتُ قُلْ قَالَ كَيدهُنَّ عظيمٌ قُلتُ لابأَسَ مِنهُ تَعرِفُ شَيئاً إنّ رَبّي بكيدهنَّ عليمٌ، لكن التزويجَ حركةٌ مُحبوبَةٌ، والتَعريجُ عليه بركة مطلوبةٌ، وَرَجُلٌ بلا بعلٍ كرِجلٍ بلا نعلٍ، ومَنْ بلا مَرأةٍ كنَمرٍ بلا فَروةٍ، وحُرٌّ بلا زوجٍ، كبحرٍ بلا موجٍ، وواجِدٌ بلا حليلةٍ كجاهدٍ بلا جميلةٍ، وباسِلٌ بلا بَعلٍ كراجلٍ بلا نعلٍ، وَرَاغبٌ بلا خليلةٍ، كطالبٍ بلا وسيلةٍ، والنِّساءُ والداتُ الأَصفياءِ، ماجداتُ الأَحفياءِ، عَواتق الحِجال شائقُ الرجال مصانعُ الدور والقصور، مطالعُ البدور والصدور، والرِّجالُ قَوّامونَ على النِّساءِ والنِّساءُ قَواعِدُ، والرجالُ أَعضاءُ السناءِ والنساءُ سَواعِدُ، يساعدنَّهم على مطالِبِهم، ويعاضدنَّهم على مَآربِهم وَهُنَّ مكاريب زرُوعِهم، ومَحاليبَ فروعِهم، ومَخاريفَ طُلوعِهم وشَراسيفَ ضلوعِهم، كَمْ لِرَبيّ من جَوارٍ راجِحاتٍ، طَيِّباتٍ طاهِراتٍ صالِحاتٍ، مُسلِماتٍ مُؤمناتٍ قانِتاتٍ عابداتٍ تائباتٍ سائِحاتٍ ألاَ فَارفقوا بِهُنَّ جديراً فإنكُم أُمراء، وهُنَّ أُسراءُ واستَوَّصُوا بِهنَّ خيراً فإنكم أعوانٌ وهُنَّ عِوانٌ، وأَعفوا عَنهُنَّ كثيراً فإنكُم حِلمٌ على صُوانٍ، وَهُنَّ لحمٌ على خِوانٍ والعُزوبة مفتاحُ الزِّنا، ومطواحُ[1] الضَّنَا والنِكّاحُ ملواحُ[2] الغِنى، ومصباحُ المُنى، ألاَ فَعرِّجوا على التزويج وابتَهِجوا بهذا التعريج، وما بُنِيَ بناءٌ في الإسلام أَحَبُّ الى الله

---

(١) مطواح: ((طاحَ يَطوحُ يَطيحُ، هلك وسقط. وطَوَّحَهُ أي تَوَّهَه وذَهَبَ به ههنا وههنا فَتطوَّحَ في البلاد إذا رمى بنَفسهِ ههنا وههنا والمُطاوِحُ: المقَاذِف وطوَّحتُه وطوحته الطوائح قدفتهُ القوادف)) الصحاح ٢/ ٥١ مادة طوح.

(٢) ملواح: ((المِلواح من الدوابِّ السريع العطش ولَوَّحَتهُ الشّمسُ غَيَّرتُه وسَفَعتْ وجَهَه)) الصحاح ٢/ ٤٦١ مادة لوح.

تعالى مِن التزويج، ومَنْ نَكَحَ فقد سجنَ نِصفَ[1] شياطينه، ومَنْ تَزوَّج فقد حَصَّنَ نِصفَ دِينَه، ألاَ فاتقوا الواقي، في النصف الباقي، فإنَّ خَرابَ الدين الأوفى واليقين الأَصفى، بشهوة الفرج الكبرى، وشهوة البطن الصُّغرى، لما يَتفرَّع عليهما من القبايح ويَتَسرَّع إليهُما من الجوايح. هما الركنانِ فَأَكملهما تعميراً سويّاً، والحصنانِ فأَحكمهما تدبيراً قويّاً، واعلم أنه يكون مع الصِّفَّةِ أَسكِفَةٌ[2] ومع الغُرفةِ مَعلَفَةٌ، فإذا تَناولتَ الهريسةَ[3] فلا تَنسَ المريسةَ[4] وإذا فَرغتَ من الحَلاوة فعليكَ بالعَلاوة، وأَنَّ الدُنيا والآخرة دُرَّتَانِ لكنهما ضَرَّتان، لهما إليكَ قُرَّتانِ ولَكَ إليهما كرّتانِ إحداهما[5] حُرَّةٌ خريدةٌ عُليا، والأخرى أَمَةٌ مُريدة دُنيا، فاجعل للعُليا يَومينِ فإنَّ لهما سَهمَينِ، وللدُنيا سَهماً، فإنّ لها إسماً، وَقَدِّم نَصيبَ العُليا وضَعِّفهُ، ولا تَنسَ نَصيبَكَ مِن الدُّنيا وخَفِّفْه، فإنّ العُليا أولى بالإكرام، وأَمرها أحلى بالاحترام، واحفظ القِسَمةَ العادِلة ولا تَذر النِعمةَ الزاخرة، فَتَكُونَ مِمَّنْ يُحبُّونَ العاجِلة ويَذَرونَ الآخِرة، فالنَيلُ كُلَّ النيلِ، أَنْ تَنالوا مَيلَ النَّيلِ والوَيلُ كُلَّ الويلِ أن تَميلُوا كُلَّ المَيلِ بالفِعلِ واللسانِ، إنَّ اللهَ يأمُرُ بالعَدلِ والإحسان، واتَّقِ المَيلَ بالقَلبِ وتَقلّبُه عَرضاً وطُولاً، وكُلُّ أَولئِكَ كان عَنهُ مَسئولاً، وإنْ كانَ ولا بُدَّ من النُّخبَةِ الأولى، فالآخِرةُ خيرٌ لَكَ مِنَ الأولى لتنوّق[6] صفائها ونقائها، وتحقق وفائها وبقائها، وإنْ خِفتَ من المَيلِ وويلِه، وضَعَفتَ عن العدلِ ونَيلِه، ففارِق الدُنيا فإنَّها زائدةٌ، وطَلِّقها فإنها جاحدةٌ، وإنْ خِفتُم ألّآ تَعدِلُوا فَواحِدةٌ، فاعدِل فإنّ العدلَ برهانُ الحقوقِ، وميزانُ الخالقِ والمخلوق، قامَ به النَفل والغَرض وسامَ به الطُّولُ والعَرضُ وهَامَ به الدُّهورُ، وعام به الظُّهورُ، عَدَلُوا في الأمرِ عَدلاً، رُفِعَ القَول إلَيهم، عَدَلوا عَنهُ عُدولاً، وَقَعَ القَولُ عَليهِم، فَعَلَيكَ بالعَلِيةِ ونُورها، والعلويةِ وحورها، لا تَكُن من أَمرِها في فَيافي فِريَةٍ، إنّما ذي مَريَمُ، لا تَكُن في مِرَّيةٍ لا تَمر في مِزيَةٍ نُورها في كُلِّ فَيءٍ، هذه بِلقيسُنا أُوتيت من كُلِّ شَيءٍ، وإيَّاكَ الدَنيَّة وغرورَها، والبليَّة وشرورَها، أُمُّ جَمُيلٍ ما، في صَدرِها طبلٌ فَلاقَ أَنْ يُلقى في جيدِها حَبلٌ.

---

(١) في الأصل صنف.
(٢) سكف: ((أُسكُفَّة الباب عَتَبَتَهُ)) الصحاح ١/ ٥٩٨ مادة سكف.
(٣) الهريسة: ((نوع من أنواع الأكل وهو طبخ الحنطة بالماء)).
(٤) المريسة: ((مَرستُ التمرَ في الماء أَنقعتَهُ ومَرثتَهُ بيدك)) الصحاح ٢/ ٤٨٨ مادة مَرَسَ.
(٥) في الأصل أحديهما.
(٦) معناها تَجمَّلَ بها وقد شرحناها.

الجوهر التاسِعُ والتِّسعُونَ

هذِهِ نَفسٌ ضَعيفة، والبلايا حائِقَة، قَد كفى فارفِق وقُلْ، كُلُّ نَفسٍ ذائِقة، نَفسُكَ وإنْ وَجَبَ خِلافُها، ولَزِبَ اتلافُها، لتجوزَ شقاءَها، فتبقى وتَحوزَ بقاءَها، فترقى. لكن لها عليكَ حقٌّ جليل فلا تَهمِلهُ، ورِزقٌ جَميل فلا تَخمِلهُ، وله وزرٌ ثقيلٌ فلا تَحمِلهُ، أَتمنَعُها حَقَّها المُقدَّر، وتَقطَعُها رَزقَها المُقَّرر، أَتظلِمُ نَفسَكَ النَّفيسةَ وهي شَمسك وتظلم شمسَك الأَنيسةَ وهي نَفسَك، ويحك أَنَّها أَولى بالرعاية من الغَير للخَيرِ، وأَحرى بالعنايةِ بالخَير من الغيرِ، فسرِّحها في رفيع النِعمة وَرُحّها، ببديعِ الحكمةِ، إنّها بجمالِها لك تِربٌ، وإنَّها نَاقَةُ الله لَها شُربٌ، فاحترمُوها ولا تُحقِّروها، واكرموها ولا تَعقِّروها، ولا تَدسَّوها بعلاوة صَلاة ووضوءٍ، ولا تَمَسُّوها بسوءٍ، نَاقَةُ الله لكُم، مِثلَ ما جاءَت تَبُؤُ، وَيلَكُم لا تَعقِرُوها، لا تَمَسُّوها بِسوءٍ، أَلهَمها فُجُورَها عَلَّمَها تَقواها، أَفلَح مَنْ زَكّاها، وَخَابَ مَنْ دَسَّاها، فإذا قامَتْ بِقَولِ الله، وهامَتْ بطولِ الله، وَوَفت بعهدِ الله، وَصَفْت بحمدِ الله، وحافَظت على فَرضِ الله، فَذَرُوها تأكُل في أرضِ الله، فلا تعرِضُوا عَن الفرض ملحدينَ، ولا تَعثُوا في الأرضِ مُفسِدينَ، ولا تَتَعرضَّوا لنِقَم الله أَتمنَعونَها مِن نِعَم الله، لا حَولَ ولا قُوةَّ إلَّا بالله، ولا تَكُونوا في الهَمودِيَّة[1]، كالثِلَّةِ الثَّمُودِيَّة، إنَّ أُناساً جَهلُوا نِعمَتي، فَعيُّهُم في غَيِّهُم كَبَّهُم، قُلتُ فَتوبُوا عَقرُوا ناقتي، إنَّ ثَمُودا كَفرُوا رَبَّهُم، فما بالُ حالِكُم، وَما حالُ بالِكُم، نَفسٌ أَنَتِ زكيّة، على الهُدى، قَد جُبِلَتْ، بأَيِّ عيب أُخِذت، بِأَيّ ذَنبٍ قُتِلَت.

(١) الهمودية: ((هَمَدت النار تَهمَدُ هُموداً، أي طُفِئَتْ وذَهَبتْ البتّة، وأرضٌ هامدةٌ لا نباتَ بها ونباتٌ هامدٌ يابسٌ)) الصحاح ٢/ ٦٤٧ مادة همد.

كانَت لَنا جارَة، واهاً لَها بانَتْ شَوقاً لَهاً، يا لَيتَها كانَت، ولكِني أُقدِّرُ بَقاءَها وأَجولُ، وأُصدِّرُ لقاءَها وأَقول، أَجارتَنا إنّا غريبانِ ههُنا، كُلُّ غريبٍ للغريبِ نَسَيبٌ، أَجارَتَنا قَد أَنصَفَ الحَقُّ بَينَنا فلا تَسأَمي إنَّ الوُصولَ قَريبٌ. أَيَتُّها النَفسُ الزاهرة والشمسُ الباهرة، اسمعي مقالي، وأَقمعي ثقالي وارفعي حالي وادفعي مَحالي فإنّه طالما، سَمَكنا مَسامِكَ الاعتبار ولم نَعتَبر، ومَلكنا مَمالِكَ الاختبار ولم نَختَبر، ما اعتبَرنا لحظةً، فَاعتَبِر يا سالِكُ، كُلُّ نفسٍ ذائِقَةُ، كُلُّ شيءٍ هالِكُ، وكم سَلكنا مَسلَكَ العُمرِ الفَريز زَوجينِ، وسُبكنا سَبكَ النضار الإبريزِ في اللُّجين، وكم تعانقنا في ليالي الصفاء، تعانُقَ العَقلِ لمعالي الوفاء، وكم امتزجنا في المساء والرَواح، امتِزاجَ الماءِ بالراحِ والضياءِ بالصَّباحِ، والصفاءِ بالفلاحِ، والوفاء بالصَلاح، والشفاءِ بالنجاح، وكم سرينا في جَمرة الجَهد والجَدِّ، سَريانَ الحُمرة في الورَدِ والخَدِّ، وقد قرب أنْ تَتَهوَّر غاشيةُ الشبابِ بصباحِ المَشيبِ بل تَهوَّرتَ فالقعود، وتتكوَّر جايحةُ[1] الخرابِ على القِراح العَشيبِ بل تَكوَّرتِ، فالرُقود، فإن كنتِ راجيةً، أن تكوني ناجِيةً، فالرَّحيلَ الرحيلَ، والقبيلَ القبيلَ، فالى متى غُربَتُنا والى كَمْ كُربتُنا، لقد زال رُوانا في ديار الغُربةِ الغريبة، وطالَ ثوانا في مَغارِ هذه التُربة المُريبة، أَلَسنا مِن جُملةِ الأَحياءِ، أَلَسنا في نعمةِ الحَياءِ، أَما تَبكينَ لِحالِك، فأَنا أَبكي لمالِكِ، لِنَفسي أَبكي لَستُ أَبكي لِغيرها، بنفسي في نَفْسي عن الغَيرِ شاغِل، فوالله لقد بانَ زمانٌ التصفيقِ وَأَوان التحقيقِ، والله وَليَّ التوفيق، وآنَ أَوانُ السَّفرِ، ومن الله الظَفر وأوانُ المَسيرِ، وعلى الله التَيسير، فَقومي لا قامت بك القَوايمُ، وعُومي لاَ عامَتْ بكِ العُوايُم، وَتأَهّبي معي وَهُبّي، فإني ذاهِبٌ الى رَبّي، فاذهبي معي فالفلاحُ واركبي معي فالنَجاحُ، حَنانِيك يا نُفيسي،

(١) جايحة: ((اجتاحتهم السَّنةُ ونَزلتْ بهم جائِحةٌ من الجَوائِحِ وتقول رَفعُ الحوائج أَشدُّ من نزول الجَوائح)) أساس البلاغة ١/ ١٣٩ مادة جوحَ.

بل بُلقيسي، وَيا مَرهَمي، بل مَريَمي، ويا جارتي بل سارتي ويا رُوحي بل رَوُحي[1]، بَعلُكِ شيخٌ سقيمٌ[2]، والسَّقيمُ يَكسِلُ، وأَنتِ عَجوزٌ عَقيمٌ، والعقيمُ لا يَنسِلُ، وَهَنَ مِنّا ما كان قَويّاً، وظَعَنَ ما كان ثَويّاً، وآوانُ الحَراثةِ النافعة، ريعانُ الحداثةِ اليافعة، وزراعةُ مجوِّدِ المِنحةِ في بداية الخريف، وزراعةُ مجرِّد المِحنةِ في نهاية المَصيف، وأَنتِ تعرفين ما هنالِك، من حالي وحالِك، ولكن لا تقنطي من رَحَمةِ الله، ولا تَيأَسي من رَوح الله، أَتَعجبينَ من أَمرِ الله وكُلٌّ أمرٍ عِنده يَهونُ، وَإذ أرادَ شيئاً أنْ يقول لَهُ كُنْ فَيكونُ، فإنّ اللهَ رَفعَ لنا قَدراً، وعَمَّرنا عُمراً، فَلَعلَ اللهَ يُحدِثُ بَعدَ ذلِكَ أمراً، فَيَجمَعُ شَملَ الأَحبابِ ويَرفَع ثَقلَ الأَصباب، ويشدّ سَرائرَ الأَسبابِ، ويَردُّ نوافِرَ الشبابِ فَيجعَل الضَعيفَ قوياً، والقَصيفَ سَوياً، والمُسنَّ طارقاً، والمُعزَّ فاتقاً، والعَجوزَ عاتِقاً، والعَقيمَ ناتِقاً، وقد فَعَلَ وَما فتى، بلا لَعلَّ ومتى فهذا، بَعلكِ أُرِيَ ملكوتَ السموات، وجبروتَ الطلاوات، فأَخمدَ نائرةَ الشهوات، وثائرةَ الزهوات، وطَهَّرَ البيتَ عن أَصنامَ الخَيالات، وأَعلامَ الضلالات، وأَوهامَ المُحالات، وخُصَّ بالخُلَّة الجليلةِ والحُلَّةَ الجَميلة، وَوَهِبَ في عهد الكِبَر، ونجدِ العِبَرِ، سَليلٌ رحمانيٌّ، وجليلٌ رَبَّانيٌّ، نَشَأَ في مَهدِ الفكر، ومَشى في نَهدِ الذِكر، وقد مَدَّ أَمرُهُ في العالمينِ وخَلَّدَ ذكرَه في العالمِين، وفَعَلَ لَهُ جنان عشقٍ في الذاكِرينَ، وجَعَلَ لَهُ لِسانَ صِدقٍ في الآخرينَ، وما ذاكِ، له هُناك، إلّا نُورَ سُرورٍ بُيِّنَ لَهُ فَتَبيَّن لَهُ الجمال، محرورَ أمورٍ عُيِّنَ لَهُ الجلال، أو وُرودُ أَفراحٍ نُوقِّتْ لَهُ من أَغصان أُنسِ القُدُس، وَأَفنان قُدسِ الأُنسِ فَشمَّهُنَّ، أو طيورُ أرواحٍ فُرِّفَتْ لَهُ أجزاؤُها على أَطوارِ أَوديةِ المعالي، وأَغوار أَنديةِ العوالي، فَضَمَّهنَّ، أَو بَهجاتُ لَهجاتٍ جُهجِهَتْ[3] لَهُ فَزَمَّهُنَّ، وإذا ابتلى ابراهيمَ رَبُّه بِكلماتٍ فأَتَمَهُنَّ، قد أَحسَنَ الأَمرَ بما جَرى من الله لَهُ، فَفازَ فيها أَبداً، قد أَحسَنَ اللهُ لَهُ، فَساعاتُها وَمصيرُ الأُمورِ الى الله وَسُرور الصُّدُور على الله، حاصلُ الأَيّام في أنَّ عِدَّةَ الشُّهورِ عند الله. فكانَ يَحكي فَقَامَ يَبكي، حَبيبُ قَلبي، وَنُورُ عَيني، فَقلتُ مَهلاً لَعَلَّ

---

(١) رَوح: ((الرُّوح والراحَةُ من الاستراحة، والرُّوحُ نَسيمُ الريح ويُقال يومٌ رَوحٌ أي طَيِّبٌ)) الصحاح ١/ ٥١٨ مادة رَوح.

(٢) في الأصل ((شقيم)).

(٣) جُهجِهَت: ((جَهجهتُ بالسَّبُع: صِحتُ به لينكَفَّ، ويُقال تَجهجَهُ عنّي أي انتهِ)) الصحاح ١/ ٢١٦ مادة جهجه.

خيراً، فَقال هذا، فِراقٌ بَيني، نَحمَدُ مَنْ سَرَّنا، بِنُورِ سرِّ الزَّمن، رَوَّحَ[1] أَرواحَنا، أَذهَبَ عَنَّا الحَزَن، والشُكر لِوَلِيِّهِ وأَهلِهِ، والصَّلوةُ على نَبِيِّه وَآلِه.

طالعته ونظرتُ إليه من البداية الى النهاية فارجو اللهَ أن يَتعظّني به، وقد استَعرتُه من عِزّ الشيعة وصدر الشريعة السيد السَّنَد والحبر المعتمد السيد عبدالباقي الموسوي الكيلاني وأَنا الجاني يوسف النجفي الجيلاني سنة ١٣٤٦هـ.

(١) رَوَّحَ: ((الدّهنُ المُرَوَّح المُطيَّب وأراح إبلَهُ أي رَدَّها الى المُراح وكذلك التَرويحُ وتَروَّحَ الشَّجَرُ إذا تَفطَّر بورقٍ بعد إدبار الصيف وتَروَّحَ النبتَ أي طال وتَروَّحَ الماء إذا أَخَذَ رِيحَ غَيرِهِ لقربهِ منه، والأريَحيُّ: الواسع الخُلقُ)) الصحاح ١/ ٥١٨ مادة روح.

بسم الله الرحمن الرحيم

الأَخوند الفريد السعيد المعروف بالشيخ بايزيد، وفَّقَه اللهُ لما يُريد في أَور نكاباد[1] سنة ١٠٩٨هـ:

تَمَنَّيتُ قدماً أن أَزورَ مُوالياً ... لآلِ رسُولِ الله والحبُّ في الحشا
فَيَسَّرَ لي رَبّي لقاءَ سُميدَعٍ[2] ... بطوسٍ انتمى عِلماً ببصرة قد نَشا
أبو الفضل والتّقوى المُهذِّب أحمَدُ ... مَزايَاهُ أَعلامٌ بِها صِيتُه فَشا

---

(١) أور نكاباد: ويُقال لها أورنقاباد أو أورنك آباد وهي من مدن بلاد الهند كان والياً عليها علي صدر الدين بن معصوم المدني ١٠٥٢ ـ ١١٢٠هـ صاحب المؤلفات الكبيرة مثل أنوار الربيع في أنواع البديع وقد وِلِدَ المدني رحمهُ الله بالمدينة المنوّرة ليلة السبت ١٥ جُماد الأولى سنة ١٠٥٢هـ وأمه ابنة الشيخ محمد بن أحمد المنوفي إمام الشافعية بالحجاز المتوفى سنة ١٠٤٤هـ غادر مكة سنة ١٠٦٦هـ بأمرٍ من أبيه متوجهاً الى حيدر آباد فوصلها سنة ١٠٦٨هـ وأمضى في حيدر آباد ١٨ سنة تولّى خلالها مناصب هامة في الدولة وتوفي أبوه سنة ١٠٨٦هـ وتوفي بعده السلطان عبدالله قطب شاه فهرب ابن معصوم متوجهاً الى السلطان محمد أورنك زيب شاه (برهان بور) وعند وصوله قلّده قيادة فرقة من الجيش ولَقّبه بالسيد علي خان واصطحبه الى أور نقاباد وثم جعله حارساً عليها ومن ثمَّ قلّده رئاسة الديوان في برهان بور واستمر في عمله هذا الى سنة ١١١٤هـ فقدَّمَ إعفاءً من هذا المنصب فغادر الهند بعد ٤٦ سنة متوجهاً الى مكة المكرمة ثم المدينة المنورة ثم العراق.
يتبين لنا أنّ وجود مهذّب الدين البصري كان في هذه الفترة التي كان فيها علي خان المدني علي رأس السلطة في أورنكاباد أي ما بين سنة ١٠٨٦هـ وسنة ١١١٤هـ وكما ذكرنا سابقاً أنّ مهذب الدين البصري توفي في بدايات القرن الثاني عشر الهجري.
وهذه المدينة كذلك سكنها وتوفي فيها كذلك غلام علي آزاد البلكرامي سنة ١١٩٤هـ صاحب كتاب (سبحة المرجان في آثار هندستان) وهو من علماء الهند ومن أصل عراقي كذلك فعائلته من واسط في العراق.
وكذلك عندما كان علي خان ابن معصوم المدني في حيدر آباد فقد تواجد هنا كذلك مُهذّب الدين البصري. فلا نعرف على وجه الدقة هل كانت بينهما علاقة علمية أو غير ذلك أم لا توجد. ولكنهما في كل الأحوال متعاصران في بلدتين من بلاد الهند.
(٢) سُميدع الرجل الكريم.

تَصانيفُهُ أعـدادُ شهر تَسايَرت ... مسيرةَ عـام سَيرَ أَجـودَ مَـنْ مَشا
ببلدة قُطب[1] المُلك قد جاء سائحاً ... فصارَ حِصارُ المُلكِ بالعِلم مُحتَشا
أَقـامَ بهاَ واستكتَبَ الكُتبَ الَتي ... سَمِعَتَ وحشَّاها ومجموعها وشا
فَأعطى الأُولـى كانوا بها كُلَّ تُحفة ... كذا غَيرهُم في غيرها فارتوى النَشا[2]
فَـذي باسقاتُ النَّخلِ تتلو كلاَمَهُ ... بأحسنِ أَلـحـانٍ لها وكـذا الأشـا[3]
وتلك ظبـاءُ الـقـاعِ تَـروي حَديثَهُ ... وتكتُبُهُ حِرصاً بمُقلتِها الـرّشـا[4]
وحـيـثُ اكتحلنا خُلَّصاً بـمـداده ... بَصائِرُنا جادت به واجتلى العَشا[5]
وجـاءَ تَـصـاديـقُ الأكـابـرِ كُلُّهمْ ... وقد كان يُرجى ذاكَ مِنهُم ويُختَشَا
وقالوا كما قد شاهدوا باَجتهادَه ... وَذلِـكَ فَضلُ اللهِ يُؤتِيه مَـنْ يَشا

وقال تُرابُ أَقدام المُهتدين أحمد المُشتَهر بِمُهذِّبِ الدين عند استماع هذا القول المَتين:

إذا قيلَ مَنْ سـاوَتْ تَصانيفَ فَضله ... عِـدادَ رَشاد رُشدُها في الحَشا مَشا
وطَـيِّـبُ مزاياها كَـرَوحٍ فُيوضهاَ ... لَدى الكُلِّ في كُلِّ الوَرى كالنشا فَشا
فَقُل فائضُ الفَضلِ المُهذَّبُ أحمَدْ ... وَذلِـكَ فَضلُ اللهِ يُؤتِيه مَـنْ يَشا

وقال أيضاً:

إذا قيلَ مَـنْ ذا كُلَّما فَضُلهُ مَشا ... وَقـاحَ مُفيداً كالنّشا فَـقُـرُه فَشا
وَأَسـقـامُـهُ آنـاً فـآنـاً تَـزايَـدت ... وآلامُـهُ كـالـنـارِ تَـشـتـدُّ بالحَشا
فَقل أضعفُ الخَلقِ المُهذَّبُ أحمدْ ... وَذلِـكَ فَضلُ اللهِ يُؤتِيه مَـنْ يَشا

وقال أيضاً:

إذا قيلَ مَـنْ ذا أَصـارَ في أمـرِ قُوته ... وجـارَ عليه مَـنْ به الجَورُ قد نَشا
فَسافَر فَـرَداً مـا لَـهُ مـن مُـؤَآنـسٍ ... سوى نار سُوءِ الحال تَلعب في الحَشا
وَشِـدَّةِ أَسـقـامٍ وَضَـعـفٍ تَجلُّدٍ ... فَـرَقَّ الظبا فبكت له فبكا الرَشا

---

(١) بلدة قُطب.
(٢) النَشا: الريح الطيبة.
(٣) الأشا: صغار النخل.
(٤) الرَّشا: الظبية.
(٥) العَشا: أي ذهب العَشا من العشو وهو العَمى.

وقـد قـال أربـــابُ العُلى باجتهاده وفَيضُ مزايا فَضلِه قد حَشا الحَشا
وقد بَلغتَ رُشـداً تصانيفُ رُشـده وفـي كُـلِّ قُطرٍ شأنُها كالنّشا مَشا
وَتَفريقُها إذ كان عَن طيب نَفسَه ففي كُـلِّ نفسٍ طيبُ أَنفاسِها فشا
فَقُلْ كاملُ الفضلِ المُهذَّبُ أحمدٌ وَذلِـــكَ فَضلُ اللهِ يُؤتيه مَـنْ يَشا

وقال أَيضا قبل ذلك في الاقتباسيَّة:

إذا قيلَ مَـنْ أحيا العُلومَ بأسرها وَهـذَّبَ مِنها الأمـرَ والأمـرُ قد فشا
فَقُلْ َ ذاكَ يُدعى بالمُهذَّبِ أحمَدٍ وَذَلـــك فَضلُ اللهِ يُؤتيه مَـنْ يَشا

وقال أيضاً:

إذا قيلَ مَـنْ ذا ضَعَّفَ الـرَّاءَ ميمُه تَصانِيفَ دُرٍّ دَورُهـا في الـوَرى فَشا
فَقُلْ َ ناطِقُ الفَضلِ المُهذَّبُ أحمد وَذلِـــكَ فَضلُ اللهِ يُؤتيه مَـنْ يَشا

المصادر والمراجع

١. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ط دار الفكر، سنة ١٩٧٩م.
٢. الأعلام للزركلي، ط٤، دار العلم للملايين، سنة ١٩٧٩م.
٣. الألفاظ النصرانية في العربية، د. ابراهيم السامرائي، مجلة الأستاذ، بغداد، العدد ١٤ سنة ١٩٦٧م.
٤. التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم المقدسي، تحقيق الدكتور: ضاحي عبدالباقي محمد، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت سنة ٢٠٠٣م.
٥. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٠هـ) تحقيق الدكتور: حسين العمري ومُطهَّر بن علي الأرياني والدكتور يوسف محمد عبدالله، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر في دمشق، ط١، سنة ١٩٩٩م.
٦. تذكرة الأريب في تفسير الغريب، لأبي الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) حققه: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية ـ بيروت سنة ٢٠٠٤م.
٧. الصحاح في اللغة والعلوم، تقديم العلامة الشيخ عبدالله العلايلي، اعداد وتصنيف نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية ـ بيروت، ط١، سنة ١٩٧٤م.
٨. طبقات أعلام الشيعة، الشيخ آغابُزرك الطهراني، مؤسسة مطبوعات اسماعيليان، قم ـ ايران، د.ت.
٩. فائق المقال في الحديث والرجال، لمهذِّب الدين البصري، تحقيق: غلام حسين قيصريه، دار الحديث، قم، سنة ١٤٢٢هـ.
١٠. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت سنة ١٩٥٢م.

١١. مدارس العراق قبل الإسلام، روفائيل بابو إسحاق، دار الورّاق لندن سنة ٢٠٠٦، وطبعته الأولى كانت في بغداد سنة ١٩٥٥م.
١٢. مرآة الكتب، علي موسى بن محمد الشفيع ثقة الإسلام التبريزي (ت ١٣٣٠هـ)، تحقيق: محمد علي، مكتبة المرعشي النجفي، ط١ سنة ١٤١٤هـ (وهذا الكتاب هو فهرس عام لكتب الشيعة الإمامية على ترتيب حروف أوائل أسمائها وفيه وصفاً اجمالاً مع تراجم قصيرة للمؤلفين منذ القديم حتى عصر المؤلف.
١٣. المُفصَّل في تراجم الأعلام، السيد أحمد الحسيني، طبعة الذخائر الإسلامية، ايران، ط١ سنة ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
١٤. المناهج المُقنِعة الأنيسة والمُغنية النفيسة، لمهذِّب الدين أحمد بن عبدالرضا البصري، تحقيق: الدكتور توفيق الحجاج والدكتور قاسم خلف السكيني، نشر مركز تراث البصرة التابع للعتبة العباسية المُقدَّسة سنة ٢٠١٥م.
١٥. الموسوعة العربية المُيسَّرة، اشراف محمد شفيق غربال، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ بيروت سنة ١٩٦٥م.

الفهرس

المؤلف: 5

كتاب العِبرة الشافية والفكرة الوافية 21

الجوهر الأول 21

الجوهر الثاني 25

الجوهر الثالث 27

الجوهر الرابع 28

الجوهرُ الخامس 32

الجوهرُ السادس 34

الجوهُر السَّابع 36

الجَوهرُ الثامِن 38

الجوهر التاسع 39

الجَوهَرُ العاشِر 40

الجوهر الحادي عشر 42

الجَوهَر الثاني عشر 44

الجوهر الثالث عشر 46

الجوهر الرابع عشر 47

الجوهر الخامس عشر 49

الجوهر السادس عشر 51

الجوهر السابع عشر 52

الجوهر الثامن عشر 53
الجوهر التاسع عشر 55
الجَوهَر العِشرُونَ 57
الجَوهَر الحادي والعِشرُونَ 58
الجَوهَر الثاني والعِشرُونَ 60
الجَوهَر الثالث والعِشرُونَ 62
الجَوهَر الرابع والعِشرُونَ 64
الجَوهَر الخامِس والعِشرُونَ 66
الجَوهر السادِس والعُشرون 67
الجَوهَر السابع والعِشرُونَ 69
الجوهر الثامن والعشرون 71
الجوهر التاسع والعشرون 72
الجَوهَر الثَلاثونَ 73
الجَوهَر الحادي والثَلاثونَ 75
الجوهر الثاني والثلاثون 76
الجَوهر الثالث والثَلاثون 77
الجَوهر الرابع والثَلاثون 79
الجَوهَر الخامِس والثلاثون 81
الجوهر السادس والثلاثون 82
الجوهر السابع والثلاثون 84
الجوهر الثامن والثلاثون 85
الجَوهر التاسِع والثلاثون 87
الجوهر الأربعون 89
الجَوهر الحادي والأربَعونَ 91

الجوهر الثاني والأربعون 93
الجوهر الثالث والاربعون 95
الجَوهَرُ الرابِعُ والأَربَعونَ 97
الجَوهَر الخامِسُ والأربَعونَ 99
الجَوهَر السادِسُ والأَربَعونَ 101
الجوهر السابع والأربعون 102
الجوهر الثامِن والأَربَعون 104
الجَوهَر التاسِع والأَربَعونَ 106
الجوهَر الخَمسُونَ 108
الجوهر الحادي والخَمسُونَ 110
الجَوهر الثاني والخَمسونَ 112
الجوهر الثالِثُ والخَمسونَ 114
الجوهر الرابع والخمسونَ 116
الجَوهر الخامِسُ والخمسون 118
الجَوهَر السادِسُ والخَمسُونَ 120
الجوهر السابِعُ والخَمسُونَ 121
الجوهر الثامِنُ والخَمسُونَ 123
الجوهَرُ التاسعُ والخَمسونَ 125
الجَوهرُ الستُّونَ 127
الجَوهرُ الحادي والسُتُونَ 129
الجوهَرُ الثاني والسِتُّونَ 131
الجوهر الثالِثُ والسُتُّونَ 133
الجوهر الرابعُ والسِتُونَ 136
الجَوهر الخامِسُ والسّتُّونَ 137

الجَوهرُ السادِسُ والسِتُّونَ 139
الجَوهرُ السابِعُ والسِتُّونَ 140
الجَوهرُ الثامِنُ والسِتُّونُ 142
الجَوهرُ التاسِعُ والسِتُّونَ 144
الجَوهر السَّبعونَ 146
الجوهَر الحادي والسَّبعُونَ 148
الجوهَرُ الثاني والسَبعُونَ 150
الجَوهر الثالث والسَّبعونَ 151
الجوهر الرابعُ والسَّبعُونَ 153
الجَوهر الخامسُ والسَّبعُونَ 155
الجوهر السّادِسُ والسَّبعُونَ 157
الجَوهر السابعُ والسَبعُونَ 158
الجوهر الثامِن والسَّبعونَ 160
الجَوهرُ التاسِعُ والسَّبعُونَ 162
الجوهر الثَّمانونَ 164
الجوهر الحادي والثَمانونَ 165
الجَوهرُ الثاني والثمانُونَ 167
الجوهر الثالِثُ والثمانُونَ 169
الجوهر الرابعُ والثَّمانونَ 171
الجوهر الخامِسُ والثمانُونَ 173
الجَوهرُ السادِسُ والثَمانُونَ 175
الجوهَرُ السابعُ والثمانُونَ 177
الجوهر الثامِنُ والثمانُونَ 179
الجَوهَرُ التاسِعُ والثَمانُونَ 180

الجَوهر التِسّعونَ 182
الجوهَرُ الحادي والتُّسعُونَ 184
الجَوهرُ الثاني والتِّسعُونَ 186
الجَوهر الثالِثُ والتُسعونَ 188
الجوهر الرابعُ والتِّسعُونَ 191
الجَوهر الخامِسُ والتِّسعُونَ 193
الجَوهرُ السّادِسُ والتّسعونَ 195
الجوهر السابعُ والتِّسعونَ 197
الجوهر الثامِنُ والتِّسعُونَ 198
الجوهر التاسعُ والتِّسعُونَ 200
الجَوهر المائَةُ 201
المصادر والمراجع 207
الفهرس 209

العِبرةُ الشّافية والفكرةُ الوافية

هو الشيخ أحمد بن عبد الرضا البصري، مُهذِّب الدين، قال عنه السيد أحمد الحسيني في كتابه المُفضَّل في تراجم العلماء ((ولِدَ في البصرة وبها نشأ وترعرع، رَجَّحَ بعضٌ في تأريخ ولادته أن يكون سنة ١٠٢٠ هـ، واستنتج بعضٌ آخر أن يكون سنة ١٠٥٠ هـ والصحيح أنه ولِدَ سنة ١٠٦٠ هـ، حيث أَلَّفَ بعضَ رسائله بالمشهد الرضوي في سنة ١٠٨٥ هـ، مع التصريح بأنه تناولَ خمساً وعشرين جانباً (سنة) من عمره))، والمؤلف غالباً ما يؤكد على لقبه (مُهذِّب الدين) أو (المُهذَّب) ولاسيما في الجوهر السابع والثلاثين وفي نهايتها إذ يقول: ((إنَّ الذي أتاهُ، فَضلٌ ولا خِفاءُ، والفَضلُ عِند رَبيّ يؤتيه مَنْ يَشاءُ، فاعلم ما نالك واعمل بذلك، تَنَلْ ما هَنالك، إذا قِيلَ مَنْ أَحيا العلوم بأَسرها وَهَذَّبَ مِنها الأَمَرَ، والأَمرُ قد فَشا، فَقُلْ ذاك يُدعى بالمُهذَّب أحمدٍ، وذَلِكَ فَضلُ الله يؤتيه مَنْ يشاء)) وكذلك يذكر هذا اللقب في الجوهر الثالث والتسعين بقوله: ((واهاً لقلبي فَواهاً لَمْ يكن مَعبودُ قلبي دائماً إلّا هَواهُ، فانبُذّنهُ يا مُهذَّب، واتَخِذ قلباً سِواه)).

ISBN 978-1-7732214-4-1

طبع الكتاب على نفقة مجلس محافظة البصرة

الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع
البصرة . العراق
0780 1312072 - 0771 8994265
e-mail : daralfaiha@yahoo.com

Designed by Studio